مواقف فكرية تجاه الفن والعلم في الغرب والشرق

الدكتور عبدالكريم اليافي

يقول الشيخ سعدي الشيرازي : « أبناء آدم أسرة واحدة » • وربما عنى بذلك أن الفكر موجود لدى جميع الناس ولذا كانت الانسانية واحدة •

ولم تبرز وحدة الانسانية يوماً من الأيام بروزها في العصر الحديث. لقد محا العلم المسافات ، وأطلعت مكاسبه التطبيقية الناس بعضهم على أحوال بعض في مختلف الشؤون معيشة وعلماً وفناً وسياسة وتقدماً وتخلفاً • كذلك نجد كل نزاع عالمي يهدد الانسانية في كيانها العميق •

ان الانسانية اذا كانت تؤلف كياناً واحداً فان مجتمعاتها تتفاوت •• ولابد لهذا التفاوت من أن يطبع بآثاره سلوك الناس وآراءهم ومشاعرهم كما يذهب علم اجتماع المعرفة ، وكما تذهب الماركسية ، وكما ذهب قبلهما علم الاجتماع الخلدوني •

ونحن هنا نريد أن نبين بعض المواقف الفكرية تجاه الفن والعلم • وهما ركنان حصينان لكل مجتمع ، وذلك كما تبدو في مطالعة ما يجدّ في أفكار الغرب ، وما قد تأثل تليداً وتواصل مستمراً في الفكر العربي الاسلامي • وقد تفيد كل مطارحة أو حوار اذا استطاعا أن يجلوا ملامح من تلك المواقف •

نتناول مثلا كتاباً ذا عنوان جذاب وهو الطب النفسي في مظاهر الفن من خلال شتى الحضارات • وهو من أعمال المؤتمر السابع لعلم النفس المرضي في مجال التعبير

وقد عقد سنة ١٩٧٣ . ونقابل بين ما جاء في هذه الأعمال واتجاه الفكر في جانب من جوانب الحضارة العربية الاسلامية .

ولا حاجة لمطالعة أعمال المؤتمر كلها بل نكتفي بمقالة الأستاذ الدكتور رولاند فيشر Roland Fisher من مركز البحوث في الطب النفسي بماريلند في الولايات المتحدة . وقد ذكر في مراجعة تسعة بحوث وكتب أوردها في ذيل مقالته .

عنوان هذه المقالة مستغرب وهو« فن الجنون وجنون الفن » .
The Art of Madness and Madness of Art».
وهي تقع في أقل من صفحتين ونصف صفحة من الكتاب كأن المؤلف آثر أن يكثّف آراءه الجديدة وأن يخفف عناءها ، ولكنه عرض صوراً كثيرة تمثل تطور فن الرسم الحديث ليؤيد ما يذهب اليه .

ولكي أكون دقيقاً أوثر ترجمة القسم الأكبر من هذا المقال الصغير . يقول المؤلف :

« اذا لم يكن الجنون الا شكلا واحداً من أشكال اللا معقول كما أكد رانك Rank عام ١٩٢٩ وتابعه حديثاً فوكولت Foucault عام ١٩٦١ فان لمحة عن تطور الفن والعلم – وهما شكلان من اللامعقول – جديرة بالاهتمام ، اذ ان كلاً من العلم والفن يمكن أن يكون أوضح تعبير عن جنون هذا العصر .

أشكال اللامعقول المبتكرة في الفن والانحرافات عن المعايير المعهودة تمثلها الوحشية Fauvism (عام ١٩٠٥) والتكعيبية Cubism (عام ١٩١٠) والتجريدية غير الموضوعية Non objective abstractionism (١٩١٠) والدادائية (١٩١٧) وأخيراً السريالية من عام ١٩٢٥ وينضوي تحت لوائها فن الأوب والبوب Op and pop art (وهو اتجاه في الرسم ظهر في بريطانية والولايات المتحدة في أواخر الخمسينيات يدل على مجموعة الأشكال التي تظهر فيها الثقافة الشعبية المعاصرة من سينما وتلفزيون وأغاني وموسيقى ومنشورات ذات رسوم كما يدل على استيحاء الفنانين موضوعاتهم من هذه الثقافة الشعبية .)
ويقابل التطور الفني في الاتجاهات العلمية المبتكرة نظرية الكم أو الكوانتا عند بلنك عام ١٩٠٠ ، والتحليل الفرويدي عام ١٩٠٠ أيضاً ، ونظرية أينشتين

في النسبية الخاصة عام ١٩٠٥ ، وبعد سنوات اشتباك المكان الزماني واحداثياته عند منكوفسكي ثم نظرية النسبية المعممة لأينشتين ثم جوهر بور ثم معادلات الموجة عند شرودنغر ومبدأ اللاحتمية عند هيزنبرغ •

وفي حين وجهت السريالية بزعامة بروتون Breton كتاباً مفتوحاً الى أطباء المشافي العقلية تحثهم فيه على تحرير المرضى لأنهم يُعتبرون ضحايا مشاعرهم المفرطة ظهر كتاب برنز هورن Prinzhorn « فن الرسم عند مرضى العقول « Bildnerei der Geisteskranken » (عام ١٩٢٢) وبذلك نُوّه لأول مرة بتشابه الفن الفصامي والبدائي والتجريدي المخالف للطبيعة وفن الأطفال وفن الفنانين السُذج • وعلى خلاف ذلك كان كتاب برنزهورن الثاني الذي ظهر عام ١٩٢٦ وعنوانه « فن الرسم عند المساجين Bildnerei der Gefengenen فقد بيّن فيه أن المساجين يرسمون بواقعية لا بأسلوب تجريدي مخالف للطبيعة كما يرسم الأطفال والبدائيون ومرضى الفصام •

وقد تتالت الأحداث • فألقيت القنبلة الذرية الأولى عام ١٩٤٥ وبعد ذلك بقليل وسمت أنماط السلوك المرضية (التي كانت حاكمة) في نورنبرغ بالاجرام وأنزل بها العقاب • كذلك شرع الدين المنظّم يفقد أسسه وأركانه ولا سيما في أمور تبعث على القلق • كما أن الخط الفاصل بين الواقع وما فوق الواقع ، بين الصحيح والمعتل ، كان من قبل واضحاً فأصبح من الصعب تمييزه باطراد •

وقد تناوب نهجان من التطور في ادخال « الثورة الثالثة » في الطب النفسي •

١ ـ انتشار المهدئات الواسع لكبح المرضى الجامحين • فالحبوب حمدت ومدحت بنفس الكلمات التي مدح بها وحمد بروم الصوديوم قبل نحو خمس وعشرين سنة •

٢ ـ انتشار LSD وسواه من المخدرات التي تبعث المس والاهتلاس فارتفعت راية الدعوة والتأييد لاعتبار السريالية سمة بارزة للعصر الحاضر •

وهناك مظهر آخر للثورة (الثالثة) وهو اسباغ المعالجة بالطب النفسي على المجتمع وقد بدأه لنغ Laing عام ١٩٥٩ حين اعتبر الطب النفسي فرعاً مستقلا عن الطب وخلع عليه الصفة الاجتماعية • أكد لنغ أن بعض الظواهر

التي يعتبرها الأطباء مَرَضية ما هي الا تعبير عن مشكلات الانسان وضروب صراعه في مجتمعه على الرغم من تعدد الطرق التي تختارها النفس الانسانية لتؤكد حريتها . وبذلك يغدو المرض العقلي مجرد أسطورة كما نوه بذلك تشاتش Szasz سنة ١٩٧٠ .

ان مسوخ هيرونيموس بوس Hieronymus Bosch الرسام الهولندي التي رسمها في فنه كأنما عادت للظهور ولكن على صعيد الواقع . ولم تكن عودتها مفاجئة اذ تنكرت الآن بأقنعة كيماوية سرية لوثت الماء والهواء وسممت الطعام وخلقت الطفرات الوراثية المؤذية وأثارت كوامن السرطان وعاثت في صبغيات الخلايا فساداً وشذوذا ، وربما كانت علة جميع الكوارث البيئية . »

بوس الذي ألمح اليه الباحث عاش في القرن الخامس عشر ومات ١٥١٦ م . رسم صوراً خيالية بشعة ومسوخاً منفرّة وشياطين مخيفة . يريد في الماحه أن ينبه الى ما ينجم عن التلوث الذي تحوم طيوفه من آفات وتشوّه في الخِلق والسحنات البشرية .

وقد أشار الباحث في ختام بحثه جزءاً الى الأطباق الطائرة المهددة للكيان الانساني كما يشير الى مظاهر الغرور الزائف في هذا العصر ويعدها ضرباً من جنون العظمة والى اضطراب المجتمع الذي يعيش فيه والذي يمور بشتى المشكلات . وهو ينقل في الحاشية أن الأمريكيين استهلكوا في عام ١٩٦٧ ثمانمائة ألف أوقية من مادة البربورات المهدئة وما يقرب من عشرة ملايين حبة من الانفيتامين Amphetamines وأن كل واحد من أربعة أشخاص يستعمل الحبوب المهدئة بانتظام .

يستغرب المرء كيف يعتبر المؤلف العلم شكلا من أشكال اللامعقول . ولذلك نجده في حاشية بحثه يشرح ذلك وهو أن العلم يعتمد المصادرة التالية وهي أن العلم يرى الطريقة العلمية هي وحدها الطريقة الصحيحة لمعالجة مشكلة مطروحة ولكن العلم لا يستطيع أن يبرهن على صحة تلك المصادرة بطريقة علمية فهو يقع في دائرة مفرغة حين يقبل المصادرة ويؤمن بها ايماناً .

يبدو من كلام المؤلف اطلاعه الواسع على تطور الفن والعلم . ولكن نلاحظ أن العلم على خلاف ما يزعم اذا كان ذاصفة معقولة فليس لأنه يعتمد على

مصادرة يصعب البرهان عليها وانما يتخذ المصادرة ويبني عليها بناءً منطقياً متسلسلا فمعقولية العلم جاءت من هذا البناء المنطقي المتسلسل وحُجة العالم استطاعته شرح الظواهر بمبدأ العلة والسببية ونجوع التجارب المستندة الى هذا الشرح ٠

ليس لنا أن نتدخل في مشكلات مجتمع اذا كانت له مساوىء يندد بها أبناؤه فان فيه مزايا كثيرة ٠ ولكنا نريد أن نقابل هذا الموقف السلبي تجاه تطور الفن والعلم بالموقف الايجابي في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ٠

وما دمنا قد ذكرنا المصادرة في العلم فان العلم والفن في الحضارة العربية الاسلامية يقوم كلاهما على المصادرة التالية وهي أن الانسان آخر الموجودات في سلم التطور تتجلى فيه جملةً جميع الصفات التي توجد في العالم متفرقة وزيادة ٠ فيه الناحية العنصرية وهي الجسم ، وفيه الطبيعة الكلية أي طبيعة الحياة أو النفس ، وفيه العقل القادر على التحليل والتمييز وتفهم حقائق الأشياء ، وفيه الفكر أو الروح التي هي من أمر الله ـ ونفخنا فيه من روحنا ـ ولهذا كان أكمل الموجودات وكان بذلك الخليفة على الكون مسؤولا عن سياسته سياسة حكيمة وموكلا اليه تدبير أموره ٠ ثمة تضافر وتضامن بين الكون والانسان من الناحية العلمية والجمالية والعملية ٠ لقد امتلأت الكتب العربية الاسلامية بفضائل العلم ، كل علم ، والحث عليه واعتباره فريضة وعبادة بل أفضل أنواع العبادات ٠ ولا حاجة للتنويه بذلك ٠ ولكنا نذكر هذا الحديث الذي أخرجه الترمذي : « فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ٠ ان الله عز وجل وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلّون على معلم الناس الخير ٠ » قوله أدناكم يريد صحبه ٠ وقد شبهوا بالنجوم في حديث أصحابي كالنجوم ٠ يصلّون أي يستغفرون ويدعون لهم لأن فضل علمهم وعملهم وارشادهم سبب لانتظام أحوال العالم ٠ وذكر النملة والحوت بعد ذكر الثقلين تتميم لجميع أنواع الحيوان ٠ ثم ان نفع العابد مقصور على نفسه ونفع العالم متجاوز الى الخلائق حتى النملة ٠ وفي التعبير العصري الحديث نقول ينبغي أن يتم توازن حيوي على الأرض وألا يقع فيها تلوث ولا اجحاف ، لأن العلم والعمل مسوسان بالخير العام ومسيَّران نحوه ٠

ولهذا نجد خليفة الرسول أبا بكر يوصي أسامة بن زيد عند بعثه الى مشارف الشام لتحرير اخوانه العرب :« لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثّلوا ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ولا تعقروا[1] نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً الا لمأكلة • وسوف تمرون بأقوام قد فرّغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له •• » الى آخر هذه الوصية الانسانية، على حين نصادف اليوم تدمير المدن والقرى تدميرا كاملا وتقتيل الأطفال والحوامل واقتلاع شعب كامل من وطنه • هذا مع التفرقة العنصرية والاساءة الى أماكن العبادة •

نعود الى حقيقة العلم • كل تجافٍ عن النظر في الكون والبحث في أسراره تباعد عن السنن الطبيعي وتنكّب عن جوهر الانسان • وربما كان التمثيل يوضح الى أي مدى يقع اشتباك الفكر الانساني والكون •

يمثل ابن عربي حوارا جرى له مع روح هارون النبي يقول فيه : « قلت يا هارون ان ناساً من العارفين زعموا أن الوجود ينعدم في حقهم فلا يرون الا الله ولا يبقى للعالم عندهم ما يلتفتون به اليه في جنب الله • ولا شك أنهم في المرتبة دون أمثالكم • وأخبرنا الحق أنك قلت لأخيك في وقت غضبه : فلا تشمت بي الأعداء • فجعلت لهم قدرا • وهذا حال يخالف حال أولئك العارفين • فقال : صدقوا ، فانهم ما زادوا على ما أعطاهم ذوقهم • ولكن انظر هل زال من العالم ما زال عندهم ؟ قلت : لا • قال : فنقصهم من العلم بما هو الأمر عليه على قدر ما فاتهم • فعندهم عدم العالم ، فنقصهم من الحق على قدر ما انحجب عنهم من العالم فان العالم كله هو عين تجلّي الحق لمن عرف الحق • »

ولذلك يرى أولئك المفكرون أن ادراك حقائق الأشياء بالعلم ووعيها بالفن انما هما وعي تلك التجليات وادراكها • انهما العبادة الحقيقية والغاية التي خلق لها الانسان •

تلك تجليات كثيرة ومتنوعة وقد تتناقض • وتناقضها وتنوعها وكثرتها كل ذلك يؤدي الى الحيرة • وعندهم أن الحيرة نوعان : حيرة جهل ، تحيط الحيرة

---

١ ـ عقر النخلة قطع راسها كله مع الجمّار فييبس • وفي رواية لا تقعروا من قعر الشجرة اذا قلعها من قعرها اي اصلها •

بالجاهل . وحيرة علم ، يحيط العالم عندها بالحيرة . ولا نهاية للحيرة في العلم ولا في الفن . وعلى حد تعبير ابن عربي« فان الأمر في نفسه لا غاية له يوقف عندها . فالهدى هو أن يهتدي الانسان الى الحيرة فيعلم أن الأمر حيرة . والحيرة قلق وحركة . والحركة حياة . فلا سكون، فلا موت، ووجود فلا عدم. »

هذه الحركة العلمية الدائبة عبّر عنها النفري في مواقفه حين قال : « العلم المستقر هو الجهل المستقر . »

وكذلك الأمر في الجمال والفن . ثمة جمال يتلمسه الفنان أين نظر وأنى تأمل . وهو مسؤول فوق ذلك عن تجميل الكون . الحياة كلها عندهم فن وحب واقبال . انها تتسم بالقدسية . هي طريق الخلود. والفن ذو ايقاع يشف عن روحانية سرمدية من خلال التعبير والتغيير وذلك بالتناسب الدقيق والانسجام العميق وبموسيقى الخطوط واعتدال الأشكال سواء أكان ذلك في الرسم الذي يبدو كأنه تضافر أغنيات عيانية في المكان أم في العمارة المتزنة المطمئنة التي يجري فيها الماء جريان الدم في الجسم . الفن عندهم سنىً من نور الجمال المطلق .

وصَرِّح باطلاق الجمال ولا تقل بتقييده ميلا لزخرف زينة
فكل مليح حسنه من جمالها معار له بل حسن كل مليحة

كما يقول ابن الفارض (توفي سنة ٦٣٢ هـ ـ ١٢٣٥ م) .

وقل للعيون الرمد للشمس أعين سواك تراها في مغيب ومطلع
وسامح نفوسا ما جلتها رياضة ولا قوبلت مرآتها بتطلع

كما يقول سليمان بن علي العفيف التلمساني (متوفى ٦٩٠ هـ ـ ١٢٩١ م).
لا نريد أن نفيض في ايراد نصوص كثيرة تشرح مواقفهم وآراءهم .

ولكن لا بد أن ننوّه بقمة من قمم الفكر الصوفي تعلي شأن العلم والفن والحياة والانسان لعلّنا نقبل في مستهل القرن الهجري الخامس عشر متفائلين متضامنين مشمرين للجد والعمل في هذه الميادين . ان هذا المؤلف عبد الكريم الجيلي (متوفى سنة ٨٢٦ هـ ـ ١٤٢٣ م) يستند في جملة ما يستند اليه في كتابه « الانسان الكامل » الى حديث يعتمده الصوفية لقوة معناه ولا يرضى عنه أهل الحديث لضعف اسناده وهو « ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي

المؤمن » • فالوسع هنا ثلاثة أنواع : وسع المعرفة بحقائق الأشياء وهو أصل العلم ، ووسع المشاهدة واطلاع القلب على المحاسن والجمال وهو أصل الفن ، ووسع الخلافة خلافة الانسان على الكون وهو أصل الأخلاق الفاضلة والسياسة الحكيمة الخيّرة • وهكذا نفهم سر هذه النجوى نجوى التجليات من خلال هذا النص الذي نقدمه وهو من أجمل النصوص التي عرفناها يخلع على الانسان الذي هو أخو الانسان أياً كان صفة علوية فائقة في شتى وجوه نشاطه ومختلف جوانب حياته • جاء في باب تجلي الصفات : «فمن المكلَّمين من تناجيه الحقيقة الذاتية من نفسه فيسمع خطاباً لا من جهة بغير جارحة ، وسماعه للخطاب بكليته لا بأذن فيقال له : أنت حبيبي • أنت محبوبي • أنت المراد • أنت وجهي في العباد • أنت المقصد الأسنى • أنت المطلب الأعلى • أنت سري في الأسرار • أنت نوري في الأنوار • أنت غيبي • أنت زيني • أنت جمالي • أنت كمالي • أنت اسمي • أنت ذاتي • أنت نعتي • أنت صفاتي • أنا اسمك • أنا رسمك • أنا علامتك • أنا وسمك • حبيبي ! أنت خلاصة الأكوان والمقصود من الوجود والحدثان • تقرّب الي بشهودي فقد تقربت اليك بوجودي • لا تبعد فاني أنا الذي قلت : ونحن أقرب اليه من حبل الوريد • لا تتقيد باسم العبد • فلولا الرب ما كان العبد • أنت أظهرتني كما أنا أظهرتك • فلولا عبوديتك لم تظهر لي ربوبية • أنت أوجدتني كما أنا أوجدتك • فلولاوجودك ما كان وجودي موجودا • حبيبي ! الدنوّ الدنوّ • حبيبي ! العلوّ العلوّ • حبيبي ! أردتك لوصفي واصطنعتك لنفسي • فلا تُرد نفسك لغيري • ولا تُرد غيري لك • حبيبي ! شمَّني في المشموم • حبيبي ! كلني في المطعوم • حبيبي ! تخيَّلني في الموهوم • حبيبي تَعقَّلني في المعلوم • حبيبي ! شاهدني في المحسوس • حبيبي ! المسني في الملموس • حبيبي ! البسني في الملبوس • حبيبي ! أنت المراد بي • أنت المكْنِي بي • أنت المكني عنه بي • ما ألذها من معاطفة ! ما أحلاها من ملاطفة •••

••• أنا المراد بك ، أنا لك لا لي ، أنت المراد بي ، أنت لي لا لك • حبيبي ! أنت نقطة عليها دائرة الوجود • فكنت أنت العابد فيها والمعبود • أنت النور ، أنت الظهور ، أنت الحسن والزين كالعين للانسان والانسان للعين » •

حاشية : الاستشهاد باقوال الصوفية ليس معناه ان كاتب السطور يعتقدها • ولكنه مجرد اظهار التباين بين المواقف •

عن العرب والنّجوم ..

الدكتور عبد الرحيم بدر

حاجة أهل الجزيرة لمعرفة النجوم :

يقول الدينوري في كتاب الأنواء « يقال ان أعلم العرب بالنجوم كلب وبنوشيبان، وان العلم من كلب في بني ماوية ومن شيبان في مرة . وصحبني رجل من الأعراب في فلاة ليلا ، فأقبلت أسأله عن محالٍّ قومٍ من العرب ومياههم • وجعل يدلني على كل محلة بنجم وعلى كل ضياء (وقد تكون خباء) بنجم • فربما أشار الى النجم وسماه ، وربما قال لي ، تراه ، وربما قال لي ، ولِّ وجهك نجم كذا ، أي اجعل مسيرك على نجم كذا حتى تأتيهم • فرأيت النجوم تقودهم الى موضع حاجاتهم كما تقود مهايع الطرق سالك العبارات •»[1]

والواقع أن الصحراء الواسعة التي تمتد أطرافها لتتصل باللانهاية تملي على قاطنها أن يعرف موقعه منها ، فيعرف كيف يصل الى مورد الماء والى مواطن الكلأ يرعى ابله ، ويعرف منازل القبائل الأخرى لكي يغزوها اذا شعر بالقوة أو يفر من وجهها اذا شعر بالضعف •

وكان يشعر بحاجة أقل من ذلك الى معرفة مواعيد الفصول وهطول الأمطار وتقلبات الجو • وفي الواحات التي تصلح للزراعة كان يريد أن يعرف مواعيد الزراعة ومواعيد الحصاد •

كل هذه الحاجات جعلت الأعراب في الجاهلية وبعد الجاهلية يعرفون مواقع بعض النجوم التي قد تهديهم سواء السبيل •

١ ـ لعل المراد بالضياء ما يوقد من النار بديار العرب • وقال الآلوسي لعله خباء • (المجلة) •

وكان العرب يسمون هذا النوع من المعرفة بالتنجيم • وعندما أصبح علماً مدروساً سموه علم الهيئة •

وما جاء الدين الاسلامي حتى ازدادت الحاجة الى علم الهيئة لتحديد أوقات الصلاة وأوقات الصيام ، ومعرفة اتجاه القبلة •

حاجات الأمم الأخرى لمعرفة النجوم :

أما الأمم التي سبقت العرب في حضاراتها فقد كانت لها دوافع أخرى أو دوافع مماثلة • غير أن جميع الأمم التي كانت لها حضارات في العصور القديمة والعصور المتوسطة ـ والعرب منهم ـ كانوا يؤمنون بأن لحركات الكواكب في السماء أثراً في حياة الانسان وتصرفاته في القدر الذي كتب له • قد يكون سبب ذلك راجعاً في الأساس الى حضارات ما بين النهرين التي كانت ترى أن الكواكب تتقمص روح الآلهة • ولكن كل حضارة ركزت دراستها على نوع معين ، بحسب الفكرة التي كانت تسود تلك الحضارة عن هذا الأثر •

فحضارات ما بين النهرين كانت تركز اهتمامها على الكواكب وتحركاتها • فالأجسام القدسية التي تتقمص روح الآلهة جديرة بالملاحظة والتتبع والرصد•

أما اليونان فالكواكب عندهم كانت هي الآلهة نفسها • ولهذه الآلهة من قصص الحب والانتقام والحسد والغيرة والمغامرات الغرامية ما يوجب ادخال النجوم في الحساب • كانت الحضارات في الهند وما بين النهرين قد أخذت تسمّي بعض المجموعات النجومية في السماء • ولكن الحضارة اليونانية لم تكد تترك مجموعة من المجوهرات النجومية الظاهرة الا وأطلقت عليها اسماً من أسماء الأبطال أو الضحايا أو الحيوانات التي دخلت تلك الأساطير • وأصبح معظم السماء المنظور في نصف الكرة الشمالي ذا مجموعات نجومية معروفة ، تحمل كلها أسماء الأبطال الأسطوريين ، أو أسماء أدوات أو حيوانات تدخل عادة ضمن هذه الأساطير • ولبعض هذه التسميات مضمون فلكي ، كالعقرب الذي لدغ اوريون الصياد ، ونشأت بينهما عداوة مستحكمة فتباعد أحدهما عن الآخر في السماء ، بحيث لا يرى أحدهما الآخر • ان هذا يذكّر دارس الفلك بأن العقرب يطلع عندما يغيب الصياد، والصياد يطلع عندما يغيب العقرب •

وبعض القصص الأسطورية اليونانية أخذت أكثر من مجموعة في تسمياتها • فقصة برشاوس الجبار واندروميدا ،

وكيف أنقذها من التنين ، لها خمس مجموعات ٠

البـروج :

منذ أن بدأ رصد السماء عند الراصدين الأوائل ، سواء فيما بين النهرين أو في الهند أو الصين ، عرف الانسان أن الشمس والقمر والكواكب السيّارة المعروفة آنذاك ، عطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل ــ كلها تسير في دائرة معيّنة من السماء لا تتعداها ٠ وقد وجد أن النجوم المنتشرة في هذه الدائرة يمكن أن تحدد أشكالها في اثني عشر شكلا أو مجموعة ٠ وقد أخذت هذه المجموعات أهمية كبيرة عند القدماء، لسبب واحد فقط ، هو مرور الشمس والقمر والكواكب السيارة فيها ٠ ولكن مرور هذه الأجرام السماوية المقدسة في هذه الأشكال النجومية شيء غير قليل ٠ انه يضفي شيئاً من القداسة على الشكل، حتى أنه لم يعد يسمى مجموعة أو كوكبة كنظيره في القبة الفلكية ، وانما أصبح يسمى برجاً ٠ فالأبراج اذن هي تلك المجموعات النجومية التي تقع على المدار الذي يبدو لنا أن الشمس والقمر والكواكب السيارة تسير فيه ٠ ومعرفة الأبراج (أو البروج) ، ومواعيد شروقها وغيابها ، ووقوع أحد الكواكب في هذا البرج أو ذاك ــ أمور تعتمد عليها صناعة التنجيم وكشف الطالع ٠ وقد ازدهرت هذه المعرفة منذ حضارات ما بين النهرين ٠ ولكن البروج أخذت أسماءها عندما وصفها بطليموس في كتاب (المجسطي) في القرن الميلادي الثاني ٠ وفي هذا الكتاب أيضاً تم تحديد بقية المجموعات النجومية في السماء (على الأقل الظاهرة جدا منها) وتم وضع الأسماء لها ٠

العرب في الجاهلية والمجموعات النجومية :

ان صناعة التنجيم القائمة على معرفة الكواكب والبروج لم تزدهر في الجزيرة العربية ، ولهذا فان البروج بحدودها وأشكالها المعروفة عند الحضارات التي سبقتهم لم تكن معروفة لديهم ٠ حتى المجموعات النجومية التي هي خارج نطاق دائرة البروج، لم تكن محددة المعالم ٠ ان تحديد صورة مجموعة من المجموعات يحتاج الى تدوين ورسم يعطيها شكلها المتفق عليه ، وليس هناك من الآثار الكتابية ما يدلنا على ذلك ٠ ان معظم الآثار المكتوبة التي عرفت حتى الآن من الحضارة العربية في اليمن تدل على أن العرب قد أخذوا يعبدون بعض الكواكب وهذه نقلوها في الأرجح عن حضارة ما بين النهرين والفرس ٠ والواقع أن الغالبية العظمى

من معارفنا عن مدى المام عرب الجزيرة بالنجوم راجع الى كتاب « صور الكواكب الثمانية والأربعين » لعبد الرحمن الصوفي. ففي هذا الأطلس الدقيق الرائع للمجموعات السماوية يذكر الصوفي ما قالته العرب عن كل مجموعة أو عن بعض نجومها. والذي يلفت الانتباه في تسميات العرب لنجوم السماء ، أنهم كانوا يركزون اهتمامهم على نجمين لامعين ، قد يكونان في مجموعة واحدة أو في مجموعتين ويشتركان عادة في خطوط الصعود المستقيم – أي أنهما يغربان ويشرقان في وقت واحد تقريبا. فهناك الفرقدان والشعريان والسماكان والهراران والشرطان والزبانيان والفرغان والنسران والمحلفان وما الى ذلك.

أما نطاق البروج ، وهو الذي تسير فيه الكواكب السيارة والشمس والقمر ، فقد قسموه الى منازل القمر. رأوا أن القمر يتنقل في السماء في هذا النطاق ويعود الى الموضع الذي كان فيه (تقريباً) بعد ثمانية وعشرين يوماً. فهو يمكث كل يوم في منزلة. وهذه الطريقة في التسمية كانت معروفة قبلهم في الهند ، الا أن الهنود كانوا يقسّمون منطقة البروج الى سبعة وعشرين منزلة.

ولكن تقسيم نطاق البروج الى منازل ، لم يعد الأساس الذي يعتمد عليه الفلكيون عندما أصبح التنجيم علماً ، وأخذوا عن اليونان تقسيم البروج ودخلت صناعة أحكام النجوم ومعرفة الطوالع.

بداية الفلك في الحضارة العربية :

قامت الحضارة العربية بظهور الاسلام. وانشغل العرب أول الأمر بالفتوحات في عصر الخلفاء الراشدين ، ثم في الحروب فيما بينهم. وفي عصر الأمويين لم تكن هناك بداية ملحوظة للاهتمام بالعلوم عامة أو بالفلك ، اللهم الا ما يرويه كرلو نلينو عن ابن القفطي من أن الأمير خالد بن يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان كان ذا همة بالعلوم وهو أول من تُرجِم له كتب الطب والنجوم والكيمياء حتى سمي حكيم آل مروان. ويقول نلينو من المحتمل أن يكون أول كتاب ترجم من اليونانية الى العربية (بقطع النظر عن كتب الكيمياء) هو كتاب عرض مفتاح النجوم المنسوب الى هرمس الحكيم الموضوع على تحاويل سني العالم وما فيها من الأحكام النجومية ، وجد نسخة منه خط يد في المكتبة الامبرسيانية في ميلانو. وفي آخر هذه النسخة « وكان ترجمة الكتاب في ذي القعدة سنة

خمس وعشرين ومائة هجرية » ومعنى ذلك أن المترجم فرغ من ترجمة الكتاب قبل انقراض الدولة الأموية بسبع سنين ·

وما قامت الدولة العباسية حتى بدأ العمل الجاد في ترجمة الكتب من جميع الحضارات التي كانت معروفة آنذاك · وقد بدأ ذلك منذ أيام أبي جعفر المنصور (الخليفة الثاني) فترجمت الكتب من اليونانية والفارسية والهندية · وأخذت حركة الترجمة والتأليف تتسع وتزداد في أيام من تلاه من الخلفاء ، وخاصة في عصر المأمون ·

ومما يدل على أن العرب كانوا يدرسون الفلك دراسة جادة ، وانهم لم يكونوا يتخذونها مجرد متعة فكرية ـ كما هي حال العرب في الفلك في أيامنا هذه ـ انهم سرعان ما بدأوا في استعمال آلات الرصد · ويقول نلّينو ، نقلا عن كتاب الفهرست وابن القفطي وحاجي خليفة ، ان أول مسلم عمل اسطرلابا وألّف فيه كتاباً هو أبو اسحاق ابراهيم بن حبيب ابن سليمان الفزاري من فلكيي المنصور ، واسم الكتاب « كتاب العمل بالاسطرلاب المسطح » وهو مفقود ولا نعرف عنه الا اسمه · وله رسالة أيضاً مسماة « كتاب العمل بالاسطرلاب وهو ذات الحلق · » وهناك منجّم آخر من منجّمي المنصور اسمه ما شاء الله ، ألّف الكتب في الاسطرلاب المسطح وذات الحلق ، ضاعت كلها ولم تنج من التلف الا ترجمة لاتينية لأحدها بعنوان « كتاب الاسطرلابات والعمل بها » طبعت ثلاث مرات في القرن السادس عشر الميلادي ·

مهما يكن من أمر ، فقد أخذت الترجمة بالازدياد والتحسن التدريجي مع اكتساب الخبرة. كانت أول الأمر نقلا لقلة المترجمين المتيسرين · حتى ان يحيى ابن خالد بن برمك طلب الى جماعة أن يفسروا له المجسطي فلم يتقنوه فانتدب غيرهم أكثر منهم كفاية · وعلى وجه التعميم ، لم تكن الترجمات في القرن الثاني الهجري متقنة · ولكن القرن الثالث الهجري تميز باتقان التعريب ·

وقد ترجم العرب عن الهندية كتاب السند هند الكبير والارجبهر والاركند ، وانبرى الفلكيون يعملون ازياجهم بناء على حساباتها · وترجموا عن الفارسية زيج الشهريار وعن اليونانية مؤلفات منسوبة الى هرمس الحكيم ودروثيوس الصيداوي وانطيقوس الأثيني · ومنذ أيام المنصور ترجمت المقالات الأربع لبطليموس ، وقد شكّك في نسبتها الى بطليموس أبو معشر البلخي ورد عليه عليّ بن رضوان المصري والباحثون

المتأخرون يثبتون صحتها ويؤيدون ابن رضوان المصري في ماجاء اليه ·

ولما ترجم المجسطي لبطليموس وجد الفلكيون العرب فيه جامعاً مانعاً · فطغى على غيره وأصبح المصدر الرئيس الذي اعتمد عليه كل الفلكيين العرب ·

كانت الترجمة في بداءاتها للفهم الاستيعاب وكان يستعان بها في كتابة الازياج · ولكن لما تم هضم العلوم التي نقلتها الترجمات المتقنة جاء دور التصحيح فيما تتحدث عنه ، والتعليق على الأخطاء الواردة فيها · وكانت آلات الرصد تتطور أيضاً مع تطور استيعابهم لهذه العلوم ، فأخذت تظهر الكتب المختلفة عن كيفية عمل هذه الآلات والوصول بها الى مراحل الاتقان · ولكن الرصد المتقن يحتاج الى معرفة الدرجات والدقائق والثواني من الزاوية ويحتاج معرفة حساب المثلثات · فصدرت الكتب المتتالية في هذا النوع من الحساب · كانت حساباتهم أول الأمر تعتمد على القليل من حساب المثلثات الذي عرفه بطليموس ، وعلى هندسة اقليدس المسطحة · ولكن حساب المثلثات الكروية بلغت شأواً عظيماً في كتابات البيروني ، ووصل الكمال بعده عند نصر الدين الطوسي ·

محيط الكرة الأرضية :

ان أي علم من العلوم التجريبية لا تكون له قيمة اذا لم تسنده البراهين والأدلة · بل انه لا يعتبر علماً تجريبياً بدونها · وقيمة التراث الفلكي الذي قدمه العرب قائمة على مقدار الجهد الذي بذله الفلكيون في الرصد والقياس والحسابات لما رصدوا وقاسوا · فاذا دوّى اسم البتاني والبيروني والصوفي في القرون الوسطى ، فليس ذلك لأنهم كتبوا لنا أموراً نظرية محضة ، انما لأنهم رصدوا وحسبوا ارصادهم ، وأجادوا بعد ذلك في التعبير عن آرائهم في نتيجة ما فعلوا ·

عرف اليونان ان الأرض كروية ، أعني أن هذه الفكرة دخلت الى العلم التجريبي منذ أن نادى بها ارسطاليس (٣٨٤ ـ ٣٢٥ ق·م) · وكانت حجته قوية بسيطة · اذا تمعنت في النجم القطبي الذي تجده في الجهة الشمالية من السماء ، فانك تراه يكاد يكون ثابتاً في موضعه ، والسماء بنجومها تدور حوله في ٢٤ ساعة · وفي اليونان حيث كان يعيش ارسطاليس يبدو النجم القطبي عالياً علواً لا بأس به في القبة الفلكية · ولكن المسافر الى مصر يرى أن النجم القطبي الشمالي قد انخفض في الأفق ، وسيجد

أن هناك نجوماً جديدة قد أخذت تظهر في الأفق الجنوبي لا تظهر له أبداً في اليونان • هذه الظاهرة لا يمكن تفسيرها الا اذا كانت الأرض كروية • وكانت هناك حجج أخرى لأرسطاليس ، ولكن هذه وحدها كافية •

طريقة أراتوستين النظرية :

وحوالي سنة ٢٧٠ ق•م كان الفيلسوف اليوناني أراتوستين مسؤولا عن مكتبة الاسكندرية الضخمة ، فقرأ في أحد الكتب المتيسرة لديه أن الشمس تكون عمودية على مدينة أسوان عند الظهيرة في منتصف الصيف بحيث تنعكس أشعتها عن سطح الماء في بئر عميق • فقاس ميل الشمس عن السمت في الاسكندرية في اليوم نفسه ، فوجد أنها أقل من أن تكون عمودية بسبع درجات ونصف الدرجة • هذه الدرجات هي الفرق بين أسوان والاسكندرية في محيط الأرض • كله ٣٦٠ درجة ، وهذا يبلغ خمسين ضعف الرقم الذي حصل عليه تقريباً ، وسأل فوجد أن المسافة بين أسوان والاسكندرية ٥٠٠٠ ستاديوم • فضرب هذا الرقم في ٥٠ وحصل على رقم يقارب الحقيقة وهو ما يعادل ٢٤٨٥٠ ميلا انجليزياً •

طريقة العرب العملية :

بيد أن العرب سلكوا طريقة أكثر عناء ، وتتطلب أجهزة دقيقة جداً في سبيل الوصول الى الهدف نفسه • ولا أدري اذا كان لديهم آنذاك علم بقياس اراتوستين •

لما كان القطب الشمالي الفلكي ثابتاً في السماء ، ونراه يرتفع كلما سرنا الى الشمال وينخفض كلما سرنا الى الجنوب، فمعنى ذلك أننا اذا قسنا ارتفاع القطب ونحن في موضع معين ، ثم أخذنا بالسير الى الشمال حتى يزيد ارتفاع القطب درجة واحدة ، فاننا نكون قد سرنا بمقدار درجة واحدة من محيط الأرض • الفكرة سليمة جداً وصحيحة نظرياً • ولكنها تتطلب أجهزة دقيقة للغاية • ومما يزيد المسألة تعقيداً أن نجم القطب الشمالي ليس في القطب الشمالي بالضبط لكي يكون دليلا في القياس • انه يبعد حالياً حوالي درجة واحدة عن القطب وكان قبل ألف سنة يبعد خمس درجات • والذين قاموا بهذا القياس يعرفون ذلك ، وكان عليهم أن يعيّنوا موضع القطب الشمالي أولا ثم يقيسوا ارتفاعه عن الأفق • انه عمل جبار معقد ، على الأقل كان معقداً في تلك الأيام •

قام الفلكيون العرب بهذا العمل بأمر من الخليفة المأمون • وينقل لنا نلينو من النسخة الخطية الوحيدة الموجودة لكتاب الزيج الحاكمي الكبير – وهي محفوظة في مكتبة ليدن – لابن يونس المصري ، ما يلي :

« الكلام فيما بين الأماكن من الذرع • ذكر سند بن علي في كلام وجدته له ، أن المأمون أمره هو وخالد بن عبد الملك المروروذي (نسبة الى مرو الرّوذ) أن يقيسا مقدار درجة من أعظم دائرة من دوائر سطح كرة الأرض • قال فسرنا لذلك جميعاً ، وأمر علي بن عيسى الاسطرلابي وعلي بن البحتري بمثل ذلك فسارا الى ناحية أخرى • قال سند بن علي : فسرت أنا وخالد بن عبد الملك الى ما بين وامة (كذا ، ولعلها واسط الرقة) وتدمر ، وقسنا هناك مقدار درجة من أعظم دائرة تمرّ بسطح كرة الأرض فكان سبعة وخمسين ميلا ، وقاس علي بن عيسى بن البحتري فوجدا مثل ذلك ، وورد الكتابان من الناحيتين في وقت واحد بقياسين متفقين • وذكر أحمد بن عبدالله المعروف بحبش في الكتاب الذي ذكر فيه أرصاد أصحاب المتحن (أي فلكيي الخليفة المأمون برئاسة يحيى ابن أبي منصور الذين ألّفوا الزيج المتحن بناء على الأرصاد العربية المتحنة) بدمشق ، أن المأمون أمر بأن تقاس درجة من أعظم دائرة من دوائر بسيط كرة الأرض • قال فساروا لذلك في برية سنجار حتى اختلف ارتفاع النهار بين القياسين في يوم واحد بدرجة ثم قاسوا ما بين المكانين فكان ؟[2] ميلا وربع ميل منها أربعة آلاف ذراع بالذراع السوداء التي اتخذها المأمون • وأقول أنا وبالله التوفيق ان هذا القياس ليس بمطلق بل يحتاج مع اختلاف ارتفاعي نصف النهار بدرجة الى أن يكون القائسون جميعاً في سطح دائرة من دوائر نصف النهار ، والسبيل الى ذلك بعد أن نختار للقياس مكاناً معتدلا ضاحياً أن نستخرج خط نصف النهار في المكان الذي يبتدىء منه القياس ثم نتخذ حبلين دقيقين جيدين طول كل واحد منهما نحو خمسين ذراعاً ، ثم نمرّ أحدهما موازياً لخط نصف النهار الذي استخرجناه الى أن ينتهي ، ثم نضع طرف الحبل الآخر في وسطه ونمره راكباً عليه الى حيث بلغ ، ثم نرفع الحبل الأول ونضع أيضاً طرفه في وسط الحبل الثاني ونمره راكباً عليه

٢ – في المقال اشارة استفهام • وفي النص الذي يذكره نلينو (نو) ولم يفهم المستشرق هذا الرمز وهو واضح في حساب الجمل ومعناه ٥٦ الواو ستة والنون بخمسين (المجلة) •

ثم نفعـل ذلك دائمـاً ليحفـظ السمت وارتفاع نصف النهـار يتغير دائماً بـين المكان الأول الـذي استخرج فيـه خط نصف النهار والمكان الثاني الذي انتهى اليه الذين يسيرون حتـى اذا كان بـين ارتفاعي نصف النهار في يوم واحد درجة بآلتين صحيحتين تبـين الدقيقـة في كـل واحدة منها قيس ما بين المكانين فما كان من الأذرع فهو ذرع درجـة واحدة مـن أوسع دائرة تمر ببسيط كرة الأرض • وقد يمكن أن يحفظ السمت عوضاً عن العبلين بأشخاص ثلاثة تسير بعضها بعضاً على سمت خط نصـف النهار المسـتخرج وينقل أقربها من البصر متقدماً ثم الذي يليه ثم الثالث دائماً ان شاء الله » • انتهى كلام ابن يونس المصري •

لقد أوردت هذا الكلام كله لأطلـع القارى على أسلوبكتابة الفلكيين العرب، أو على الأقـل على أسلوب ابـن يونس المصري ، وخوفه من أن يكون الراصدون الذين يتحدث عنهم قد ضلوا وحادوا عن الطريق السوي ، ولهذا فهو يصف لهـم الطريقـة التي تمنعهـم عن الضـلال في نياس كهذا •

ويستخلص من زيج ابن يونس أن لفرقتين اللتـين قامتا بهذا القياس قد صلتا الى نتيجتين مختلفتين • فكـان طول الدرجة عند احداهمـا ٥٦ وربـع الميل وعند الثانيـة ٥٧ ميـلا ، فاتخـذ متوسطهما ٥٦ وثلثي الميل •

واذا أخذنا نتساءل عن مدى دقـة هذا القياس وقرب النتيجة التي توصلوا اليها من الحقيقـة ، اعترضتنا مشاكـل كثيرة • فكم هو طول الميل العربي ؟ هل هو أطول أو أقصر من الميل الانجليـزي الذي نعرفه الآن ؟ وسننتهي الى نتيجـة تقول اننا لا نعرف بالضبط •

ان عـدم وجـود قيـاس معيـاري للمسافات في العصور المتقدمـة جعلنـا نتحـير في النتائـج التي تتضمـن هـذه القياسات • حتى النتيجة التي توصـل اليهـا اراتوسـتين ، فهي تعتمـد علـى الستاديوم، وقد كانت هناكأنواع مختلفة للستاديوم ، ولكـن حسابها بالسـتاديوم الاسكندراني أعطانا هذه النتيجة القريبة من الحقيقـة •

غير أن الطريقة التي قام بها العرب كانت صحيحة، والعمل نفسه كان جباراً• ويعلق نلينو على ذلك فيقول « أما قياس العرب فهو أول قياس حقيقي أجري كله مباشرة مع كل ما اقتضته تلك المساحة من المدة الطويلة والصعوبة والمشقةواشتراك جماعة من الفلكيين والمسّاحين في العمل•

فلا بد لنا من عداد ذلك القياس في أعمال العرب العلمية المجيدة المأثورة ٠ »*

(حاشية ـ لقد قام الأستاذ حسن منزل من الهند بتحقيق الميل العربي بالنسبة الى الميل الانجليزي ، فوجد ان الرقم الذي توصل اليه فلكيو المامون في قياس محيط الكرة الأرضية هو ٢٤٨٢٥ ميلا انجليزيا ٠ يذكر هذا في المقدمة التي كتبها باللغة الانجليزية لكتاب القانون السعودي المطبوع باللغة العربية في مطبعة دائرة المعارف العثمانية في حيدر اباد ٠ الدكن ، بالهند ٠)

قياسات أخرى :

كانت هذه الخطوة الجبارة بداية انطلاق للفلكين اللاحقين ، عرفوا منها أو من الروح الدافعة اليها أن الأساس الذي تقوم عليه دراسة الفلك هو الرصد والقياس ٠ واذا استثنينا أبارخوس وبطليموس فلا نجد في تاريخ الفلك السابق من كان يعتمد في رصده على القياس ٠

وقد حاول البيروني أن يعرف محيط الأرض بطريقة أخرى ٠ وذلك بأن يقيس زاوية غروب الشمس وهو على رأس جبل عال، ثم يقدّر ارتفاع ذلك الجبل، ويستعمل في ذلك حساب المثلثات ٠ يذكر نلينو أن الأستاذ ويدمن الألماني أرسل اليه صورة فوتوغرافية عن النسخة الوحيدة المعروفة لكتاب الأسطرلاب للبيروني المحفوظة في مكتبة برلين جاء فيها « وفي معرفة ذلك طريق قائم في الوهم صحيح بالبرهان والوصول الى عمله صعب لصغر الأسطرلاب وقلة مقدار الشيء الذي الذي يبنى عليه فيه ، وهو أن تصعد جبلا مشرفاً على بحر أو بريّة ملساء وترصد غروب الشمس فتجد فيه ما ذكرناه من الانحطاط ثم تعرف مقدار عمود ذلك الجبل وتضربه في الجيب المستوى لتمام الانحطاط الموجود وتقسم المجتمع على الجيب المنكوس لذلك الانحطاط نفسه ثم تضرب ما خرج من القسمة في اثنين وعشرين أبداً وتقسم المبلغ على سبعة ، فيخرج مقدار احاطة الأرض بالمقدار الذي قدّرت به عمود الجبل ٠ ولم يقع لنا بهذا الانحطاط وكميته في المواضع العالية تجزبة ٠ وجرّأنا على ذكر هذا الطريق ما حكاه أبو العباس النيريزي عن أرسطولس أن أطوال أعمدة الجبال خمسة أميال ونصف بالمقدار الذي به نصف قطر الأرض ثلاثة آلاف ومائتا ميل بالتقريب ، فان الحساب يقضي لهذه المقدمة أن يوجد الانحطاط في الجبل الذي عموده هذا القدر ثلاث درجات بالتقريب ٠ والى التجربة يلتجأ في مثل هذه الأشياء وعلى الامتحان فيها يعوّل وما التوفيق الا من عند الله العزيز الحكيم ٠ »

انتهى كلام البيروني ٠ والجيب

★ يقدر الميل العربي ب ١٨٤٨ مترا ، اما نلينو فيقدره ب ١٩٧٣ر٢ مترا ٠ (المجلة)

المنكوس هو ما نسميه الآن جيب التمام و ٢٢ على ٧ هي النسبة التقريبية • ونرى من كلامه هذا أنه لم يكن قد قام بعد بقياس محيط الأرض • ولكن الأستاذ حسن منزل يذكر أن البيروني قد قام بهذا القياس عندما كان رهن الاعتقال في قلعة ناندا في البنجاب الغربية ، فقد قاس محيط الأرض ومقدار الدرجة الواحدة من المحيط ، وأن البيروني يذكر طريقة مماثلة في كتابه « التحديد » • ويذكر أن البيروني أيضاً قاس مساحة سطح الأرض، وحجمها ووزنها بالذهب •

والواقع أن الفلكيين العرب لم يتركوا قياساً فلكياً يمكن أن يمر بالبال في تلك الأيام ، وبمقدار مفهومهم عن الفلك الا وطرقوه • فأعادوا قياسات أبارخوس وبطليموس ، وعدّلوها بحسب ما دلت عليه آلات رصدهم التي أصبحت في الحقيقة أدق من تلك التي استعملها هذان العالمان • وقاموا بقياسات جديدة أيضاً • وكانت قياساتهم هذه موضع تعديل مستمر ، بحيث نجيز لأنفسنا أن نقول ان أدق ما وصلوا اليه هو ما حققه البيروني •

فقاسوا مقدار ميل دائرة البروج عن خط الاستواء الفلكي وعرفوا تقدم الاعتدالين ، وعينوا خطوط الطول والعرض • وعلى خلاف ما ذكر بطليموس قالوا ان الشمس تبتعد وتقترب من الأرض ، وكذلك القمر • اذن فقد عرفوا وحدهم أن سير هذه الآجرام الظاهري حول الارض ليس في دوائر وانما في أشكال اهليلجية ، فهي تقترب أحياناً فتصبح في الحضيض وتبتعد أحياناً فتصبح في الأوج •

وهذه هي الفكرة التي اعتمد عليها الامام أبو الحسن كوشيار بن لبان الجيلي في رسالته « في الأبعاد والأجرام » التي وجهها الى البيروني (طبع دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ــ الدكن) • ففيها يعتمد على حجم القمر عندما يكون في الأوج وعلى حجمه عندما يكون في الحضيض ، والفرق في الظل في أثناء الخسوف في الحالتين • وفي تقدير أبعاد الكواكب السيارة ، يعتمد على حجمها الظاهري في الأوج وفي الحضيض • ومن الغريب أنه بهذه الطريقة عرف أن الأرض أكبر من عطارد ومن الزهرة وأصغر من المشتري وزحل ، وأخطأ في نسبة حجمها الى حجم المريخ ، فقال انه أكبر منها •

وفي ذروة الدقة في الرصد في العصور نصل الى عبد الرحمن الصوفي الذي وضع كتاب « صور الكواكب الثمانية

والأربعين » (والكواكب هنا ، جمع كوكبة والمقصود بها المجموعة النجومية) • فقد كان كتابه الأطلس الدقيق الذي صحح ما وصفه بطليموس وأبارخوس وعدّل عليه ، بحيث ظل المرجع الأساسي للراصدين حتى القرن السابع عشر الميلادي حين ظهر المرقب •

الكابوس الجاثم على الفلك عند العرب :

نرى من هذا ، أن العرب لم يكونوا مجرد ناقلين لعلم الفلك الذي تسلّموه من الهند والفرس واليونان، بل انهم هضموا العلم وتمثلوه، فنقّحوه وصححوه وزادوا عليه وجعلوه في حلة جديدة ، هي أرقى ما يمكن أن تصل اليه فنون المعرفة في العصور الوسطى التي كانت تفتقر الى المرقب والى الآلات الدقيقة الصنع•

ونرى البيروني ينتقد تهاون بطليموس وتخيلاته في بعض ما ورد عنه • فهو يجد أن بطليموس حين حسب بعد الشمس عن الأرض أخذ في الاعتبار الكسوف الكلي للشمس ولم يعتبر الكسوف الحلقي • يقول :

« لكن بطليموس أخذ قطر القمر في البعد الأبعد مساوياً لقطر الشمس ، معتمداً فيه الوجود بثقبتي ذات الشعبتين، ولم يجعل لقطر الشمس اختلافاً باختلاف أبعادها في فلك الأوج تهاوناً بذلك ومخيلا اياه على الغيبة عن الخبر مع ايجاب الحال اياه ظاهراً له • » ثم يكمل قائلا : « وقد اتضح أن القمر في أبعد بعده عن الأرض يقصر عن كسف الشمس بكليتها وهي عند أوجها وأما أقصره عن ذلك اذا كانت هي عند حضيضها ، وما حكيناه عن الايرانشهري في كسوف الشمس يشهد بخلاف ما بنى عليه بطليموس ، وأن الكسوف التام لا يمكن الشمس الا في بعد هو الى الوسط أقرب منه الى الأبعد • »

ولكن البيروني لم يشاهد في حياته كسوفاً تاماً للشمس ، ولهذا فهو مضطر اضطراراً الى الأخذ بما جاءه من بطليموس • يقول « ولما لم يكن وقع الينا كسوف للشمس تام مرصود في وقت معلوم ولا من الأرصاد المحققة ما يمكن به الوصول الى هذا الباب من غير تسلم ما أسسه بطليموس • »

اذن كان البيروني لا يأخذ شيئاً من أرصاد بطليموس الا وضعه موضع التمحيص والتدقيق ، فينتقده حيث يجده مقصراً ويصححه في مواضع أخرى • وبالمثل نجد عبدالرحمن الصوفي عندما يذكر النجوم يبين أخطاء بطليموس • اذن فهم كانوا يعتبرونه نداً لهم كثير الأخطاء ••• ولكن •••

ولكنهم مع كل هذا ما زالوا يسيرون على قوله ان الأرض في مركز الكون وان جميع الآجرام تدور حولها ·

قد تكون الهالة القدسية التي أحاطت بالمجسطي عندما ترجمه العرب في مطلع حضارتهم هي التي ظلت تهيمن على الفلكيين العرب في أوج هذه الحضارة · ومع أن هذه القدسية قد أزالها البيروني والصوفي الا أن المجسطي وما جاء به ظل كابوساً جاثماً على الفكر الفلكي العربي ، وقوله بثبات الأرض ظل هو القول المفضل مع أن البيروني يعتبر ذلك لمجرد سهولة الحساب عنده ·

والواقع أن القول بدوران الأرض حول الشمس واعتبارها كوكباً سيّاراً ، لم يكن باحتياج الى مرقب ولا الى آلات رصد دقيقة الصنع · وعندما جاء بهذا القول كوبرنيكس بعد ذلك بخمسة قرون، لم يكن المرقب قد اخترع بعد ، ولم تكن الصناعة قد تطورت لتنتج آلات دقيقة · والعرب كانوا يعرفون هذا الرأي·

وقد قال به بعض الفلكيين اليونان من قبلهم ، ولكن أقوالهم لم تأخذ جذورها في العلم لأنه كان رأياً نظرياً · غير أننا نجد أحد الفلكيين العرب قد اتخذ خطوات عملية نحو هذه النظرية ، فصنع اسطرلاباً خاصاً · ففي مقدمة القانون المسعودي ، يورد الأستاذ حسن منزل مايقوله البيروني في كتاب « الاستيعاب » الذي لم يطبع بعد ، ما يلي « وقد رأيت لأبي سعيد السجزي اسطرلاباً من نوع واحد بسيط غير مركب من شمالي وجنوبي ، سماه الزورقي ، فاستحسنته جداً لاختراعه اياه على أصل قائم بذاته ، مستخرج مما يعتقده بعض الناس من أن الحركة الكلية المرئية الشرقية هي للأرض دون الفلك · ولعمري هي شبهة عسرة التحليل صعبة المحق ، ليس للمعوّلين على الخطوط المساحية من نقضها شيء ، أعني بهم المهندسين وعلماء الهيئة ، على أن الحركة الكلية سواء كانت للأرض أو كانت للسماء ، فانها في كلتا الحالتين غير قادحة في صناعتهم ، بل ان أمكن نقض هذا الاعتقاد وتحليل هذه الشبهة فذلك موكول الى الطبيعيين من الفلاسفة · » انتهى كلام البيروني ·

والمعلومات المتوافرة لديّ عن أبي سعيد السجزي تفيد أنه عالم بارع في الرياضيات، واسمه أحمد بن محمد بن عبد الجليل ، وله في مكتبتي رسالة هندسية « في الشكل القطاع » طبع دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد · ولست أعرف له ما يفيد عن رأيه في دوران الأرض الا

رواية البيروني هذه وبعض تعليقات الفلكيين العرب الآخرين عليها ·

الا أن البيروني نفسه ، بعقليته الجبارة ، لم يكن يستطيع أن ينفي دورة الأرض · ففي كتابه « تحقيق ما للهند »، حين يتحدث عن أحد الفلكيين الهنود واسمه براهمكو بت الذي يقول ان الأرض هي التي تدور ، نجده يعلّق التعليق التالي – « ونهب أن ذلك صحيح وأن الأرض تدور الدورة التامة نحو المشرق ··· كما يدورها السماء عنده ، فما العائق فيها عن الموازنة والموازاة ؟ ثم ليست حركة الأرض دوراً بقادحة في علم الهيئة شيئاً بل تطّرد أمورها معها على سواء ، وانما تستحيل من جهات أخر ولذلك صارت أعسر الشكوك في هذا الباب تحليلا ، وقد أكثر الفضلاء من المحدثين بعد القدماء الخوض فيها وفي نفيها · »

حتى تسامح البيروني نحو الذين يقولون بدوران الأرض لم ينج من تعليق بعض العلماء تعليقاً لاذعاً · وينقل لنا نلينو عن القسم غير المطبوع من كتاب « جامع المبادىء والغايات » لأبي علي الحسن المراكشي من علماء القرن السابع الهجري ، عند وصف الاسطرلاب المعروف بالزورقي ، هذا النص « قال أبو الريحان البيروني : ان مستنبط هذا الاسطرلاب هو أبو سعيد السجزي ، وهو مبني على أن الأرض متحركة والفلك بما فيه الا السبعة السيارة ثابت · قال البيروني وهذه شبهة صعبة الحل · وعجيب منه كيف يستصعب شيئاً هو في غاية ظهور الفساد وهذا أمر قد بيّن فساده أبو علي بن سينا في كتاب الشفاء وبيّن فساده الرازي في كتاب ملخص وفي كثير من كتبه وغيره · »

يبدو أن الزمن لم يكن قد حان بعد لكي ينطق عالم بهذه الحقيقة ، وكان على العالم أن ينتظر خمسة قرون أخرى ليسمع كوبرنيكس ينطق بها ·

خلاصة ما سبق :

أخذ العرب الفلك عن الهنود والفرس واليونان بشكل مهلهل ، فنقحوه وعدلوه ووضعوا كل مسألة فيه موضع البحث والتدقيق الشديدين ، وكتبوا في ذلك الرسائل والكتب العديدة وبينوا الأساس الحسابي لكل خطوة من الخطوات، وأصبح علم الفلك المتداول هو غير ذلك الذي تسلموه بادىء الأمر ·

والواقع أنهم لو لم يحافظوا على ذلك الكابوس المسمى المجسطي بما يتضمنه من دوران الفلك حول الأرض لاعتبر الفلك علماً مستقلا صادراً عن

العرب قائماً بالطبع على الأسس التي أخذوها عمن سبقهم .

وكانت أوربا في أواخر العصور الوسطى وأوائل العصور الحديثة تأخذ من هذا العلم العربي وتدرس الكتب التي وضعها هؤلاء العباقرة العرب . وعن طريقهم عرفوا بطليموس و المجسطي . حتى ان كلمة المجسطي هي الاسم الذي وضعه العرب لكتاب بطليموس . ونسخ الكتاب اليوناني الأصلية لا تحمل هذا الاسم .

وعندما اكتشف المرقب في أوائل القرن السابع عشر الميلادي ، ظهرت آفاق جديدة لعلم الفلك . كان العرب آنذاك تحت الحكم العثماني ، ووقفت مظاهر التقدم في جميع النواحي الفكرية ولم نعد نسمع عن علماء بارزين ولا عن المراصد أو الاسطرلابات . انتقلت الحضارة كلها الى أوربا وأصبح القانون المسعودي للبيروني Canon Masudicus المرجع الأساسي لكل شؤون الفلك ، وصور الكواكب الثمانية والأربعين للصوفي هو الأطلس الأساسي للسماء ، هذا بالاضافة الى الكتابات الفلكية الأخرى للبتاني وابن الهيثم ونصر الدين الطوسي وغيرهم . وعندما أخذ هيفيليوس يرصد القمر ووجد أمامه فوهات عديدة وكان عليه أن يختار لها أسماء ، لم ينس أن يضع أسماء لبعض هؤلاء العلماء . أما النجوم الثابتة ، فقد أخذوها عن الصوفي ، ولهذا ظلت معظمها تحتفظ بالأسماء التي وضعها لها هذا العالم كما سنرى فيما يلي من هذا المقال .

القمر :

لم يكن هيفيليوس وحده هو الذي وضع أسماء تضاريس القمر ، بل كان أول من فعل ذلك ، سنة ١٦٤٧ ، وتلاه جريمالدي وريكيولي وغيرهما . كان المرقب قد اكتشف حديثاً ــ ١٦١٠ ــ وكان قليل الانتشار باهظ الثمن قليل الاتقان . ومن استطاع أن يحصل على مرقب ويرصد القمر يستطيع أيضاً أن يرسم خارطة له ويضع الأسماء التي يشاء لها . وعلى هذه الطريقة اختار ريكيولي وجريمالدي فوهتين كبيرتين وسمياهما باسميهما .

وقد سميت البقاع الدكناء في القمر بحاراً ، وأطلقت على الجبال أسماء جبال معروفة على الأرض ، أما الفوهات القمرية فأطلق عليها أسماء رجال ، من المفروض أنهم من العلماء الفلكيين ، الا أننا نجد كثيراً جداً من هذه الأسماء ما لا نكاد نعرف عنه شيئاً .

ومن مراجعة بعض الخرائط



■ شكل رقم (١) نصف القمر الغربي ■



■ شكل رقم (٢) نصف القمر الشرقي ■

القمرية ، وجدت أن هناك عشر فوهات مسماة بأسماء فلكيين عرب منهم المأمون ، على اعتبار تشجيعه للفلك • قد تكون هناك فوهات أكثر ولكن يجب أن نعرف أن هذه الأسماء هي في شكلها اللاتيني الذي عرفه الراصدون الذين سموا الفوهات ، وليس غريباً أن تكون هناك أسماء أخرى غابت عني فلم أستطع ربطها باسم عالم عربي حين قرأتها في

شكلها اللاتيني • ومن الغريب جداً أن لا نجد للبيروني فوهة بينما نجد فوهة لكاتب عربي لا علاقة له بالفلك ولم يكتب فيه هو أبو الفداء •

وتعليقاً على الشكلين الأول والثاني المرافقين نقول انهماخارطة للقمر قسمت الى شكلين لكي تتسع لهما الصفحة • واذا كان في الامكان قطعهما والصاقهما سيكونان خارطة كاملة للقمر • ولكن

الشمال في أسفل الخارطة (أو الخارطتين) وذلك لأن الصورة في المرقب الفلكي تظهر غالباً معكوسة ولذلك ترسم الخرائط الفلكية معكوسة • وتبدو فيها الفوهات التالية :

١ ــ أبو الفدا . Abulfeda

٢ ــ البتاني ، وهو أبو عبدالله البتاني . Albategnius

٣ ــ الفرغاني . Alfraganus

٤ ــ الحسن بن الهيثم . Alhazen

٥ ــ المأمون . Almamon

٦ ــ الصوفي . Azophi

٧ ــ جابر ، ولست أدري هل المقصود جابر بن الأفلح أو جابر بن حيان . Geber

٨ ــ نصرالدين، والمقصودهو نصرالدين الطوسي . Nasireddin

٩ ــ ثابت ، وأظن المقصود ثابت بن قرة وليس ثابت بن سنان . Thebit

١٠ــ اولغ بك . Ulug Beigh

النجوم الثوابت وأسماؤها :

أما النجوم الثوابت فالأسماء العربية لا تزال طاغية عليها في العصر الحديث بشكل يسترعي انتباه كل من حاول آن يلقي نظرة على أطلس من أطالس السماء الحديثة • ولا يتسع المجال هنا لايراد المجموعات السماوية كلها والتحدث عن أسماء النجوم فيها • ولكن من الواجب علينا أن نسرد للقارىء بعض النماذج منها ، لاعطائه فكرة تقريبية • وأرى أن أتناول الدب الأكبر لأنها مجموعة مألوفة للكثيرين ، ومن السهل أن أدل عليها من لا يعرفها ، ثم الدب الأصغر لقربه منها ولسهولة الاهتداء اليه، واحدى مجموعات الشتاء لأني أقدّر أن هذا المقال سينشر في هذا الفصل اذا قدّر الله له النشر •

وقبل ذلك ، نقول ان النجوم كانت في أيام العرب تحمل بالاضافة الى الأسماء حروفاً عربية • فلم تكن كل النجوم تحمل أسماء لا سيما تلك الخافتة منها • فكان يرمز اليها بالحروف أ ، ب ، جـ ، د ، هـ •• الخ • واذا كانت النجوم عديدة ولم تكف الحروف وضع حرفان ــ يا ، يب ، يج ••• الخ •

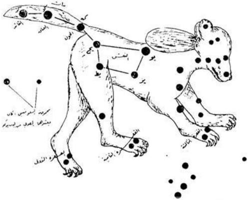
لكن في بداية القرن السابع عشر الميلادي وضع حنا باير حروفاً يونانية للدلالة على النجوم واستعمل النظام العربي نفسه، سوى أنه استبدل الحروف• وما زاد على عدد الحروف اليونانية أصبح يعطى أرقاماً • أما أسماء النجوم

نفسها فقد ظل كما هو سوى ما كان قد تغير في أثناء فترة الانتقال ، وما استطاع البعض أن يغيره بعد ذلك • ولهذا لا يستغرب القارىء اذا وجدنا نقول عن أحد النجوم ألفا الدب الأكبر أو بيتاً أو جاما الدب الأكبر، فهذه هي الاصطلاحات التي يطلقها الفلك الحديث على النجوم ، وهي بالحروف اليونانية •

مجموعة الدب الأكبر :

قبل أن تحاول النظر الى السماء يجب أن تعرف أن القبة السماوية كلها تبدو لنا أنها تدور حولنا دورة كاملة في مدة تقارب ٢٤ ساعة ، وأن مركز دورانها هو القطب الشمالي • والدب الأكبر من المجموعات القريبة من القطب الشمالي • انظر الى الشمال ، فاذا لم تجدها كان معنى ذلك أنها في دورتها مع القبة الفلكية في تلك الساعة عند الأفق ويصعب عليك رؤيتها• ارجع وانظر اليها بعد ست ساعات ، أي بعد أن تكون قد دارت ربع دورة ، فستجدها ماثلة أمام عينيك • وقد اخترت هذه المجموعة في الواقع لأنها أكثر مجموعة معروفة بين الناس ومن السهل الاستدلال عليها •

ويبدو في المجموعة سبعة نجوم لامعة جداً• أربعة منها على شكل شبه منحرف ، أو كما يقول الصوفي مربع مستطيل



■ شكل رقم (٣) كوكبة الدب الأكبر ■
(كما رسمها عبدالرحمن الصوفي)

وثلاثة ممتدة الى ناحية بالتواء ، هي الذنب •

يقول الصوفي « والعرب تسمي الأربعة النيرة التي على المربع المستطيل والثلاثة التي على ذنبه بنات نعش الكبرى وبني نعش وآل نعش، منها الأربعة النيرة التي على المربع المستطيل « نعش » والثلاثة التي على الذنب « بنات » • ويسمى أيضاً الأربعة التي على النعش «سرير بنات نعش» ويسمى الذي على طرف الذنب القايد والذي على وسطه العناق والذي يلي النعش وهو الذي على أصل ذنبه الجون •

وفوق العناق كوكب صغيرة ملاصق له يسميه العرب السها ، وفي بعض اللغات من العرب الستا ، والصيدق ،

ونعيش، ولم يذكره بطليموس وهو الذي يمتحن الناس به أبصارهم ، فيقولون أريه السها ويريني القمر • وتسمى الستة التي على الأقدام الثلاثة ••• قفزات ••• الخ ••• »

واذا نظرنا الآن الى خارطة لمجموعة الدب الأكبر منقولة من أحد الأطالس الحديثة نرى أن النجوم كلها ـ كما قلنا ـ تحمل أسماء بالحروف الأبجدية اليونانية • ولكن بالاضافة الى ذلك هناك أسماء خاصة للنجوم اللامعة •

ألفا الدب الأكبر ـ وهو (يو) التي على الظهر عند الصوفي ، وأترجمه الدبة Dubhe .

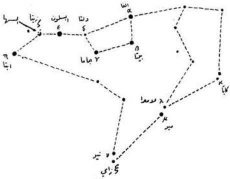
بيتا الدب الأكبر ـ وهو (يز) الذي على المراق Merak .

جاما الدب الأكبر ـ وهو (يط) الذي على الفخذ اليسرى المؤخرة Phecda .

دلتا الدب الأكبر ـ وهو (يج) الذي على مغرز الذنب Megrez .

ابسلون الدب الأكبر ـ هو (كه) وهو الجون ، واسمها الأجنبي Alioth وأظن أنها تحريف الألية ، وهذا ما يراه باير حين نقل الاسم عن سكالينجر •

زيتا الدب الأكبر ـ وهي (كو) العناق ، وهي الآن في الأجنبية Mizar



■ شكل رقم (٤) خارطة الدب الأكبر ■
(كما هي في الفلك الحديث هذه الأيام)

وقد قام بوضع هذا الاسم لها سكالينجر وهو يقصد المئزر باللغة العربية الذي يلف به الخصر •

أيتا الدب الأكبر ـ وهو (كز) عند الصوفي واسمه القائد Alkaid .

كابا الدب الأكبر ـ بالأجنبية Talita والمقصود القفزة الثالثة

لامدا الدب الأكبر Tania Borealis والمقصود القفزة الثانية الشمالية •

ميو الدب الأكبر Tania Australis أي القفزة الثانية الجنوبية

نيو الدب الأكبر Alula Borealis أي القفزة الأولى الشمالية

زاي الدب الأكبر Alula Australis أي القفزة الأولى الجنوبية

٨٠ الدب الأكبر – وهو السهـا ، ولا يرسمه الصوفي في الصورة · اسمه الأجنبـي Alcor

وقد يكون من الخوار ، على رأي الأستاذ روبرت و ست من الكلية السورية البروتستانتية في بيروت في مقال نشره سنة ١٨٩٥ ·

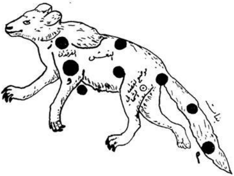
مجموعة الدب الأصغر :

من السهل الاستدلال عليها اذا عرفنا موضع الدب الأكبر · ارسم خطاً وهمياً من نجم المراق الى نجم الدبة ، ومدّه على استقامته خمسة أضعاف المسافة بين النجمين · ستجد أنك قد وصلت الى النجم القطبي ·

والنجم القطبي هو ذنب الدب الأصغر · وتبدو فيه سبعة نجوم لامعة نوعاً ما ، شكلها شكل الدب الأكبر تماماً ، الا أنها مصطفة بشكل مقلوب ، فرأس الدب الأصغر في اتجاه ذنب الدب الأكبر ، وذنبه في اتجاه رأسه ·

يقول الصوفي « وانما شبهت السبعة بصورة الدب لشبهها بالسبعة التي من صورة الدب الأكبر ، ثلاثة منها على ذنبه أيضاً وأربعة على بدنه وله رأس وقوائم وخلقته شبيهة بخلقة الدب ·

فأما الأصغر (أي الدب الأصغر) فان العرب تسمي السبعة على الجملة



■ شكل رقم (٥) كوكبة الدب الأصغر ■
(كما هي في كتاب الصوفي)

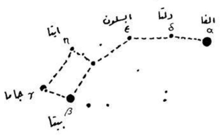
بنات نعش الصغرى ، منها الأربعة التي على المربع نعش والثلاثة التي على الذنب بنات · وتسمي النيرين من المربع الفرقدين، والنيّر الذي على طرف الذنب الجدي ، وهو الذي يتوخى به القبلة · »

ونجد أن النجوم اللامعة في هذه المجموعة هي :

ألفا الدب الأصغر – هو (أ) عند الصوفي ، وهو النجم القطبي الآن ، وتسميه العرب الجدي ، واسمه الشائع في الفلك الحديث Polaris وله اسم آخر في الكتب الفلكية الحديثة لا يستعمل في الواقع وهو Alruccabah بمعنى الركبة ، وهو اسم وجد في جداول الفونسين الموضوعة سنة ١٥٢١ ، وأورده باير ·

بيتا الدب الأصغر – وهو (و) وهوانور الفرقدين Kocab .

جاما الدب الأصغر ـ (ز) وهو أخفى الفرقــدين Phercad .



■ شكل رقم (٦) خارطة الدب الأصغر ■

مجموعة الصياد وهي كوكبة الجبار :

اخترت هذه المجموعة لأنها تسيطر على رقعة السماء في فصل الشتاء بشكل يستزعي الانتباه ، وأظن من السهل أن يهتدي اليها القارىء لكثرة النجوم المتلألئة فيها وشدة تألقها ٠

واذا ألقيت نظرة على الخارطة رأيت الشكل الذي تصطف فيه نجوم هذه المجموعة ٠ لقد رأى اليونان في هذا الشكل صورة صياد وكأنه يطارد الثور (وهي المجموعة الواقعة الى الغرب منه مباشرة) يتبعه كلبان (وهما مجموعتان خلفه أي الى الشرق ، والأصغر من الكلبين الى الشمال والأكبر الى الجنوب) وقد قبع تحت قدميه الأرنب المسكين ٠

أما العرب فقد رأوا فيه كما يقول الصوفي « صورة رجل قائم ٠٠٠ أشبه شيء بصورة الانسان ، له رأس ومنكبان ورجلان ، وسمي الجبار لأنه على كرسيين وبيده عصا وعلى وسطه سيف ٠٠٠ » ولكن هذه الصورة هي نفسها الصورة اليونانية التي عرفها الفلكيون العرب ، أما العرب في الجزيرة فقد أطلقوا عليها اسم الجوزاء ٠

وبعد أن يعيّن الصوفي موضع النجوم في هذه الكوكبة ، يقول « والعرب تسمي الأول من كواكبه وهي الثلاثة الصغار المتقاربة التي تشبه نقط الثاء على موضع الرأس بالهقعة ، وهقعة الجوزاء أيضاً والأثافي أيضاً تشبيهاً به ، وهو المنزل الخامس من منازل القمر ٠ ويسمى النيّر العظيم منكب الجوزاء ويد الجوزاء أيضاً ٠٠٠ ويسمى الكوكب الثالث الذي على المنكب الأيسر الناجذ ويسمى المرزم أيضاً ٠ ويسمى الثلاثة النيّرة المصطفة التي على وسطه منطقة الجوزاء ونطاق الجوزاء والنظام والنظم أيضاً ، ويروى أيضاً نظم الجوزاء وفقار الجوزاء ٠

وتسمى الثلاثة المنحدرة المتقاربة المصطفة سيف الجبار ، ويسمى النيّر العظيم الذي على قدمه اليسرى رجل الجوزاء وراعي الجوزاء أيضاً ٠٠٠



■ شكل رقم (٧) صورة كوكبة الجبار للصوفي ■



■ شكل رقم (٨) خارطة مجموعة الصياد ■

ويسمى التسعة المقوسة التي على الكم تاج الجوزاء وذوائب الجوزاء » انتهى كلام الصوفي .

أما النجوم اللامعة في هذه المجموعة فهي ما يلي :

الفا الصياد ـ يد الجوزاء اليمنى عند الصوفي ، واسمها الحالي Betelgeuse وهو تحريف عن أبط الجوزاء .

بيتا الصياد ـ وهو رجل الجوزاء اليسرى Rigel .

جاما الصياد ـ الناجذ أو المرزم ، اسمها الحالي Bellatrix .

دلتا الصياد ـ وهو الغربي من الثلاثة التي في المنطقة Mintaka .

أبسلون الصياد ـ وهو أوسط الثلاثة في المنطقة Alnilam, Alnitham .

زيتا الصياد وهو الشرقي من الثلاثة
في المنطقة Alnitak .

كابا الصياد ــ وهو بالقرب من
لسيف على الرجل اليمنى Saiph .

لامدا الصياد ــ هي اللطخة السحابية
ن ثلاثة نجوم متقاربة في الرأس، يسميها
عرب الهقعة ، وقد سماها الصوفي أيضاً
بحاتي ، ولكن الفيروزبادي أطلق عليها
طأ اسم الميسان ، وهذا في الحقيقة اسم
جم آخر في مجموعة التوأمين المجاورة ،
درج الاسم على الهقعة في الفلك
حديث ، وأصبح اسمها الآن Meissa .

خاتمة :

أكتفي بهذه المجموعات الثلاث لاعطاء القارىء صورة تقريبية عن الأسماء العربية التي طبعها الفلكيون العرب على السماء • ان بحث مجموعات السماء كلها، ولو على هذا القدر من الايجاز ، لا مجال له في مقال كهذا • غير أني أرجو أن أكون قد أوضحت الفكرة التي قصدت اليها ، والله ولي القصد •

الدكتور عبدالرحيم بدر
طبيب وعالم من علماء العرب
(الكويت)

* * *

المصادر العربية للبحث

ــ علم الفلك كرلونلينو •
ــ صور الكواكب الثمانية والاربعين ــ عبدالرحمن الصوفي ــ طبع دائرة المعارف العثمانية •
ــ تحقيق ما للهند ــ أبو الريحان البيروني ــ طبع دائرة المعارف العثمانية ــ حيدر اباد ــ الدكن ــ الهند •
ــ القانون المسعودي ــ أبو الريحان البيروني ــ طبع دائرة المعارف العثمانية •
ــ الرسائل المتفرقة في الهيئة للمتقدمين ومعاصري البيروني • الرسالة الحادية عشرة ، الأبعاد والأجرام لكو شيار الجيلي ــ طبع دائرة المعارف العثمانية •
ــ كتاب الأنواء في مواسم العرب ــ لأبي محمد عبدالله بن قتيبة الدينوري ــ طبع دائرة المعارف العثمانية •

المصادر الافرنجية

1 — Star Names - R. H. Allen.

2 — Celestial Objects for Common Telescopes — T. W. Webb.

3 — Introducing Astronomy — J. B. Sidgwick.

4 — The Amateur Astronomer — Patrick Moore.

5 — Astronomy for Olevel — Patrick Moore.

صور الأرقام خلال الزمن

الأستاذ نادر النابلسي
رئيس قسم الرياضيات في كلية العلوم
بجامعة دمشق - سابقاً

أ - لمحة تاريخية

طالما تحدثت المجامعُ العلميّةُ العربيةُ واتحاداتُها وكتبُ التراثِ العلميِّ العربيِّ وقواميسُ اللغةِ والصحافةُ والمستشرقون عن صُور الأرقام العربية الهندية ، انما جاء حديثهم عنها في اقتضاب كبير وبالقليل من الأسناد غير المشفوعة غالباً بتواريخ تشير الى أزمنة ظهورها ولو بتوقيت تقريبي ، كما جاء حديثهم أيضاً بالنزر اليسير من الجهد الشخصي والدراسات الدقيقة المعوَّل عليها عادةً والقادرةِ على اصطفاء السمين الغالي من القول بدلاً من غثّه الخسيس ، ومع ذلك فلم يخطر ببالنا قط أن ننكر جهود الباحثين الموفقين في بحوثهم من قدامى ومعاصرين ، أو أن نستخفها أو أن نلقي بأقوالهم خلف آذاننا ، انما حق علينا دائماً الترحيب بها كل الترحيب وتقديرها كل التقدير ، كما وجب علينا القاءُ ضوءٍ منيرٍ أكبرَ يكشف لنا الصورة ويزيل غشاوة السنين عن أبصارنا حتى نهتدي الى جوهر الصورة ذاته •

كل ذلك يحفزنا على طرحِ السؤالِ الكبير ، ومحاولةِ الاجابة عنه بأمانة :
« هل الأرقام المعروفة بالعربية بما فيها الصفر وهي :

0, 1, 2, 3, 4, 5, 6, 7, 8, 9

هي حقاً من صنع العرب حتى سمّاها عالم الغرب باسم العرب فقال عنها :
Les Chiffres arabes

ونسميها نحن تعريباً بالصفريات العربية (1) ؟

السؤال الكبير المطروح يستدعي الاجابة عن السؤال الصغير الآتي :

ب ــ هل صور العقود التسعة وصورة الصفر الواردة أدناه هي من صنع العرب أم من صنع الهنود ؟ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ٠

جاء في كتاب «الرياضيات قيد الصنع » Mathematics in the Making » لصاحبه « هوغبن » « Lancelot Hogben » قولــه :

« لا ريب في أن المسلمين هم الذيــن نقلوا الى الغــرب حوالي ســنة ١١٠٠ ميلادية الأرقام التي يستعملها الأوروبيون اليوم ، اذ كان المسلمون يحكمــون صقلـيّــةَ سنة ٨٢٧ ميلادية ، وكـانت جامعاتهــم في اسبانيا تعتبر منــاراتٍ للعلم ، على حين كان الظلام الحالك يخيم على الحضارة هنالك » .

---

(1) جــاء في كتاب « Le Chiffre » لصاحبيه : Jérôme Peignot-Georges Adamoff ان الصفر يدل في اللغة العربية على الفراغ ، وقد زعم بعضهم ان ليس بين لفظتي الصفر والشيفر الا فرق يسير في الصــوت .

الى ان يقــول :

« ومن الغريب حقاً ان يجعل بعض علماء الغرب من فكرة الفراغ ولفظتها وهي « شيفر » (1) اسماً يطلقونه على العقود كلهــا » .

ونحــن نعلّق على الجملة الأخيرة بقولنا :

« ليس في نظرنا ان يكون هــذا التصرف غريباً في حــد ذاته اذا ما اعتبرنا العقود تبــدأ بالصفر كما هو الحــال في كتب الرياضيــات الحديثة ، اضف الى هذا انه جاء في كتاب تاريخ الفكر العربي للدكتور عمر فرّوخ قوله :

« انه نقل عن الأستاذ عبدالله بن عبدالعزيز صاحب « اللسان العربي » عــن محمد بنونــه التطواني عــن ابيه ان هــذا يملك مخطوطة في الحساب جاء في آخرها ما يشير الى ان **الصفر كان في أصل العقود التسعة بل وفي كتابتها** » لذلك ــ والقول هنــا للأستاذ نادر النابلسي ــ فاطــلاق كلمــة **الصفريات** تعــريبــاً لكلمــة **Les Chiffres** على العقود جميعاً له ما يبرره .

---

(1) ويرى الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي ان لفظة شيفر آتية مــن « الجفر » .

انتهى التحقيــق

ويتابع « هوغبن » فيقول :

« لا سبب يدعونا الى التشكيك [1] في شهادة المؤرخين المسلمين الذين قالوا :

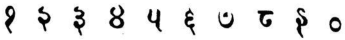
– ان حكماء الهند هم الذين وضعوا تسع صور للعقود وصورة للصفر على شكل دائرة صغيرة » .

(1) حَسْبُنا ان نعلّق على كلمةِ التشكيك هنا بقولنا (والكلام هنا للنابلسي) :

ان بعض الحقيقة في هذه الشهادة هو ان لا احد يتشكك في ان حكماء الهند كانوا السباقين الى وضع تسع صور للعقود وصورة للصفر وجاءت كلها في لوحات منسوبة الى الناغازية القديمة ، والسنسكريتية والناغارية الحديثة وهي ترجع الى أزمنة موغلة في القدم ، **أما البعض الآخر من الحقيقة** وهو الذي خفي امره عن بعض المؤرخين الأجانب وعن بعض المؤرخين المسلمين ايضاً هو ان ثمة تعاوناً وثيقاً لا يقبل الفصم قام بين حضارتي الهنود والمسلمين وسار عبر خطين متوازيين ليؤدي لا الى اقامة قواعدهما المتماثلة في الحساب فحسب بل الى تطوير صور الأرقام أيضاً وكان هذا التعاون يعتمد على أسس مختلفة حيناً ومتلاقية حيناً آخر ومن هنا جاءت انطلاقة العرب التي سنتحدث عنها بتفصيل وانطلاقة الهنود التي سنتحدث عنها بتفصيل كذلك .

نورد ههنا أولاً صور العقود في عهود موغلة في القدم :

وردت العقود في الكتابة السنسكريتية هكذا :



كما وردت في الكتابة الناغارية القديمة هكذا :



ثم وردت في الناغارية الحديثة هكذا :

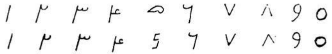


لنتحدث أولاً عن انطلاقة العرب في كيفية تصورهم للأرقام :

ج ـ الطريقة العربية الأم

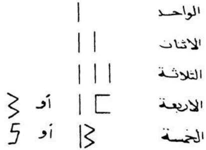
صورتها ـ نشأتها

١ً ـ نورد صورتها ههنا في هاتين اللوحتين والاختلاف فيهما مقصور على كتابة الخمسة :



ثم نتحدث عن نشأتها :

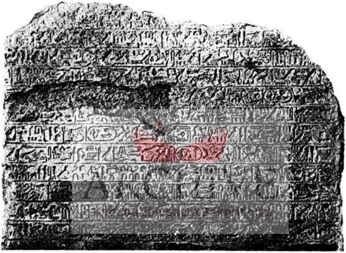
٢ً ـ نشأتها : استعان العرب بالطريقة الهيروغليفية لكتابة صور الأرقام القائمة على تكرار العصي حسب الطريقة الهيروغليفية [1] ولكن العرب لم يذهبوا بها الى أكثر من الخمسة وكان للعرب فضلُ طريقتهم في الوصل بين العِصيِ كما يجيء في ٣ً ولم يسبقهم الى طريقتهم هذه أحد :



(1) في الصورة الآتية ما يوضح الطريقة الهيروغليفية لكتابة الارقام بها .

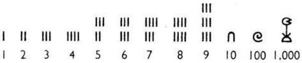
□ تابع الهامش □

هذه الصورة توضح الطريقة الهيروغليفية في الترقيم .



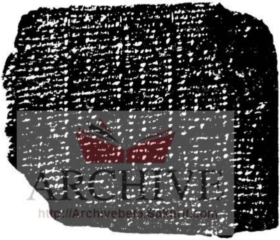
ـ اعلاه صخرة رملية تعود الى سنة ١٤٥٠ ق.م عليهـا ترقيم هيروغليفي .

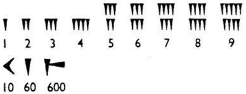
ـ والى الأدنى صور للأرقام مـن الواحد الى التسعة بالتكرار على ان هنالك شكلاً لكل مـن العشرة والمئـة والألف .



□ تابع الهامش □

هـذه الصورة توضح الطريقـة البابلية بالترقيـم .





– في اعلى الصورة روزنامة « تسجل ايام الحظ السعيد وأيام الشؤم بالترقيم .

– وفي ادناها طريقةُ ترقيمِ البابليين وهي تكرارُ المسامير من الواحد حتى التسعة بعضاً فوق بعض وبعضاً الى جانب بعض ، ثم العـدول عن التكرار باختيار شكل واحد لكل من العشرة والستين والستمئة علماً بأن هـذه الطريقة الستينية هي معوّلُ الفلكيـين منـذ القـدم .

□ تابع الهامش □

هذه الصورة توضح الطريقــة الصينية في الترقيــم .

一	二	三	四	五	六
1	2	3	4	5	6
七	八	九	十	百	千
7	8	9	10	100	1,000



– في أعلى الصورة طريقــة الترقيم بالصينية ويلحظ ان التكرار يقتصر على الاثنين والثلاثة .

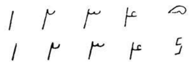
– وفي أدناها صورة تشير الى براءة إقطاع لعدد من زعماء الاقطاع واخرى لاقطاع عدد من العبيد لشخص واحــد .

□ **تابع النص في الصفحة (٣٩)** □

٣ً ـ باضافة لُحْمَةٍ عرضانية ،وبتذييل العصا الأولى حيثما لزم هكذا :



وأخيراً بتليين الأرقام الخمسة المذكورة أي بجعل القلم ينساب في كتابتها انسياباً لتصبح هكذا :



وقبل استكمال عَرضِنا لصُورِ الأرقام الباقيةِ من العربية الأم فلا بدّ لنا من نَقْلَةٍ الى صور الأرقام الخمسة الأولى في الطريقة الهندية :

د ـ الطريقة الهندية

ان انطلاقة الهنود في تطوير صور أرقامهم الخمسة الأولى جاءت أشبه ما تكون بطريقة العرب نفسها ، اذ تكفي عملية بسيطة هي مجرّدُ دورانٍ الى اليمين أو قلبٍ في لوحةِ العربية الأم لتنشأ عنها اللوحةُ الآتية :



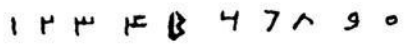
وهذه تَضُمُّ خمسة الأرقام الأولى من الهندية ٠
وهاكم الآن في الصورة الآتية كامل اللوحة الهندية :



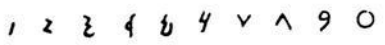
(وقد تكتب الثمانية في هذه الطريقة هكـذا 8 أيضاً وهي مأخوذة عن الأربعة في السنسكريتية حيث صورتها ـ ربطة مؤلفة من عقدة وذراعين ـ حتى اذا ما ضُمَّ الذراعان أصبحتْ صورتُها هكذا 8) ٠

واذا استكملنا مقارنة الأرقام الخمسة الباقية في كل من الطريقتين : العربية الأم والهندية في لوحتيهما الكاملتين اذن وجدنا الأرقام نفسها في الطريقتين :

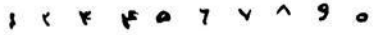
العربية الأم بالعصي



الهنديـــة



العربية الأم الطّينة



وهنا حانَ أوانُ الاجابةِ عن السؤال الصغير ألاَ هو :

هل صورُ العقودِ التسعةِ وصورةُ الصفر الواردة أدناه في اللوحتين العربية الأم والهندية هي من صنع العرب أم من صنع الهنود ؟

اللوحة العربية الأم	١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ٠
اللوحة الهندية	1 2 3 4 5 6 7 8 9 0

الجواب هو أنه لم يَعُد خافياً عن أحدٍ بعدَ هذه الدراسةِ أن الهنديَّةَ أخذتْ عن العربيةِ صُورَ الأرقامِ الخمسةِ الأولى ، وأنَّ العربيَّةَ قد تكونُ تبنتْ من الهِنْديَّة صُورَ الأرقامِ من ستةٍ الى تسعةٍ كذلك الصفر ، الأمر الذي به تثبت المشاركة بين العرب والهنود في صنع لوحتيهما المتماثلتين حقاً ، انها احدى ثمرات التعاون المشترك بين الحضارتين العربية والهندية والتي نَصِفُهَا بقولنا :

« ما أشبهَ الليلةَ بالبارحة » .

فهل لنا بعد اليوم أن نسميها بالعربية ـ الهندية ؟ الجواب « نعم »

أما الصفر :

فلا بُدَّ لنا هنا من حديثٍ خاصٍ بالصفر نُورِدُه على لسانِ « هوغبن » إذ يقول :

« إن الأوابدَ التي ظَهَرَ فيها الصِفرُ وصلتْ الينا من الحدودِ التي بين الهند والصين حوالي سنة ٧٠٠ ميلادية ، على أن تاريخَ أبكرِ نقشٍ وُجِدَ في وسط القارة الهندية وأُتيحت لنا رؤيتُه وظَهَرَ فيه الصفرُ يعود الى سنة ٨٥٠ ميلادية أي بعد وقت قصير من ظهوره في مياسم مطبوعات الكتب الصينية ، وبناء عليه فأمام وضوح النقوشِ الأثريَّة اذا ما اعْتُمِدَ وَحْدَهُ فلا يَسَعُنَا إلاّ القولُ إن الصفر يعودُ أصلاً الى بلادِ الصين » .

وفي هذه المرحلة من الحديث لا بد لنا أن نسوق عتاباً رقيقاً الى « هوغبن » اذ يقول :

« لا سبب يدعونا الى التشكيك في شهادة المؤرخين المسلمين الذين قالوا ان حكماء الهند هم الذين وضعوا تسعَ صورٍ للعقود وصورةً « للصفر على شكل دائرةٍ صغيرةٍ » وكأنَّ « هوغبن » يريد أن يقول إنَّ حكماء الهند هم الذين وضعوا هذه الأرقام وحدهم دون العرب .

فَنَرُدُّ عليه بقولنا « ليس لمثل هذه الشهادة قُدرةُ طمسِ الحقيقة ولو جاءت على ألسنة بعض المسلمين فقد تكون الشهادة مبنيةً على مبلغِ علمِ قائلِها بما نُقِلَ اليه فحسب » .

وثمة سؤالٌ نطرَحُهُ على « هوغبن » بهذه المناسبةِ نفسِها هو :

« كيف يتأتى لـ « هوغبن » أن يوفّقَ بين ما أتى به من دليلٍ قاطعٍ على أن الصفر صينيٌّ الأصلِ وبين اعتمادِهِ على شهادةِ بعض المؤرخين المسلمين القائلةِ إن الصفر هو من وضع حكماء الهند » ؟

هـ ـ قدرة الانجاب في العربية الأم

اذ نحن سائرون في طريقنا الى الاجابة عن السؤال الكبير فلا بُدَّ لنا من الاشادة بقدرة الانجاب في الطريقة العربية الأم وسوف تستبين لنا هذه القُدْرَةُ من خلال إجابتنا عن الأسئلة الآتية :

ـ كيف تطورتْ العربيةُ الأم فأنجبت الكتابةَ المشرقية ؟

ـ ثم كيف نشأتْ الغباريَّةُ وهل اقتبستْ من العربية الأم شيئاً ؟

ـ وأخيراً كيف آلتْ الغباريَّة الى الأوروبية وصارتْ تُعرف بما نسميها الصِفْريّاتِ العربيةَ .

وهاكم الاجابات عن هذه الأسئلة :

و ـ كيف تطورت العربية الأم فأنجبت الكتابة المشـرقية ؟

أنجبت العربية الأم الكتابة المشـرقية لصور الأرقام بمجرد تغيير بسيط في أصلها وعاشت بعد هذا التغيير طويلاً وما زالت على حالها منذ أكثر من ألف سنة من بعد التغيير وهاكم الصورة :

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ٠

وينحصر الاختلاف بينها وبين العربية الهندية في أن الخمسة أصبحت حلقــة كبـيرة ، بينمـا بقي الصفـر دائـرة مُحبّـرة ٠

ز ـ كيف نشأت الغبارية [1] ؟

فلنرجع الى اللوحة رقم ٤ من مجموعة اللوحات المتعددة التي استعان بهـا الأستاذ الدكتور عدنان الخطيـب نائب رئيس مجمع اللغة العـربية بدمشــق في دراسته لصور الأرقام العربية مشكوراً على جهده ، ولنختر منها لحاجتنا ثلاثة الجداول الآتي عرضها في الصفحة التالية :

أولهما(١) لابن الياسمين [2] المتوفـى سنة ٦٠١ هـ أي ١٢٢٢ ميلادية ٠

وثانيهما(٢) لابن البنّا [3] المتوفـى سنة ٧٢١ هـ أي ١٣٢١ ميلادية ٠

---

(1) سميت بالغبارية لأنها كانت ترسم على الغبار يُفرَش على قطعةِ خشبيةِ مستوية او على رُقعةِ ثوب ، او كانت ترسم ايضاً على الرمل اصـلاً ٠

(2) ابن الياسمين (عبدالله بن محمد حجاج): (ـ١٢٢٢م): عالم" بالحساب، من الكُتّاب، كان من رجالِ السلطانِ بالمغرب ، بربريّ الأصلِ من اهـل مُرّاكشَ ، له ارجوزة" في « الجبر والمقابلة » عليها شرح" لَسبطِ الماردينيّ و « ارجوزة في أعمـال الجـذور » ٠

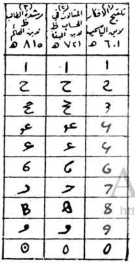
ومن تصانيفه ما ورد في الجدول (١) ـ من اللوحة رقم ٤ اي في اللوحة التي تضم مجموعة من الكتابات الغبارية ـ وهو كتاب « تلقيح الأفكار » .٠

(3) ابن البنّا (احمد بن محمد بن عثمان الأزدي) (١٢٢٦م ـ١٣٢١م) رياضي" ، باحث" مـن اهل مرّاكش مولداً ووفاةً ، له « المقالات » في الحساب و « تلخيص اعمال الحساب » نظمه ابن غازي وشرح نظمـه ، وكتاب" في النجوم لعلّه « منهاجُ الطالبِ لتعديلِ الكواكب » ورسالة" في « المكاييل » وجزء في « المساحات » ومقالة" في علم « الاسطرلابَ » وجزء" في « الأنواء » فيـه صـور الكـواكب ، و « قانـون" » في معرفـةالأوقات بالحساب ٠

ملحوظة : وفي رواية اخرى فان مولده يقع سنة ١٢٥١ م اقتضى التنويه ٠

وثالثها(٣) لابن الهائم (4) المتوفى سنة ٨١٥ هـ أي ١٤٠١ ميلادية ٠

فاذا أنعمنا النظر في الجدول(١) رأينا أن التحول من العربية ـ الهندية الى الغبارية يكاد لا يشتمل على تغيير يذكر بالنسبة للأعداد من واحد الى ثلاثة ٠



لكن صورة **الأربعة** في الجدول(١) ليس ما يشابهها في الجدولين (٢) و (٣) بل نجد الصورة السليمة للأربعة واردة فيهما وهي الأصل ٤ لتصبح بعد تحريكها هكذا عو

أما **الخمسة** الواردة في الجداول الثلاثة فهي مجرد تحويل للخمسة في العربية الأم وهي ٥ بعد أن يسقط عنها السن وتدور بمقدار ١٨٠° الى اليمين ٠

أما **الستة** فهي صورة التسعة في العربية الهندية بعد تدويرها بمقدار ١٨٠° الى اليمين ٠

أما **السبعة** فهي هي في العربية الهندية ٠

أما **الثمانية** فهي من الهندية ومأخوذة عن السنسكريتية ٠ **والصفر** هو الصفر في العربية الهندية ٠

وتصوّرنا لنشوء الغبارية باختصار هو : أن الأرقام من واحد الى خمسة جاءت من مثيلتها في العربية الهندية، كما أُخِذَتْ الستة من التسعة وتم تبنّي الثمانية من الهندية السنسكريتية ، أما التسعة فهي من العربية الهندية أصلاً كذلك الصفر ٠

(4) ابن الهائم (احمد بن محمد بن عمادالدين بن علي ، شهابالدين بن الهائم) : (١٣٣٢م-١٤٠١م) مصريُ المولدِ والنشأة ، انتقل الى القدس واشتُهِرَ ومات فيها ، من تصانيفه: «اللُمع» في الحساب و «غاية السُول في الاقرار بالمجهول » في الجَبر والمقابلة، « ومرشد الطالب »في الحساب . « والمقنع » مع شرح له في الجبر... و « نزهة النظار في علم الغبار » ...

هذا وقد لا يكون بعيداً عن الصواب أن نستنتج من استعراضنا الجداولَ الغبارية كلَّها أنه كلما بَعُدَ عهدُ كتابةِ الغبارية عن أيامها الأول أي عن تاريخ نشأتها فالأرقام تصبح الى شكل الأحرف أقربَ وهذا ما حدا بالعالم عبدالقادر السخاوي (1) المتوفى حوالي سنة ١٠٠٠ هجرية أي ١٦٠٤ ميلادية أن ينشر في مقدمته عن « علم الغبار » ثلاثة أبيات في وصف الأرقام الغبارية وأن يسميها بالأحرف الغبارية :

ألفٌ وحاءٌ ثم حجٌ بعدَهُ	عوٌ وبعدَ العوِّ عينٌ تُرسَمُ
هاءٌ وبعد الهاءِ حرفٌ ظاهرٌ	يبدو كخطّافٍ اذا هو يُرقَمُ
صِفرانِ ثامنُها وقدضُمَّامعاً	والواوُ تاسعُها بذلك يُختَمُ

سلسلة الأحرف الغبارية



وقد يكون غرَضُه من هذه الأبيات تقريبَ صورِ الأرقام الغبارية من عقولِ عامَّةِ الناس ليتمّ لهم تصوُّرُها عن طريق الأحرف والشكل .

ولن تفوتنا بهذه المناسبة ملاحظةٌ وردتْ على لسان أحمد بن الهائم المتوفى سنة ٨١٥ هجرية أي سنة ١٤٠١ ميلادية في مختصر كتابه « صناعة الغبار » اذ يقول «الأحرف الهندية (أي المشرقية) هي المستعملة عندنا غالباً أما الأحرف الغبارية فهي قليلة الاستعمال عندنا » (2)

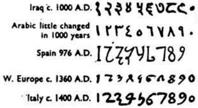
وقد يكون مردّ هذا الواقعِ البساطةُ في أشكالِ صُورِ الكتابةِ الهندية (أي المشرقية) .

---

(1) لم نجد للعالم عبدالقادر السخاوي في المعاجم سيرةً تفصيلية لحياته بدءاً من مولده حتى تصانيفه ، ولعلّنا نعثر عليها في المستقبل .

(2) ويريد بكلمة « عندنا » مصر .

ح ـ كيـف آلـت الغباريـة الى الصفريات العربيـة [1]



وجدت هذه الكتابة في العراق حوالي سنة ١٠٠٠ م
وهذه هي المشرقية وقد تغيرت قليلا خلال ألف عام
وهذه هي الاسبانية [2] سنة ٩٧٦ م ٠
وهذه هي الاوروبية الغربية حوالي سنة ١٣٦٠ م ٠
وهذه هي الايطالية حوالي سنة ١٤٠٠ م ٠

فلننعم النظر في الكتابات المعروضة أعلاه[3]

تاركين جانباً الكتابةَ المشرقيَّةَ التي سبق لنا شرحُها وذاعَ انتشارُها في المشرق العـربي كله ولنسـتعرض ما بقي :

أولاً : أن العربية الأندلسية هي مـن الغبارية تماماًوقد وردتأعلاه كأسبانية.

ثانياً : الكتابة الأوروبية الغربيـة هي الغباريـة المغربيـة نفسها الا الأربعـة وصـورتهـا ꝝ (ربطة لهـا ذراعان مفتوحان هي أربعة العراقية بعـد قلبها) والثمانية تنشأ عن الأربعة بعـدضم الذراعين وقد سبق أن تعرفنا اليهـا في الهندية ٠

ثالثاً : الايطاليـة سنة ١٤٠٠ ميلاديـة هي كالأوروبية مع فارقين :

أولهما : الأربعة هنا 4 هي الأربعة الأوروبية ꝝ بعد توسيع عقدة الربطة وتحريك الصورة ٠

ثانيهما : السبعة في الايطالية وهي 7 نفس السبعة في العربية الأندلسية ٠

---

(1) مرجـع هـذه الكتـابات ادنـاه هـو Mathematics in the Making لصـاحبـه Lancelot Hogben.

(2) المراد بالاسبانية هنـا هو العربيـة الأندلسيـة ٠

(3) لا نزعم ان صور الأرقام هذه لم تكن تستعمل قبـل التواريخ المثبتـة الى جانبهـا ٠

رابعاً وأخيراً : ها نحن أولاء نقف أمام الصفريات العربية Les Chiffres arabes وجهاً لوجه (شـريطة اعادة السن الـى الخمسـة ﮜ لتصبح كما في العربية الأم هكـذا ﮜ وهاكم أخيراً الصفريات العربيـة

1 2 3 4 5 6 7 8 9 0

في حلتها المعروفـة لدى العالـم الكبير وباسم العرب الذين جاؤوا بهـا من المغرب ·

Sundial of A.D. 1453 bearing Hindu-Arab numerals.



مزولـة يعـود صـنعُهـا الـى عام ١٤٥٣ ميلادية

مدرّجـةً بالكتابـة العربيـة الهنديـــــة

يقـع تاريخ صـنعها فـــي أدنـاهـــــا

ضـــمن المســتطيل .

ط ـ خاتمة الدراسة

نختصر ما جاء في دراستنا الوافية والمعروضة على أنظار الهيئات العلمية في العالم أجمع ، المتسائلة عن صلة العرب والمسلمين بصور الأرقام المستعملة في المغرب العربي وأوروبة ، الطالبة منا الأسناد الصحاح والحُجَّة القاطعة في الجواب عن مسألتها ، نختصر هذه الدراسة بأن نورد خلاصتها في نقاط :

١ ـ كان للعرب ولا شك يدٌ جميلةٌ بيضاء في تطوير صُوَرِ الأرقام أسوةً بحال الهنود بل كان هنالك مشاركةٌ مؤكدةٌ ومحكمةٌ بين حضارتي العرب والهنود في مضمار وضعهم لقواعد الحساب المتماثلة ، وفي تطوير صور الأرقام أيضاً ، الأمر الذي أفضى بنا الى أن نشهد ولادة ما نسميه «الكتابة العربية الهندية للأرقام» تسميةً نوردها هكذا بنصٍ دقيق وانّا لنعتبر هذه الكتابة بمثابة مرحلة أولى في التطوير ٠

٢ ـ ثم تَبِعَتْها مرحلةٌ أخرى في التطوير هي مرحلةُ تبسيطِ العرب لطريقتهم في انجاب « الكتابة المشرقية للأرقام » التي ان بدت للناس غايةً في البساطة وكانت طويلةَ العمر حقاً ، الا أنّها حملتْ بين أردانها وياللأسف عيبَ بساطتها في عدة الأسنان الصغيرة ، الأمرُ الذي طالما شكتْ منه العيون ٠

وثمة عيبٌ آخر هو تبسيطُ الخمسة بجعلها دائرةً ثم مسُ صورةِ الصفر بالأذيّة اذ جُعلتْ دائرةً صغيرةً محبَّرة طالما التبس معها على القراء أمرُها فحسبوها نقطة ٠

٣ ـ ثم تبعتها نشأة الكتابة الغبارية بنتِ المغربِ العربي وفيها الكثيرُ من فَقَارِ الكتابة العربية الهندية ، ونضيف الى ذلك أن الغبارية أعادت الى أشكال الأرقام حِلْيَةَ التزويق بل زادت فيها فكادت معها أن تحيد بأشكال الأرقام الى أحرف أو كلمات ٠

٤ ـ ثم ما أن انتقلت الغبارية الى أوروبة بدخول العرب الى الأندلس حتى عاد الى الغبارية قوّتها ورونقها وذاع أمرها وانتصر الكثيرون لها فعمّت البلاد الأوروبية كافة لا سيما ايطاليا على طريقين هما صقلية والأندلس وعرفت لدى جميعهم بالصفريّات العربية تسمية جديرة باسهام العرب الكبير في تطويرها ٠

٥ ـ وأخيراً فان الصفريّات العربية تحمل في طياتها بذور ورموز حضارات عريقة مختلفة متعددة لئن هي نشرت في مشارق الأرض ومغاربها اذن لأنبتت نباتاً طيباً في كل أرض ، وعسى أن يأتي يوم " قريب " تطفح بالبشر فيه جوه أقوام كثر ، اليوم الذي تتوحد فيه لغة أرقامهم ٠

ي ـ صورة فنية للصفريات العربية



★ ★ ★

الأوبئة في الطب العربي

د. سلمان قطاية

عرف العرب الأوبئة منذ قديم الزمان .

ويقول في ذلك لوسيان لوكلير[1] « ثمة حادث هام يجب ذكره ، وهو يعود الى ما قبل الاسلام . وهو ظهور أول جدري ...

حوالي ٥٧٠ ، أراد أمير مسيحي من اليمن ، وهو ضابط في جيش النجاشي يدعى أبرهة ، أن يجعل من صنعاء ، مدينته ، مكة أخرى ، أي مركزاً للحج وذلك في صالح المسيحية . لذا كان عليه أن يهز أركان عبادة الأوثان عند العرب بقوة . ومن أركانها : الحج الى مكة .

ولتحقيق غايته بنى أبرهة كنيسة رائعة .

وكان لأهل قريش حق حماية الكعبة ، وهو سبب أهميتهم وثروتهم ، ففكروا في تخريب ذلك المشروع . فأرسلوا رجلا من قبلهم استطاع أن يتسلم حراسة كنيسة صنعاء وفي مساء احدى الحفلات الكبرى ، دخل الى المعبد ليلاً وسلح فيه ، ثم هرب بعدما أن أعلن عن فعلته.

فوجد أبرهة أن واجبه يقضي بالانتقام لهذا التدنيس. فجهز جيشه وذهب الى مكة وضرب عليها الحصار . وكان على ظهر فيل أبيض اسمه : محمود .

الا أن حادثة غير متوقعة أنزلت الاضطراب والفوضى في جيشه ، ورأى المكيون في تلك الهزيمة انتقاماً سماوياً .وقد وصف القرآن هذه الحادثة في سورة

الفيل اذ يقول : « ألم تَرَ كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، ألم يجعل كيدهم في تضليل ، وأرسل عليهم طيراً أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول » ٠

أرسل الله ، اذن ، ضد الحبشيين المدنسين ، الطيور الأبابيل ، يحمل كل منها ثلاثة حجارة واحدة في منقاره واثنتين في رجليه ٠ فألقتها على الحبشيين فقتلتهم في الحال ما عدا أبرهه رئيسهم الذي هرب بسرعة الى الحبشة ٠ وهناك بينما كان يقص الأمر على ملكه جاءه طير أخير فألقى عليه حجراً فسقط ميتاً ٠

ومن الطبيعي أن ينقب الباحثون عن الحادثة الطبيعية وراء هذه المعجزة ٠

يعتقد الكاتب الايطالي رامبولدي ، أنه يمكن تقبل فكرة حدوث عواصف عنيفة أعمت جنود أبرهة ٠

ولكننا نعتقد ، مع أكثر من مستشرق ، أن الأقرب أن نرى في هذه المعجزة جائحة جدري ، خاصة أن هذا التفسير يتناسب مع شواهد تاريخية ٠

ان عام حصار مكة ، هو عام ولادة محمد صلى الله عليه وسلم ٠ وقد أطلق عليه بعض المؤرخين العرب عام الفيل ٠ وتوجد وثائق تاريخية تفيد أن أول جائحة جدري حدثت عند العرب في ذلك التاريخ ٠ » ٠

ومهما يكن من أمر فالحادثة تشير الى حدوث جدري في ذلك التاريخ والى معرفة العرب له ٠

هذا وقد جاء في الكتب الطبية العربية ذكر مفصل للأوبئة مع ذكر أسبابها وعلاماتها ومعالجتها ٠

يقول مدين القوصوني المصري[٢] « الوباء : هو الطاعون أو كل مرض عام ٠ وقال حذاق الأطباء : هو تغير يعرض لجوهر الهواء فيستحيل الى الرداءة ، ويسري في الأبدان بالاستنشاق كسريان السم » ٠

أما أسباب الأوبئة فيجمعها علي بن رضوان[٣] في أربعة :

١ ـ تغير كيفية الهواء : ويكون على نوعين : اما تغير معتاد فلا ضرر منه ٠

واما تغير خارج مجرى العادة كأن تزداد سخونته أو برودتــه أو رطوبتـه أو جفافه أو تخالطه حال عفنية وقد تكون هذه قريبة أو بعيدة .

والمعلوم أن الهواء احدى الطرق لانتقال الحشرات والهوام ومعها الجراثيم .

٢ ــ تغير كيفية الماء : أن يفرط زيادة أو نقصاناً ، أو « تخالطه حالة عفنية » . فيضطر الناس الى شربه . ويفسر تعفن الماء اما بوجود قتلى تعفنت أجسادهم في الماء واما أن بعض الناس (كأهل فسطاط) يرمون بجثث قططهم وكلابهم وسنانيرهم في مجاري المياه التي يشربونها فتتعفن .
وكلنا يعلم أن الماء هو احدى الطرق المعتادة لانتقال الجراثيم الوبائية : كالكوليرا والحمى التيفية ، والزحار ...

٣ ــ كيفية تغير الأغذية : اذا غير الناس طعامهم كما يحدث في الأعياد . أو اذا فسدت المراعي فتفسد لحوم الحيوانات التي يأكلها الناس ، أو اذا فسد الماء الذي يشربه الحيوان .

وبديهي أن الأطعمة على اختلاف أنواعها هي احدى طرق نقل الجراثيم الى الانسان .

أما السبب الرابع فهو الأحداث النفسية لأن العرب كانوا يضعون الأمراض النفسية الجماعية من جملة الأوبئة .

ثم ان العدوى المباشرة من مريض الى آخر فيشرحها التميمي بالتفصيل في الباب الثالث من المقالة الثالثة من كتابه فيقول[٤] :

« ... وذلك لأجل أن الهواء يحتمل رائحة ذلك الفساد الذي يظهر من جسد العليل وينفصل عنه بالتنفس فيؤديه الى الصحيح المجاور له بالتنسم وحمل الهواء للفساد من نفس العليل وايصاله اياه الى الصحيح المجاور له انما هو بكثرة نفس العليل ، فاذا استنشق ذلك النفس الفاسد المنفصل منه نفس العليل ، من يجاور العليل من الأصحاء الذين يأوون معه ويقربون منه ، فسدت أمزجة أبدانهم ، وغلبت العفونة عليهم فأمرضتهم فشاركوا العليل في علته ...

قال محمد بن أحمد : والدليل على صحة ذلك أنا نرى المنزل الذي فيه

الجماعة ممن لم يحصب أو يجدر قط اذاحدث بواحد منهم احدى هاتين العلتين لم تلبث تلك الجماعة الا اليسير حتى تنالهم تلك العلة بعينها اما واحداً بعد واحد ، واما لوقت واحد ، وليس السبب في ذلك سوى تنسمهم ذلك الهواء الممازج لنفس الوصب ·

وقد نجد كثيراً من العلل تعدي من ناقل العليل أو باشره أو واكله أو شاربه أو شرب من انائه الذي يشرب فيه أوضاجعه في فراشه · فمن ذلك داء الأسد فانه يعدي من واكل المجذوم أو شاربه أو أكثر الدنو منه والمجالسة له · وكذلك الوَضَحُ أيضاً فانه من الأمراض المعدية التي تعدي من واكل الأبرص وشاربه وهذان الداءان ليس انما يعديان الأجنبي من الناس ممن يؤاكل من كانا به أو يشاربه لكنهما يجريان في النطفة ويتبعان النسل ويحدثان في ولد الولد بعد ثلاثة آباء أو أكثر · والسبب الموجب لذلك فساد النطفة الفاسدة المزاج وحلولها في الرحم وفي جوهرها نفس ذلك الفساد كامناً فيظهر في النسل بعد النمو والترعرع ومما يعدي منه العليل بقوة ، وقد بان لي إعداؤه مراراً، علة ذات الرئة أعني قرحة الرئة المفضية بالمريض الى السل · وكذلك النسمة الكائنة عن السيلان المنصب عن فضول الرأس فان الوصب قد يعدي بها من الأصحاء من شرب في انائه الذي يشرب فيه على الادمان ، والسبب في ذلك ما يقبله ذلك الاناء من نفس المريض ،ومما يمازج رطوبة الماء من البخار الخارج منه في العليل ومن منخريه ، فان أدمن الشارب الشرب من انائه تعدت تلك العلة اليه ·

فأما الجرب فانه يعدي من استشعر أو لبس قميصه أو ضاجعه في فراش والسبب في ذلك أن جسد الصحيح يجتذب اليه من مسام جلده بالنفس الخارج من المسام والداخل فيها بمشاركة الهواء ما قد حصل في ذلك الشعار أو القميص من بخار جسد الوصب فيولد ذلك به جرباً في أسرع الأوقات » ·

ويؤكد ابن سينا(٥) أن انتقال الأوبئة قد يكون « لسبب رياح ساقت الى الموضع الجيد أدخنة رديئة من مواضع نائية فيها بطائح آجنة ، أو أجسام متجيفة في ملاحم ، أو أوباء قتّالة ، لم تدفن ولم تحرق » ·

ويذكر أن من علامات الوباء « أن ترى الفأر والحيوانات التي تسكن قعر الأرض تهرب الى ظاهر الأرض سدره مسمدّرة » ٠
والمعروف أن للفأر دوراً كبيراً في نقل الطاعون ٠

الجدري والحصبة

يقول القوصوني[٦] في تعريف الحصبة « بثور حمْر متفرقة تكون عند ظهورها كقرص البراغيث ثم تتحبب ولا تتقيح ، سببها دم صفراوي حاد لذاع مهياج يظهر سريعاً » ٠

يقول الرازي[٧] « علامات الحصبة : أن يغلظ الصوت وتحمر العينان والوجنتان ، ويجد الوجع في الحنجرة والصدر ، ويجف اللسان ، وتنتفخ الأصداغ ، ويحمر الجسد ، وتدمع العينان ، ويهيج التهوع ، فان رأيت هذه فانه ستظهر الحصبة ، والحصبة تخرج بمرة والجدري شيئاً بعد شيء ٠ والحصبة الخضراء والبنفسجية رديئة وخاصة ان جاءت بغتة فانه يغشى عليه ، ويقتل سريعاً ٠ والجدري الذي يسود لونه ويجف ولا يمتلىء بل يكون صلباً ثؤلولياً فانه يورث الغشي وهو قاتل » ٠

بل يذكر بعض الحالات التي عالجها فيقول[٨] « ابنة الفتح كان جدريّها صغاراً ثؤلولياً وكان معه ضيق نفس ، ولم يكن أسود وكان معه لهيب في البطن شديد فماتت ، وأكثر هؤلاء يموتون اذا غشي عليهم مرات واشتد ضيق النفس ، وبردت الأطراف ، وذلك يكون اذا انقلب بخار الجدري الى داخل ، ونرى الجدري يشبه الحصبة حتى أنه قال الطبيب : انه حصبة » ٠

وقال(٨مكرر) «خرج على مكين جدري كثير رديء ففصدناه قبل ضيق حلقه فلم يبق شيء من التطفئة الا فعلناه به ، فصلح وتوسع الحلق وأقبل من الجدري حتى رجوناه ، ثم انه هاج به ضربة وجع في ساقه عظيم جداً واسود ، وعزمت على أن أشرط في ذلك الموضع فسقطت قوته في ساعة ٠ حتى لم أرجه البتة لكن على حال سال الدم من ساقه ، ومات من شدة الوجع في يوم واحد » ٠

ولا بد أنه أصيب بالتهاب الشرايين مع غنغرينة في الطرف السفلي وخمج دم فأودى به ٠

ويقول في التشخيص التفريقي[٩] «ان أوجعتهم ظهورهم ولم يكن بهم شيء آخر من علامات الجدري البتة بل كان بعضهم به اسهال أيضاً وماؤه أبيض، فجدري أيضاً، وبالجملة فلا شيء أخص بالجدري من وجع الظهر مع الحمى • فان رأيت ذلك في الخريف، فثق بأنه سيخرج جدري دون الحصبة والحصبة لا يكون معها وجع الظهر • واحسب أن ذلك لشدة تمدد العرق الأجوف الممدود على فقار الصلب، وفي الحصبة لا يتمدد لأنها من رداءة الدم بلا امتلاء كثير» •

ولقد اعترف الغرب بالاجماع في شأن الجدري والحصبة للعرب وللرازي بهذا الكشف العلمي القيم • وترجمت رسالة الرازي الى اللاتينية ودرّست في المعاهد •

ويقول القوصوني[٦] نقلا عن الشيخ ابن سينا «قال الشيخ : وهي (الحصبة) كأنها جدري صفراوي والفرق بينهما أن الحصبة صفراوية، وانها أصغر حجماً، وكأنها لا تتجاوز الجلد، ولا لها سمك يُعتد به، والجدري له نتوء وسمك، وهي أقل منه عدداً أو أقل تعرضاً للعين، والتهوّع، والكرب فيها أكثر والاشتعال أشد ووجع الظهر فيها أقل لأنها تكون عن الدم القليل الفاسد، وهو عن الكثير، وهي في الأكثر تخرج دفعة، وهو يخرج شيئاً بعد شيء وعلامات السالم منها كعلامات السالم منه فالسريع البروز والنضج سليم، والصلب والأخضر والبنفسجي والذي يغيب دفعة رديء، والبطيء النضج مع تواتر الغشي والكرب قاتل» •

وكل هذا صحيح برمته •

الطاعون

يقول ابن سينا[١٠] في وصف الطاعون في الفصل المسمى «فصل في الطواعين»: هذا الورم القتال يعرض في أكثر الأمر في الأعضاء الضعيفة مثل الآباط، والأربية، وخلف الأذن، ويكون أردؤها ما يعرض في الآباط وخلف الأذن لقربها من الأعضاء التي هي أشد رئاسة • وأسلم الطواعين ما هو أحمر ثم الأصفر ثم الذي الى السواد لا يفلت منه أحد» ثم يضيف :

« كان مع ذلك ورماً حاراً قتّالا ... وربما رشح دماً وصديداً ونحوه ويؤدي كيفية رديئة الى القلب من طريق الشرايين فيحدث القيء والخفقان والغشي ، واذا اشتهرت عوارضه قتل » .

ويقول الرازي(١١) في الحاوي « الطواعين ورم حار يعرض في الأربيات والابط ، ويقتل في أربعة أيام أو في خمسة . والطاعون الرديء أسود ، والطاعون الأحمر أقل شراً على أنه ربما قتل ، ولا يكاد ينجو من الأسود والأخضر أحد » .

والمعلوم أن للطاعون شكلين : أحدهما عقدي وهو الذي وصفه ابن سينا والرازي وهو الأكثر تواتراً ، والثاني : رئوي ، وهو أندر وقد أشار اليه ابن خلدون (١١ مكرر) فقال : « اذا فسد الهواء ، وهو غذاء الروح الحيواني وملابسه دائماً ، فيسري الفساد الى مزاجه . فاذا كان الفساد قوياً وقع المرض في الرئة وهذه هي الطواعين وأمراضها مخصوصة بالرئة » .

وكان الطاعون من الأوبئة التي كانت تحصد الناس بالملايين خلال العصور الوسطى .

وذكر بلوتارك المؤرخ اليوناني ان أقدم طاعون هو الذي وقع في منتصف المائة السابعة قبل المسيح . وكان الطاعون يهاجم العالم من آن الى آخر فيحصد الآلاف بل الملايين من البشر ومن أشهر وافدات الطاعون في التاريخ هو الذي حدث في القرن السادس الميلادي ودام ٥٢ سنة (٥٤٢ ـ ٥٩٤ م) .

وأقدم طاعون في الاسلام ظهر أيام عمر بن الخطاب وقُتِل من الجملة أبو عبيدة بن الجراح . أما أروع وافدة فهي ما سمي بالموت الأسود وحدث في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي وقدر عدد الموتى بعشرات الملايين . ويبدو أنه ظهر في الصين عام ١٣٣٣ ، ثم انتقل الى الشرق الأوسط ثم الى أوربا كلها .

وقد ذكر الغزي في تاريخه ٢٠ وافدة انتابت حلب بين سنة ٦٥٦ هـ/

١٢٥٨ م وسنة ١٢٢٩ هـ/١٨١٣ م وكان طاعون عام ٧٤٩ هـ/١٣٤٨ م[1] رهيباً ، وظل يفتك بالناس حتى في سورية عام ١٣٥١ م ٠

ولكنه انقطع في سورية حوالي عام ١٨٣٧ م ، انما ظل في مصر وانقطع سنة ١٨٤٤ م وكانت آخر وافدة عالمية هي عام ١٨٩٤ م الا أن العلم كان قد تقدم واكتشف أسباب الداء ووضع له مصلاً مضاداً وذلك على يد يرسان Yersin أحد تلامذة باستور ٠ والوباء حالياً منحصر في بعض مناطق الهند ، اذ استطاع العلم الحديث أن يقضي عليه تقريباً كما قضى على الجدري وغيره من الأمراض السارية ٠

ومن أجود أوصاف وباء الطاعون ما ذكره عبداللطيف البغدادي[12] في كتابه « الافادة والاعتبار بأرض مصر » من أكل لحم الآدمي وغيره فيقول :

« ولو أخذنا نقتصّ كل ما نرى ونسمع لوقعنا في التهمة أو في الهذر ، وجميع ما حكيناه مما شاهدناه لم نتقصده ولا تتبعنا مظانه وانما هو شيء صادفناه اتفاقاً بل كثيراً ما كنت أفر من رؤيته لبشاعة منظره ٠

وأما من يتحين ذلك بدار الوالي فانه يجد منه أصنافاً تحضر مع آناء الليل والنهار وقد يوجد في قدر واحد اثنان وثلاثة وأكثر ووجد في بعض الأيام قدر فيها عشر أيد كما تطبخ أكارع الغنم ووجد مرة أخرى قدر كبيرة وفيها رأس كبير وبعض الأطراف مطبوخاً بقمح وأصناف من هذا الجنس تفوت الاحصاء ٠

وكان عند جامع ابن طولون قوم يتخطفون الناس ووقع في حبالتهم شيخ كتبي بدين ممن يتبيعنا الكتب فافلت بجُرَيْعة الذقن[13] ٠ وكذلك بعض قوام جامع مصر وقع في حبالة قوم آخرين بالقرافة فتداركه الناس فخلص من الوهق وله

١ ـ يصفه الشيخ كامل الغزي في كتابه نهر الذهب بقوله : « فيها كان الفناء العظيم والطاعون العميم ، الذي جاز البلاد والأمصار ولم يسمع به في سالف الأعصار وأخلى الديار والبيوت واوقع الناس في علة السكوت وكان اذا طعن به انسان لا يعيش أكثر من ساعة رملية ، واذا عاين ذلك ودع اصحابه واغلق حانوته وحفر قبره ومضى الى بيته ومات وقد بلغ عدد الموتى في حلب في اليوم الواحد نحو خمسماية وبدمشق الى اكثر من الف ومات بالديار المصرية في يوم واحد نحو العشرين الفاً وهكذا اورد الخبر واستمر نحو سنة وفني به العالم نحو ثلثيهم وفيه يقول ابن الوردي : قيل ان هذا الوباء ابتدأ من الظلمات قبل وصوله الى حلب بخمسة عشر عاماً وهو سادس طاعون وقع في الاسلام وعنه قيل انه الموتان الذي انذر به عليه السلام » ٠ الغزي ج ٣ ص ١٨٦ ٠

حصاص[١٤] وأما من خرج من أهله فنم يرجع اليهم فخلق كثير : وحكى لي من أثق به أنه اجتاز على امرأة بخربة وبين يديها ميت قد انتفخ وتفجر وهي تأكل من أفخاذه ، فأنكر عليها فزعمت أنه زوجها وكثيراً ما يدعي الآكل أن المأكول ولده أو زوجه أو نحو ذلك • ورؤى مع عجوز صغير تأكله فاعتذرت بأن قالت انما هو ولد ابنتي وليس بأجنبي مني ولأن آكله أنا خير من أن يأكله غيري •

وأشباه هذا كثير جداً حتى أنك لاتجد أحداً في ديار مصر الا وقد رأى شيئاً من ذلك حتى أرباب الزوايا والنساء في خدورهن •

ومما شاع أيضاً نبش القبور وأكل الموتى وبيع لحومهم •

وهذه البلية التي شرحناها وجدت في جميع بلاد مصر ليس فيها بلد الا وقد أكل فيه الناس أكلا ذريعاً من أسوان وقوص والفيوم والمحلة والاسكندرية ودمياط وسائر النواحي •

وخبرني بعض أصحابي وهو تاجر مأمون حين ورد من الاسكندرية بكثرة ما عاين بها من ذلك • وأعجب ما حكى لي أنه عاين أرؤس خمسة صغار مطبوخة في قدر واحدة بالتوابل الجيدة • وهذا المقدار من هذا الاقتصاص كاف فاني وان كنت قد أسهبت أعتقد أني قد قصرت •

وأما القتل والفتك في النواحي فكثير فاش في كل فج ولا سيما طريقي الفيوم والاسكندرية ، وقد كان بطريق الفيوم ناس في مراكب يرخصون الأجرة على الركاب فاذا توسطوا بهم الطرق ذبحوهم وتساهموا أسلابهم • وظفر الوالي منهم بجماعة فمثّل بهم ، وأقر بعضهم عندما أوجع ضرباً أن الذي خصه دون رفقائه ستة آلاف دينار •

وأما موت الفقراء هزالا وجوعاً فأمر لا يطيق علمه الا الله سبحانه وتعالى وانما نذكر منه كالأنموذج يستدل به اللبيب على فظاعة الأمر •

فالذي شاهدناه بمصر والقاهرة وما تاخم ذلك أن الماشي أين كان لا يزال يقع قدمه أو بصره على ميت ومن هو في السياق أو على جمع كثير بهذه الحال ، وكان يرفع عن القاهرة خاصة الى الميضاة كل يوم ما بين مائة الى خمس مائة ،

وأما مصر فليس لموتاها عدد ويرمون ولا يوارون. ثم بآخرة عُجِزَ عن رميهم فبقوا في الأسواق بين البيوت والدكاكين وفيها والميت منهم قد تقطع والى جانبه الشواء والخباز ونحوه ٠

وأما الضواحي والقرى فانه هلك أهلها قاطبة الا ما شاء الله ، وبعضهم انجلى عنها اللهم الا الأمهات والقرى الكبار كقوص والأشمونين والمحلة ونحو ذلك ، ومع هذا أيضاً فلم يبق فيها الاتحلّة القسم(١٥) وان المسافر ليمر بالبلدة فلا يجد فيها نافخ ضرمة ويجد البيوت مفتحة وأهلها موتى متقابلين ، بعضهم قد رم وبعضهم طري وربما وجد في البيت أثاثه وليس له من يأخذ ٠

حدثني بذلك غير واحد كل منهم حكى ما يعضد به قول الآخر قال أحدهم دخلنا مدينة فلم نجد فيها حيواناً في الأرض ولا في السماء فتخللنا البيوت فألفينا أهلها كما قال الله عز وجل « جعلناهم حصيداً خامدين » فتجد ساكن كل دار موتى فيها الرجل وزوجته وأولاده ٠ قال : ثم انتقلنا الى بلد آخر ذكر لنا انه كان فيه أربع مائة دكان للحياكة فوجدناها كالتي قبلها في الخراب ، وان الحائك في بير حياكته ميت وأهله موتى حوله ، فحضرني قوله تعالى « ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون » ، قال : ثم انتقلنا الى بلد آخر فوجدناه كالذي قبله ليس به أنيس وهو مشحون بموتى أهله ٠ قال : واحتجنا الى الاقامة به لأجل الزراعة فاستأجرنا من ينقل الموتى مما حولنا الى النيل كل عشرة بدرهم ، قال : ولكن قد بدلت البلاد بالذئاب والضباع ترتع في لحوم أهلها ٠

ومن عجيب ما شاهدت أني كنت يوماً مشرفاً على النيل مع جماعة فاجتاز علينا في نحو ساعة نحو عشرة موتى كأنهم القرب المنفوخة هذا من غير أن نتصدى لرؤيتهم ولا أحطنا بعرض البحر ٠ وفي غد ذلك اليوم ركبنا سفينة فرأينا أشلاء الموتى في الخليج وسائر الشطوط كما شبهها ابن حجر بانابيش العنصل وخبرت عن صياد بفرضة تنيس أنه مر به في بعض نهار أربع مائة غريق يقذف بهم النيل الى البحر الملح ٠ وأما طريق الشام فقد تواترت الأخبار أنها صارت مزرعة لبني آدم بل محصدة ، وانه عادت مأدبة بلحومهم للطير والسباع وان كلابهم التي صحبتهم من مجلاهم هي التي تأكل فيهم ٠

وأول من هلك في هذه الطريق أهل الحرف عندما انتجعوا الى الشام وانتشروا في هذه المسافة مع طولها كالجراد المحسوس ، ولم تزل تتواصل هلكاهم الى الآن ، وانتهى انتجاعهم الى الموصل وبغداد وخراسان والى بلاد الروم والمغرب واليمن ومزقوا في البلاد كل ممزق .

وكثيراً ما كانت المرأة تتملص من صبيتها في الزحام فيتضورون حتى يموتوا .

وأما بيع الأحرار فشاع وذاع عندمن لا يراقب الله ، حتى تباع الجارية الحسناء بدراهم معدودة ، وعرض عليّ جاريتان مراهقتان بدينار واحد، ورأيت مرة أخرى جاريتين احداهما بكر ينادى عليهما بأحد عشر درهماً .

وسألتني امرأة أن أشتري ابنتها وكانت جميلة دون البلوغ بخمسة دراهم فعرّفتها أن ذلك حرام فقالت خذها هدية . وكثيراً ما يترامى النساء والولدان الذين فيهم صباحة على الناس بأن يشتروهم أو يبيعوهم وقد استحل ذلك خلق عظيم ووصل سبيهم الى العراق وأعماق خراسان وغير ذلك » .

وقد ألّفت كتب كثيرة في الطاعون، وخاصة في عصور الانحطاط حيث لم يعد يعرف الانسان كيف يفعل ليتدارك هذا الوباء .

ومن أشهر الكتب كتاب « بذل الماعون بفضل الطاعون » للعسقلاني الكناني. وهو قليل الفائدة الطبية .

يذكر فيه أن أفظع طاعون كان بمصر والشام ٨٤٩ هـ/١٤٤٥ م ثم يصف الطاعون في حلب فيقول « وهذا الذي جلب لأهل حلب الانزعاج استرسل بعنانه أو انساب وسمي طاعون الانساب وهو أعظم طاعون وقع في الاسلام ، وعندي أنه الموت الذي أنذر به نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام ، فلو رأيت الأعيان وهم يطالعون في كتب الطب الغوامض ويكثرون في العلاج من أكل النواشف والحوامض ، قد تنغص عيشهم الهني ، بملاطخة مسلم الطينة الطين الأرمني ، وقد لاطف كل منهم مزاجه وعدل ، وبخروا بيوتهم بالعنبر والكافور والسعد والصندل ، وتختموا بالياقوت ، وجعلوا البصل والخل والطحينة من جملة

الادم والقوت وأقلوا من الأمراق والفاكهة ، وقربوا اليهم الأترج وما شابهه :

حلب والله يكفي شرها أرض مشقه
أصبحت حية سوءٍ تقتل الناس ببزقه

فلو شاهدت كثرة النعوش وحملة الموتى ، وسمعت بكل قطر من حلب نعياً وصوتاً ، لوليت منهم فراراً، وأبيت فيهم قراراً، ولقد كثرت فيها أرزاق الجنائزية فلا رزقوا ، وعاشوا بهذا الموسم وعرقوا، فلا عاشوا ولا عرقوا ، فهم يلهون ويلعبون ، ويتقاعدون على الزبون ،اسودت الشهباء في عيني من وهم وغش، كاد بنو نعش ، أن يلحقوا ببنات نعش ،فنستغفر الله من هوى النفوس فهذا بعض عقابه ، ونعوذ برضاه من سخطه وبمعافاته من عقابه :

قالوا فساد الهوا يردي فقلت يردي هوى الفسادِ
كم سيئات وكم خطايا نادى علينا بها المنادي

ومما أغضب الاسلام ، وأوجب الآلام ، ان أهل سيس(*) الملاعين مسرورون لبلائنا بالطواعين ، حتى كأنهم في أمان أو عليه أن لا يقربهم ضمان ، أو كأنهم اذا ظفروا ، ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا :

سكانُ سيس يسرُهم ما ساءنا وكذا العوائدُ من عدوّ الدينِ
اللهُ ينفذه اليهم عاجلا ليمزّقَ الطاعونَ بالطاعونِ

وفي دار الأوقاف الاسلامية بحلب للكتب ، ستة مخطوطات عن الطاعون معظمها إن لم نقل كلها مأخوذ عن هذا أي كتاب ابن حجر ، وهذا يدلنا على ما كان للطاعون من رهبة وأهمية والواقع أنه داء رهيب ، ذاقت منه حلب الأهوال الشداد •

والمؤلف هو الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني الكناني الشافعي ولد في القاهرة سنة ٧٧٤ هـ/ ١٣٧٢ م ودرس بدمشق والحجاز وبغداد والقاهرة وأصبح قاضي القضاة وتوفي سنة ٨٥٢هـ/ ١٤٤٩ م وله عشرات

★ سيس مدينة في قيليقية (آدنه) حاصرها العرب ٧٠٤ وكانت عاصمة مملكة ارمينيا الصغرى (١١٨٦) فتحها المماليك وخربوها (١٣٧٤) لها مقام ديني خطير عند الأرمن لأنه جرت فيها رسامة القديس غريغوريوس المنور اسقفا اول بطاركتهم (٢٦٧) المنجد ـ الأب معلوف • ص ٢٧٧ •

الكتب في مختلف المواضيع والكتاب يعود الى عصور الانحطاط بعد أن انحسر الفكر العلمي وطغى الفكر اللا علمي الذي يعتمد على الروحانيات في شكلها الرديء وأقصد القريب من الشعوذة والسحر • وقد يكون العذر في ذلك هو العجز التام للطب في الوقوف في وجه الداء الرهيب •

ولم يكن الحال في أوروبا بأفضل • ويقول كنيبث والكر(١٦) في ذلك :

« ان ظهور الأوبئة وبشكل خاص الطاعون ، كان يُعزى الى أسباب الهية وتعني عقاب البشر بسبب ذنوبهم •

ولقد سبب هذا الشعور الأليم بالذنب ، في أوروبا ، ظهور بدعات يمكن تصنيفها « بالهستيريا الجماعية »(*) • وهكذا فكانت الكنائس تمتلىء بالمصلين وتسمع الصلوات المزوجة الأنين والصرخات في كل مكان •

أما المتعصبين فقد كانوا يعاقبون أنفسهم بأنفسهم وعلانية ، ويشجعون الآخرين على ذلك • وانتشرت الهستيريا في كل مكان •

ووصل الأمر في هنغاريا أن أسست جمعيات لجلد المذنبين عرفت باسم « اخوة الصليب » فكانت ترسل الى كل أنحاء العالم مبشرين مرتدين ملابس خشنة ذات ألوان قاتمة ، مع صليب ضخم أحمر على صدورهم • كان هؤلاء يحملون أسياطاً ذات ثلاث شعب تنتهي كل منها بكرة صغيرة من الحديد ، فكانوا يجتازون المدن ، رؤوسهم مغطاة بالقلنسوة ، وأعينهم تنظر الى أسفل • وكانوا يُستقبلون بقرع الأجراس • عندئذ يجتمع السكان في ساحة القرية أو المدينة ، لمشاهدة التعذيب • وكانت تقام هذه الحفلة مرتين في اليوم • وبعد أن يحصل المبشرون على عدد واف من المقتنعين بالطريقة ، يذهبون الى مدينة أخرى •

ولكن هذه الهستيريا كانت أحياناً تظهر بأشكال مغايرة ، على شكل رقصات تشنجية عصبية تسمى برقصة القديس جي Saint Guy ، أو القديس حنا وكانت تقام في الساحات العامة ، يشترك فيها بعض الراقصين فيصرخون

(*) HYSTERIE COLLECTIVE

ويولولون ويبكـون ويتشـنجون حتـى يسـقطوا علـى الأرض من الانهـاك • ويشترك معهم الناس فيصبح الأمر عبارة عن تظاهرة جنونية جماعية علنية •

وهكذا مثلا في عام ١٣٧٤ في مدينة ايكس لاشابيل اشترك مئات من النسـاء والرجال في رقصة من هذا النوع ، فذهبوا بعد ذلك الى مدن أخرى •

وعندما وجدت الكنيسة أن الأمـر كاد أن يفلت من زمامهـا أمرت باقامـة حفلات منظمة لطرد الأرواح الشريرة من هؤلاء الذين تلبستهم » •

المعـالجـة

لعل أفضل كتاب وضع في العربيـة عن الأوبئة هو كتاب « مادة البقـاء في اصلاح فساد الهواء والتحرزمن ضرر الوباء » ، للتميمي ويقول في المقدمة(٤) :

« فكان الأولى بالذين يتولون منهم علاج ملوكها وخاصـة رؤسائها وعامـة أهلها أن تكون عنايتهم بمداواة الهـواء الفاسد المحدث لوقوع الأوبئة بها الجالب الطواعين على سكانها أولى وأوجب من عنايتهم بمداواة ما يتحصل بذلك مـن الأمراض المخوفة في أجساد أهلها ، وأن يصرفوا هممهم الى ذلك ، ويفرغوا لـه نفوسهم •

••• ولم أر أحداً من المتقدمين منهم ولا من المتأخرين أمعن النظـر في ذلـك وعني به أتم عناية حتى وضع له كتابـاً ونصب له أمثاله من العلاجات فكان مـن بعده يقتدي به ويسلك في ذلك محجتـه غير الفاضل أبقراط فانه وضع كتـاب الاهوية والبلدان والمياه •• وكذلـك وجدته في وضعه الكتاب المسمى افيديميا وما ذكر فيه من الأمراض الوافدة • »

الكتاب مؤلف من عشر مقالات ذكرنا نبذاً منها فيما سبق • ونسـرد نبـذاً أخرى تتعلق بالمعالجة الوقائية والدوائية فيقول :(٤)

« فاسأل كافة الناس من ذوي الأسنان المختلفة الأمزاج المتغايرة عند فسـاد الهواء ، وتنسم الطواعين ، والأمراض الوافدة في النـاس أن يتجنبـوا دخـول الحمامات وأن يهجروها مدة ذلك الفساد••• أما ذوو النعمة من الملوك والرؤساء وذوو الثروة واتساع الحال ممن له حمام ملاصق لمنزله أو بالقـرب منـه ••• فليدخلها ولا يطل المكث فيها » •

ويشـدد على أهميـة النـار كأداةللتعقيم والتطهير فيقول :[٤]

« قال محمد بن أحمد : اني نظرت في حال العناصر الأربعة فلم أجد عنصراً منها له سلطان على الهواء والماء وعلـى العنصر الثالث أعني الأرض وما ينشـأ فيها ، ويعيش على ظهرها من الحيـوان غير العنصر الرابع الذي هو الناروسأذكر كيفية اصلاح النار للعناصر الثلاثة الأخر اذا هي فسدت معاً أو فسد أحدهـا ونعت كيفية انحطاط شعاعها وحرهـا الى وجه الأرض ووصوله الى أرحامهـا لاخراج النبات وتوليدها أحجار المعادن، وما في ذلك للحيوان والنبات من المنافع والنشوء ودوام الحياة ، ولما كانت النار ألطف العناصر طباعـاً وأعلاها مكانـاً وكانت في كيفيتهـا حاوية لما دونها مـن العناصر الثلاثة ومستولية عليها وحاكمة فيها وجب أن يكون يسـتدرك اصـلاح ما فسد منه غيرها وتلطيف ما كيف منها وغلظ ووجدناها بالحقيقة تفعل في ذلك فعلا قوياً ، ويؤثر فيه تأثيراً حسناً » .

وينصح باستعمالها لتنقية الهـواء بواسطة التدخين :

« وذلك انا لا نصل الى تلطيف الهواء الغليظ وترقيقـه وتحليـل الغلـظ العارض فيه بغير ايقاد النـيران في المجالس والمسـاكن وبالقـرب من المراقـد وباستعمال الدخن التي ركبتها الأوائـل وغيرها من الدخن المصلحة للهواء التـي أتينا بذكرها آنفاً » .

أما المياه فيجب غليها ثم تصفيتهـا بالخزف المخلخل ، واذا كان فيـه بعض التراب وغيره فتسـتعمل أدوية خاصـة فيقول :

« وان يعنوا من ذلك باصلاح الذي تغتذي به أجسادهم وتترطب به أكبادهم اذ بالماء حياة كل حي ونمو كل نام مـن الحيوان والنبات والمعادن وليس اصلاح الماء الفاسد ممكناً بغير طبخه بالنار اذ النار بحرها تحلل مافيه من الغلظ وتزيل عنه ما مازجه من فساد الهواء ...

قال محمد : فأما اصلاح الماء الفاسد بالنار وكيفية عملـه فسبيل مـن أراد اصلاحه بالنار أن يطبخه في آنية من النحاس المونك[١٧] أو من حديد البرام ... وسبيله أن يديم طبخه حتى يذهب منـه الربع ثم ليبرّد في آنية من جديد الخزف الرقيق المتخلل الأخير الكثير الرشح ... وينبغي أن نعلـم أن أفضـل هذا المـاء المطبوخ المبرد وألطفه وأنفعه رشحه وهو ما رشح منه في آنيـة الخزف الجـديد

المتحلل الأجزاء الدائم الرشح فليعتمد شرب ذلك منه ··· فأما تصفية الماء الكدر فانه قد يحتال لتصفية الماء الطيب الخفيف اذا كان كدراً في أوقات المدود لأجل أنواع الترب التي يمر بها ويجري عليها بوجوه من العلاج فمنه ما يصفى بأن يلقى فيه اليسير من الشب الأبيض اليماني ، أو بأن يلقى فيه شيء من لب نوى المشمش أو قلوب اللوز المر مدقوقة أو اليسير من ملح الطعام مدقوقاً أو يلقى فيه شيء من خشب الساج فانه اذا ألقي في الماء الحلو الكدر أحد هذه الأشياء وحرك به تحريكاً جيداً ثم ترك ساعة زمانية فانه يصفيه ويروقه ويميز العنصر الأرضي منه بسرعة » ·

وكل هذا صحيح برمته حتى يومنا هذا· وكأنما اكتشف مصفاة «شامبرلان» المبنية على تصفية الماء بالخزف على عدة طبقات ·

المصادر

١ ـ Leclerc Lucien : Histoire de la Médeçine Arabe — 1878 — T. 1 — P. 19.

٢ ـ القوصوني المصري : مدين بن عبد الرحمن ـ قاموس الأطباء وناموس الألباء ـ مصورات مجمع اللغة العربية دمشق ـ ١٩٧٩ ـ ج ١ ص ١٦ ·

٣ ـ ابن رضوان : علي ـ كتاب في دفع مضار الأبدان عن أرض مصر ـ مخطوطة دار الكتب المصرية · الفصل الحادي عشر ·

٤ ـ التميمي ابو عبدالله ـ محمد بن أحمد بن سعيد الحكيم المقدسي ثم المصري التميمي · مادة البقاء في اصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الوباء ـ المكتبة المارونية بحلب · مخطوطة ورقة ٥٦١ ·

٥ ـ ابن سينا : الحسين بن علي ـ القانون ـ طبعة بولاق ـ اوفست بغداد ج ٣ ـ ص ٦٤ ـ ٦٦ · وطبعة روما سنة ١٥٩٣ المقالة الثانية من الفن الأول ص ٣٤ ـ ٣٥ ·

٦ ـ المصدر رقم ١ ص ٢٧ ·

٧ ـ الرازي : ابو بكر محمد بن زكريا ـ الحاوي ـ حيدر آباد الدكن ـ ج ١٧ ص ٢ ـ ٣ ·

٨ ـ الرازي : ج ١٧ ـ ص ١٤ ·

٨ ـمكرر ـ الرازي حاوي ـ ج ١٧ ـ ص ١٥ ·

٩ ـ الرازي ج ١٧ ـ ص ٢٣ ـ ٢٤ ·

١٠ـ المصدر رقم ٥ ج ٣ ـ ص ١٢١ ·

١١ـ المصدر رقم ٧ ج ١٧ ص ٤ ·

١١ـمكرر ـ ابن خلدون ـ المقدمة ـ بيروت ـ ص : ٢٣٩ ·

١٢ـ البغدادي : عبداللطيف موفق الدين محمد ـ كتاب الافادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والمعاينة بأرض مصر ـ طبعة المجلة المصرية بلا تاريخ ـ ص ٦٥ ـ ٦٨ ·

١٣ـ يقال : افلت فلان بجريعة الذقن اي نجا بعد اذ أشرف على التلف · (المجلة)

١٤ـ يقال : « افلت وله حُصاص » مثل يضرب لمن نجا تحت رعدة شديدة · (المجلة)

١٥ـ اي القليل اشارة الى الحديث : « لا يموت لمؤمن ثلاثة اولاد وتمسه النار الا تحلة القسم » · (المجلة)

١٦ ـ Walker Kenneth : Histoire de la Médecine — Bruxelles — 1962 — PP. 97-98

١٧ـ المونك اي المطلي بالآنك وهو الأسرب اي القصدير ونقول في العصر الحاضر المبيّض · (المجلة)

اعجاز القرآن وترجمته *

د. جعفر دك الباب
جامعة دمشق

لا بد من التطرق بايجاز الى موضوع اعجاز القرآن الكريم قبل البحث في مسألة ترجمة القرآن الى اللغات المختلفة ·

أولا ـ اعجاز القرآن :

ذكر القاضي الباقلاني في كتابه « اعجاز القرآن » أن « الذي يوجب الاهتمام التام بمعرفة اعجاز القرآن أن نبوة نبينا عليه السلام بنيت على هذه المعجزة »(١) · وأشار الى ثلاثة أوجه من اعجاز القرآن (٢) :

آ) الاخبار عن الغيوب ، وذلك مما لا يقدر عليه البشر ·

ب) الاخبار عما تقدم منذ خلق الله آدم عليه السلام ، مع أن النبي الكريم كان أميا ولم يكن يعرف شيئا من كتب المتقدمين ·

ج) ان القرآن بديع النظم عجيب التأليف متناه في البلاغة الى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه ·

وذكر السكاكي في كتابه « مفتاح العلوم» أن قارعي باب الاستدلال بعد الاتفاق على أنه معجز مختلفون في وجه الاعجاز ·

آ) فمنهم من يقول وجه الاعجاز هو أنه عز سلطانه صرف المتحدين لمعارضة القرآن عن الاتيان بمثله بمشيئته ·

★ القي هذا البحث في خطوطه العريضة في « المؤتمر العالمي لتاريخ الحضارة العربية الاسلامية » الذي اقامته وزارة التعليم العالي في جامعة دمشق بمناسبة بداية القرن الخامس عشر الهجري (٢٠ ـ ٢٦ نيسان ١٩٨١) ، لدى مناقشة محاضرة الدكتور محمد نوري عثمانوف (الاتحاد السوفيتي) بعنوان « مزايا ترجمة القرآن الى الروسية للأكاديمي اغناتي كراتشكوفسكي » ·
« The merits of the Russian translation of the K oran by academician Ignaty Y. Krachkovsky ».

ب) ومنهم من يقول وجه اعجاز القرآن وروده على أسلوب مبتدىء مباين لأساليب كلامهم في خطبهم وأشعارهم ، لا سيما في مطالع السور ومقاطع الآي ٠

ج) ومنهم من يقول وجه اعجازه سلامته عن التناقض ٠

د) ومنهم من يقول وجه الاعجاز الاشتمال على الغيوب ٠

هـ) فهذه أقوال أربعة يخمسها ما يجده أصحاب الذوق من أن وجه الاعجاز هو أمر من جنس البلاغة والفصاحة(٣) ٠

وقال السيوطي في كتابه « الاتقان في علوم القرآن » ما يلي : « لما ثبت كون القرآن معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم وجب الاهتمام بمعرفة وجه الاعجاز ٠ وقد خاض الناس في ذلك كثيرا فبين محسن ومسيء ٠٠٠ »(٤) ٠ ولخص السيوطي الآراء المختلفة حول اعجاز القرآن ٠

كان للمتكلمين الدور الأكبر في تاريخ دراسة اعجاز القرآن الكريم ٠ وبالرغم من ذلك يغفل عدد من الباحثين المعاصرين فضل المتكلمين في هذا المضمار ٠ هذا ويتم أيضا بشكل عام اغفال دور المتكلمين الايجابي في علم اللغة العربية(٥) ٠ وعلى سبيل المثال أشير الى أن الأستاذ مناع القطان كتب في كتابه « مباحث في علوم القرآن » في فصل (اعجاز القرآن) ما يلي : « لقد كان لنشأة علم الكلام في الاسلام أثر أصدق ما يقال فيه: انه كلام في كلام ، وما فيه من وميض التفكير يجر متتبعه الى مجاهل من القول بعضها فوق بعض ٠ وقد بدأت مأساة علماء الكلام في القول بخلق القرآن ، ثم اختلفت آراؤهم وتضاربت في وجوه اعجازه »(٦) ٠

وقد أنصف المتكلمين الدكتور محمد علي سلطاني في كتابه « مع البلاغة العربية في تاريخها » حين كتب : « ومما يلفت النظر أن تنهض فئة المتكلمين بالنصيب الأوفى في البحوث الدائبة للكشف عن سر اعجاز القرآن من الناحية الفنية البلاغية على وجه الخصوص ، مزودين بثقافة واسعة : عربية واسلامية ومترجمة ، ترفدها قدرة فائقة على الجدل والمناظرة ، تمكينا للدين في النفوس ٠٠٠ »(٧) ٠ وقد ميز د٠ سلطاني مرحلتين في تاريخ دراسات الاعجاز البياني للقرآن : مرحلة ما قبل عبد القاهر الجرجاني، ومرحلة عبدالقاهر الجرجاني ٠

ففي مرحلة (ما قبل عبدالقاهر) أشار د٠ سلطاني الى أن الباقلاني كان مضطرا الى استخدام طرائق المتكلمين للتدليل على اعجاز القرآن : « غير أن الباقلاني لم يدلنا على الوجوه التي تصلح مقياسا لادراك اعجاز النظم ، ويعجز البشر عن اللحاق بها ٠٠٠ فلم يلبث أن هداه تفكيره الى محاولة جديدة، لبس لها رداء المتكلمين ليصيب هدفه من أقرب السبل وأوضحها ، بعد أن تزود لها بمنطلق جديد لا صلة له بالتلمس الفني لجوانب الاعجاز ، فعمد الى تصنيف الناس ثلاثة أصناف : أعجمي وعربي كالأعجمي وعربي قد تناهى في الفصاحة والبيان ٠فاذا عجزت الفئة الثالثة عن محاكاة القرآن ومعارضة بيانه الفذ ، وهم العرب الأقدمون بعد أن لمسوا تفوقه واعجازه، فالفئات الأخرى لبلوغ ذلك أعجز »(٨) ٠

ان بروز تيار أدبي انهمك بالاعتناء بالسجع وتنسيق توافق الكلمات من حيث اللفظ دون المعنى ، أدى في القرن الخامس للهجرة الى ردة فعل تجلت في الدعوة الى اهمال الشعر والانصراف عن النحو • وقد تصدى الامام عبد القاهر الجرجاني للتيار الذي اهتم باللفظ دون المعنى • وهاجم الدعوة الى اهمال الشعر والانصراف عن علم النحو • وأكد أن البلاغة ليست أمرا مستقلا عن اللغة ، وبيّن أن البلاغة تساعد اللغة على أداء وظيفتها المتمثلة في الاتصال • فكان كتابه « دلائل الاعجاز في علم المعاني » بداية مرحلة جديدة في تاريخ علم اللغة العربية هي مرحلة الدراسة الوظيفية للغة العربية • واشتمل كتاب « دلائل الاعجاز » على نظرية متكاملة في اللغة ووظائفها • وقد قمت ببلورة نظرية الامام الجرجاني اللغوية وحددت موقعها في علم اللغة العام الحديث في كتابي « الموجز في شرح (دلائل الاعجاز في علم المعاني) »(٩) •

وقبل أن أعرض رأي الامام الجرجاني في اعجاز القرآن ، سأقدم بعض التوضيحات للمفاهيم والمصطلحات التي يستخدمها الجرجاني •

١ ـ ان الجرجاني حين يؤكد أن (الألفاظ أوعية للمعاني وخادمة لها) ينطلق في ذلك من الوحدة التي لا تنفصم بين الشكل (اللفظ) والمضمون (المعنى) •

« وليت شعري ، هل كانت الألفاظ الامن أجل المعاني ؟ وهل هي الا خدم لها ومصرفة على حكمها ••• »(١٠) •

« ان الألفاظ اذا كانت أوعية للمعاني ، فانها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها ، فاذا وجب لمعنى أن يكون أولا في النفس وجب اللفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق »(١١) •

٢ ـ يفيد تعبير (نظم الكلم) عند الجرجاني (ترتيب الكلمات وتأليف الكلام) • ويمكن تلخيص علاقة الكلمة المفردة بالنظم بما يلي :

آ) لا ترتبط البلاغة بالكلمة المفردة دون اعتبار موقعها في النظم •

« انك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موقع ، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر »(١٢) •

« فلو كانت الكلمة اذا حسنت حسنت من حيث هي لفظ ، واذا استحقت المزية والشرف استحقت ذلك في ذاتها وعلى انفرادها ، دون أن يكون السبب في ذلك حال لها مع أخواتها المجاورة لها في النظم ، لما اختلفت بها الحال ولكانت اما أن تحسن أبدا أو لا تحسن أبدا »(١٣) •

ب) لا بد في النظم من أن تتلاقى معاني الكلمات على الوجه الذي يقتضيه العقل•

« ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق ، بل أن تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل »(١٤) •

ج) يتم نظم الكلم وفق قوانين النحو • ومعاني النحو هي المعاني ذات الدلالات العقلية والمهم معرفة مدلولات النحو لا العبارات النحوية نفسها •

د) لا ينكر تعلق الفكر بمعاني الكلم المفردة أصلا ، ولكن الفكر لا يتعلق بمعاني الكلم مجردة عن معاني النحو •

ولا بد هنا من مناقشة رأي تبناه د• سلطاني حول « تأثر الجرجاني بتفضيل الجاحظ للفظ مما أوصله الى موقف مناقض للمعروف عنه »(١٥) •

اننا نرى أن القول (بوجود تناقض في موقف الامام الجرجاني) ينبع من الفصل بين الشكل والمعنى • وقد أشار الجرجاني الى تلازم الشكل والمعنى بقوله : « واعلم أنهم لم يعيبوا تقديم الكلام بمعناه من حيث جهلوا أن المعنى اذا كان أدبا وحكمة وكان غريبا نادرا ، فهو أشرف مما ليس كذلك • بل عابوه من حيث كان من حكم من قضى في جنس من الأجناس بفضل أو نقص أن لا يعتبر في قضيته تلك الا الأوصاف التي تخص ذلك الجنس وترجع الى حقيقته ، وأن لا ينظر فيها الى جنس آخر ، وان كان من الأول بسبيل أو متصلا به اتصال مالا ينفك منه »(١٦) •

وكنت قد أشرت في « الموجز في شرح دلائل الاعجاز » الى أن مهاجمة الجرجاني من يقدم الشعر بمعناه فقط دون الاهتمام بنظم ألفاظه يجب أن نفهمها في ضوء شرحه للعلاقة بين المضمون (الذي هو المعنى) والشكل (الذي هو اللفظ) وأنه لا يجوز فصل أحدهما عن الآخر(١٧) • كما أشرت الى أن العلاقة بين الشكل والمعنى علاقة جدلية لا انفصام فيها • لذا لا يجوز أن نأخذ بعين الاعتبار جانبا واحدا منهما فقط ونهمل الجانب الآخر • وهذا هو السبب في الانتقاد الشديد الذي وجهه القدماء ممن صنف في البلاغة كالجاحظ لمن أهملوا الشكل ولم يوجبوا الفضل والمزية في الشعر الا من جانب المعنى وحتى يكون قد قال حكمة أو أدبا واستخرج معنى غريبا أو شبيها نادرا(١٨) •

٣ ــ ان مصطلح (المعنى) الذي يستخدمه الجرجاني ــ حين لا يقصد به معاني الكلم المفردة بل معاني الكلم المرتبطة بالنظم ــ يفيد (معنى الكلام) • وسنلخص بايجاز رأي الجرجاني في معاني الكلام •

آ) الكلام خبر وأمر ونهي واستفهام وتعجب •

ب) الخبر وجميع الكلام معان توصف بأنها مقاصد وأغراض وأعظمها شأنا الخبر • وترتبط جميعها بوظيفة اللغة الأساسية وسيلة للاتصال بين الناس تتجلى في نقل ما يقصده المتكلم الى السامع •

ج) لا يقصد المتكلم أن يعلم السامع معاني الكلم المفردة التي يكلمه بها ، بل يقصد أن يعلم السامع بها شيئا جديدا لا يعلمه • وينقسم معنى الخبر ، تبعا لحاجة السامع المحددة بالموقف أو الحال الذي يقال فيه الكلام الى خبر ابتدائي وخبر غير ابتدائي •

د) ليس الخبر صفة للفظ ، ولكن حقيقة الخبر هي الحكم بوجود المعنى أو عدمه • ويسمى وجود المعنى من الشيء أوفيه اثباتا ، ويسمى عدم المعنى وانتفاؤه عن الشيء نفيا • والاثبات أو النفي بحد ذاتهما معنى ، لذا فان معنى الخبر هو معنى منفصل عن معنى المخبر به والمخبر عنه •

وهكذا نرى أن مصطلح (المعنى) عند الجرجاني يفيد (معنى الخبر وجميع الكلام) • ويرتبط هذا المعنى بالموقف أو الحال الذي يقال فيه وبالسياق الكلامي الفعلي الذي يدخل فيه • وفي ضوء ذلك أرى أن عنوان كتاب الامام الجرجاني « دلائل الاعجاز في علم المعاني » يفيد أن (دلائل الاعجاز تكون في معرفة ارتباط معنى الكلام بالموقف أو الحال الذي يقال فيه وبالسياق الكلامي الفعلي الذي يدخل فيه) •

وسأعرض الآن بايجاز رأي الامام الجرجاني في اعجاز القرآن •

١ ـ يناقش الجرجاني الرأي الذي يميز في البلاغة بين العرب وغير العرب ، لأن اللغة للعرب بالطبع ولغيرهم بالتكليف ، فيقول : « فمن ذلك أن تجد كثيرا ممن يتكلم في شأن البلاغة اذا ذكر أن للعرب الفضل والمزية في حسن النظم والتأليف ، وأن لها في ذلك شأوا لا يبلغه الدخلاء في كلامهم والمولدون ، جعل يعلل ذلك بأن يقول : **لا غرو فان اللغة لها بالطبع ولنا بالتكليف ، ولن يبلغ الدخيل في اللغات والألسنة مبلغ من نشأ عليها** ، وبدىء من أول خلقه بها وأشباه هذا مما يوهم أن المزية أتتها **من جانب العلم باللغة ، وهو خطأ عظيم وغلط منكر يفضي بقائله الى رفع الاعجاز من حيث لا يعلم** •

وذلك أنه **لا يثبت اعجاز حتى تثبت مزايا تفوق علوم البشر ، وتقصر قوى نظرهم عنها** ومعلومات ليس في مُنن أفكارهم وخواطرهم أن تفضي بهم اليها وأن تطلعهم عليها • **وذلك محال فيما كان علما باللغة** لأنه يؤدي الى أن يحدث في دلائل اللغة ما لم يتواضع عليه أهل اللغة • وذلك ما لا يخفى امتناعه على عاقل »(١٩) •

٢ ـ يناقش الجرجاني رأي من يثبت اعجاز القرآن بدليل عجز العرب عن أن يأتوا بمثله ، فيقول : « فان قال منهم قائل : انك قد أغفلت فيما رتبت ، فان لنا طريقا الى اعجاز القرآن غير ما قلت ، وهو علمنا بعجز العرب عن أن يأتوا بمثله • وتركهم أن يعارضوه مع تكرار التحدي عليهم وطول التقريع لهم بالعجز عنه ، ولأن الأمر كذلك (ما قامت)* به الحجة على العجم قيامها على العرب واستوى الناس قاطبة ، فلم يخرج الجاهل بلسان العرب من أن يكون محجوجا بالقرآن •

قيل له : خبِّرنا عما اتفق عليه المسلمون من اختصاص نبينا عليه السلام بأن كانت معجزته باقية على وجه الدهر • أتعرف له معنى : غير أن **لا يزال البرهان منه لائحا معرضا لكل من أراد العلم به** ، وطلب الوصول اليه ، والحجة فيه وبه ظاهرة لمن أرادها ، والعلم بها ممكنا لمن التمسه ؟ فان كنت لا تشك في أن **لا معنى لبقاء المعجزة بالقرآن**

★ ما ـ مصدرية •

الا أن الوصف الذي له كان معجزا قائم فيه أبدا ، وأن الطريق الى العلم به موجود ، والوصول اليه ممكن فانظر أي رجل تكون اذا أنت زهدت في أن تعرف حجة الله تعالى وآثرت فيه الجهل على العلم ، وعدم الاستبانة على وجودها ٠ وكان التقليد فيها أحب اليك ، والتعويل على علم غيرك آثر لديك ،ونح الهوى عنك ، وراجع عقلك ، واصدق نفسك ، يبين لك فحش الغلط فيما رأيت ،وقبح الخطأ في الذي توهمت ، وهل رأيت رأيا أعجز واختيارا أقبح : ممن كره أن تعرف حجة الله تعالى من الجهة التي اذا عرفت منها كانت أنور وأبهر وأقوى وأقهر ٠٠٠ ؟ »(٢٠) ٠

٣ ـ يهاجم الجرجاني الدعوة الى اهمال الشعر والانصراف عن علم النحو ، لأن ذلك يؤدي الى الصد عن أن تعرف حجة الله في اعجاز القرآن ، فيقول : « وأما النحو فظننته ضربا من التكلف وبابا من التعسف ، وشيئا لا يستند الى أصل ولا يعتمد فيه على عقل ٠ وأن ما زاد منه على معرفة الرفع والنصب وما يتصل بذلك مما تجده في المبادىء فهو فضل لا يجدي نفعا ولا تحصل منه على فائدة ٠٠٠ ذاك لأنهم بايثارهم الجهل بذلك على العلم في معنى الصاد عن سبيل الله ، والمبتغي الى اطفاء نور الله تعالى ٠

وذاك أنا اذا كنا نعلم أن الجهة التي منها قامت الحجة بالقرآن وظهرت ، وبانت وبهرت ، **هي أن كان على حد من الفصاحة تقصر عنه قوى البشر** ، ومنتهيا الى غاية لا يطمح اليها بالفكر ، **وكان محالا أن يعرف كونه كذلك الا من عرف الشعر الذي هو ديوان العرب** وعنوان الأدب ٠٠٠ كان الصادعن ذلك صادا عن أن تعرف حجة الله تعالى ٠٠٠ »(٢١) ٠

٤ ـ يورد الجرجاني تساؤلات من ينكر اعجاز القرآن : « ٠٠٠ فما هذا الذي تجدد بالقرآن من عظيم المزية وباهر الفضل والعجيب من الوصف ، حتى أعجز الناس قاطبة ، وحتى قهر من البلغاء والفصحاء القوي والقدر ، وقيد الخواطر والفكر ، حتى خرست الشقاشق ٠٠٠ »(٢٢) ٠

ويجيب الجرجاني على هذه التساؤلات بأن الاعجاز يظهر في مزايا نظم القرآن وخصائص سياق لفظه ٠ « ٠٠٠ **فقيل لناقد** سمعنا ما قلتم ، فخبرونا عنهم عماذا عجزوا أعن معان من دقة معانيه وحسنها وصحتها في المعقول ؟ أم عن ألفاظ مثل ألفاظه ؟ فان قلتم : عن الألفاظ ٠ فماذا أعجزهم من اللفظ ؟ أم بهرهم منه ؟ **فقلنا أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه وخصائص صادفوها في سياق لفظه** وبدائع راعتهم من مبادىء آيه ومقاطعها ٠٠٠ »(٢٣) ٠

ويشترط الجرجاني لوصف الكلام بالبلاغة أن يجتمع فيه عنصران :

أ) حسن الدلالة وتمامها فيما كانت له الدلالة ، وذلك بأن يؤتى المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته ٠

ب) تبرج الدلالة في صورة بهية ، وذلك بأن يختار للمعنى اللفظ الذي هو أخص به وأكشف عنه وأتم له(٢٤) ٠

ويشير الجرجاني الى أن المجاز والايجاز من أركان الاعجاز كذلك • ويؤكد على دور النظم في الاعجاز ، ويرفض الزعم بأن الاعجاز في مذاقة الحروف وفي سلامتها مما يثقل على اللسان • فيقول : «ذلك لأنه أول شيء يؤدي الى أن يكون القرآن معجزا لا بما به كان قرآنا وكلام الله عز وجل • لأنه على كل حال انما كان قرآنا وكلام الله عز وجل بالنظم الذي هو عليه • ومعلوم أن ليس النظم من مذاقة الحروف وسلامتها مما يثقل على اللسان في شيء • ثم انه **اتفاق من العقلاء أن الوصف الذي به تناهى القرآن الى حد عجز عنه المخلوقون هو الفصاحة والبلاغة** وما رأينا عاقلا جعل القرآن فصيحا أو بليغا بأن لا يكون في حروفه ما يثقل على اللسان ••• »(٢٥) •

« ••• وتراهم على لسان واحد في أن **المجاز والايجاز من الاركان في أمر الاعجاز** •

واذا كان الأمر كذلك عند كافة الذين تكلموا في المزايا التي للقرآن فينبغي أن ينظر في أمر الذي يسلم نفسه الى الغرور فيزعم أن الوصف الذي كان له القرآن معجزا هو سلامة حروفه مما يثقل على اللسان ، أيصح له القول بذلك الا من بعد أن يدعي الغلط على العقلاء قاطبة فيما قالوه ، والخطأ فيما أجمعوا عليه ؟ ••• »(٢٦) •

« واعلم أنا لا نأبى أن تكون مذاقة الحروف وسلامتها مما يثقل على اللسان داخلا فيما يوجب الفضيلة ، وأن تكون مما يؤكد أمر الاعجاز ، وانما الذي ننكره ونفيّل رأي من يذهب اليه أن يجعله معجزا به وحده ، ويجعله الأصل والعمدة ••• »(٢٧) •

٥ ـ يناقش الجرجاني في فصل خاص(٢٨) معنى التحدي بالاعجاز ، فيقول :
« يقال لهم : انكم تتلون قول الله تعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله)* وقوله عز وجل (قل فأتوا بعشر سور مثله)** وقوله (بسورة مثله)*** فقولوا الآن : أيجوز أن يكون تعالى قد أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يتحدى العرب الى أن يعرضوا القرآن بمثله من غير أن يكونوا قد عرفوا الوصف الذي اذا أتوا بكلام على ذلك الوصف كانوا قد أتوا بمثله ؟ ولا بد من (لا) لأنهم ان قالوا : يجوز ، أبطلوا التحدي من حيث ان التحدي كما لا يخفى مطالبة بأن يأتوا بكلام على وصف ، ولا تصح المطالبة بالاتيان به على وصف من غير أن يكون ذلك الوصف معلوما للمطالب ويبطل بذلك دعوى الاعجاز أيضا ••• » •

ويخلص الجرجاني من ذلك الى القول ان **الوصف بالاعجاز « ينبغي أن يكون وصفا قد تجدد بالقرآن وأمرا لم يوجد في غيره ولم يعرف قبل نزوله »** • ويقرر الجرجاني في ضوء ذلك أن الوصف بالاعجاز لا يجوز أن يكون :

---

* الاسراء/٨٨ •
** هود/١٣ •
*** يونس/٣٨ •

آ) في الكلم المفردة ٠
ب) في تركيب الحركات والسكنات ٠
ج) في المقاطع والفواصل ٠
د) بأن لا يكون في حروفه ما يثقل على اللسان ٠

كما يرفض الجرجاني القول بالصرفة، فيقول : « ثم ان هذه الشناعات التي تقدم ذكرها تلزم أصحاب الصرفة أيضا ٠٠٠ » ٠ ويعقب على كل ذلك قائلا : « فاذا بطل أن يكون الوصف الذي أعجزهم من القرآن في شيء مما عددناه ، لم يبق الا أن يكون الاستعارة ٠ **و لايمكن أن تجعل الاستعارة الأصل في الاعجاز**، وأن يقصد اليها ، **لان ذلك يؤدي الى أن يكون الاعجاز في آي معدودة ،في مواضع من السور الطوال مخصوصة** » ٠
ويظهر هنا جليا أن الجرجاني يرفض القول بأن القرآن معجز فقط في بعض المواضع ٠
ويتابع قائلا : « واذا امتنع ذلك فيها **لم يبق الا أن يكون في النظم والتاليف** ، وكنا قد علمنا أن **ليس النظم شيئا غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم** » ٠

« فان قيل : **قولك** (الا النظم) يقتضي اخراج ما في القرآن **من الاستعارة وضروب المجاز من جملة ما هو به معجز** ، وذلك **لا مساغ له** ٠ قيل : ليس **الأمر كما ظننت** ، **بل** ذلك يقتضي دخول الاستعارة ونظائرها **فيما هو** به معجز ، وذلك **لأن** هذه المعاني التي هي **الاستعارة والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز من بعدها من مقتضيات النظم ، وعنها يحدث وبها يكون** ، لأنه لا يتصور أن يدخل شيء منها في الكلم وهي أفراد لم يتوخ فيما بينها حكم من أحكام النحو » ٠

ثم **يناقش الجرجاني** القول بأن الوصف بالاعجاز هو في غريب القرآن ، فيرفضه:
« ٠٠٠ كيف وأنت تقرأ السورة من السور الطوال ، فلا تجد فيها من الغريب شيئا ٠ وتأمل ما جمعه العلماء في غريب القرآن ،فترى الغريب منه الا في القليل ، انما كان غريبا من أجل استعارة هي فيه ٠٠٠ ثم انه لو كان أكثر ألفاظ القرآن غريبا لكان محالا أن يدخل ذلك في الاعجاز وأن يصح التحدي به » ٠ ويظهر هنا أن الجرجاني لا يرى أن القرآن معجز في بعض مواضعه فقط ، بل اعجازه في كل مواضعه ٠

ويمكن **تلخيص رأي الجرجاني في اعجاز القرآن** بما يلي :

١ ــ ان الوصف الذي له كان القرآن معجزا ــ وهو الفصاحة والبلاغة ــ قائم فيه أبدا ٠ والطريق الى العلم به موجود والوصول اليه ممكن ٠
٢ ــ لا بد من الرجوع الى علم النحو والشعر العربي من أجل الكشف عن اعجاز القرآن ٠
٣ ــ لا ترتبط البلاغة بالكلمة المفردة دون اعتبارها في النظم ٠ ويجب أن يتوافر في الكلام البليغ عنصران : حسن الدلالة وتبرجها في صورة بهية ٠ لذا يظهر اعجاز القرآن في مزايا نظمه وخصائص سياق لفظه ٠
٤ ــ ليس النظم شيئا غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم ، كما أن الاستعارة وسائر ضروب المجاز من مقتضيات النظم وعنها يحدث وبها يكون ٠ وهذا يعني

أنه لا يجوز فصل النحو عن البلاغة ٠لذا فان دلائل الاعجاز تكون في معرفة الارتباطات النحوية بين الكلم من جهة، ومن جهة ثانية في معرفة ارتباط معاني الكلام بالموقف أو الحال الذي يقال فيه وبالسياق الكلامي الفعلي الذي يدخل فيه ٠ وانطلاقا من رأي الامام الجرجاني في اعجاز القرآن، سأعمد الى البحث في مسألة ترجمة القرآن الى اللغات الأجنبية ٠

ثانيا ــ ترجمة القرآن :

نص القرآن الكريم صراحة على أنه (قرآن عربي) و (بلسان عربي مبين) ٠ « كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون» /فصلت ــ ٣/ ٠ «انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » /يوسف ــ ٢/ ٠« وانه تنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ،بلسان عربي مبين »/الشعراء، ١٩٢ــ١٩٥/. « ٠٠٠ لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ٠٠٠ » /النحل ــ ١٠٣/ ٠

وقد اتفق الفقهاء على أن (القرآن كلام الله ، المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته)(٢٩) ٠ لذا فان ترجمة القرآن الى أي لغة غير العربية ليس قرآنا ، سواء أكانت الترجمة حرفية أم معنوية ٠

أفرد الأستاذ مناع القطان فصلا خاصا لموضوع (ترجمة القرآن)(٣٠) ٠ وميز فيه نوعين من الترجمة :

١ ــ الترجمة الحرفية ٠ وهي نقل ألفاظ من لغة الى نظائرها من اللغة الأخرى بحيث يكون النظم موافقا للنظم ٠

٢ ــ الترجمة التفسيرية أو المعنوية ٠ وهي بيان معنى الكلام بلغة أخرى من غير تقيد بترتيب كلمات الأصل ٠

وأشار الأستاذ القطان الى أن خواص كل لغة تختلف عن الأخرى في ترتيب أجزاء الجملة ٠ وخلص من ذلك الى القول بأن ترجمة القرآن الحرفية ــ مهما كان المترجم على دراية باللغات وأساليبها وتراكيبها ــ تخرج القرآن عن أن يكون قرآنا ٠

ونقل الأستاذ قطان ماذكره الشاطبي في الموافقات وهو للقرآن معان أصلية ومعان ثانوية ٠ والمراد بالمعاني الأصلية التي يستوي في فهمها كل من عرف مدلولات الألفاظ المفردة وعرف وجوه تراكيبها معرفة اجمالية ٠ والمراد بالمعاني الثانوية خواص النظم التي يرتفع بها شان الكلام ، وبها كان القرآن معجزا ٠

وذكر الأستاذ القطان أن ترجمة معاني القرآن الثانوية أمر غير ميسور ، لأن وجوه البلاغة القرآنية في اللفظ أو التركيب(لا يفي بحقها في أداء معناها لغة أخرى ، لأن أي لغة لا تحمل تلك الخواص) ٠ أما المعاني الأصلية فهي التي يمكن نقلها الى لغة أخرى ٠

لم يميـز الامام الجرجـاني بين معـان أصلية ومعان ثانوية للقرآن الكريم ، بـل جاء في « دلائل الاعجاز في علم المعاني » بنظرية لغوية تطرقت الى فلسـفة اللغة وبيـان ارتباطها بالتفكير ، وبحثت في نشأة اللغة ووظيفتها الأساسية كوسـيلة لاتصـال النـاس بعضهم ببعض • وحدد الجرجاني في ضوء ذلك معنى الفصاحة والبلاغة وشرح مفهوم نظـم الكلم ومعاني الكلام ، وبيَّن ارتباط معاني النحو بالدلالات العقليـة لمعاني الكلـم وأن نظم الكلم هو توخي معاني النحو ، وأشار الى أن الاسـتعارة وسائر ضـروب المجـاز مـن مقتضيات النظم • وهكذا نرى أن **الجرجاني أكد على ضرورة الربط بين النحو والبلاغة**•

أما التمييز بين معان أصلية ومعان ثانوية للقرآن فينطلق برأيي **من الفصل بين النحو والبلاغة** • ويؤدي ذلك الى القول بأن النحو يختص بصحة العبارة في ذاتها بصرف النظر عن صلتها بالقراء والسامعين (وهو ما يعبرون عنه بالمعنى الأصلي) ، وبـأن البلاغـة تختص بعرض الأفكار والمعلومات عرضا ملائما للمخاطبين(٣١) (وهو ما يعبرون عنـه بالمعنى الثانوي) •

اني أرى أن **فصل البلاغـة عن النحـو** ينعكس سلبيا على فهم خصائص بنية العربية، وينعكس بالتالي على فهم اعجاز القرآن **لأنه يؤدي الى القول بأن القرآن معجـز فقط في بعض مواضعه** • وكنت قـد وجهت الدعـوة(٣٢) الى اعادة توحيد صرف العربية ونحوها ومعانيها في علم واحد ، يبيِّن خصائص بنية العربية ويؤكد على الوظيفة الأساسية للغـة كوسيلة للاتصال بين الناس ، وينطلق مـن نظرية الامـام الجرجـاني اللغويـة التـي تستوجب دراسـة الجملـة من حيث بنيتهـا النحويـة (الساكنـة) ومـن حيث بنيتهـا الاخبارية (الديناميكية) التي ترتبط بالسياق الكلامي الفعلي الذي تدخل فيه وبالموقف أو الحال الذي يقال الكلام فيه •

وأرى في ضوء ما عرضته أن التمييـز بشكل عام بين نوعين من الترجمة (حرفيـة ومعنوية) ضروري للتأكيد فقط أن **التـرجمة الجيدة يجب أن تكون معنوية دوما • أما الترجمة الحرفية فهـي بالضرورة ترجمـة سيئة** لا توفي المعنى حقه وقد تشوهه ، **لأنهـا** تقوم على نقل الألفاظ المفردة من لغة الـى أخرى مع التقيد الصارم بترتيبها في اللغـة الأصل • وقـد يرى بعضهـم أن الترجمـة الحرفية هي المثلى، لأن طرق التفكير الانساني واحدة ويجب أن تتطابق المقولات اللغويـة والمقولات المنطقية في جميع اللغات • ولكن الأمر ليس كذلك ، فبالرغم من أن قوانـين المنطق تعكس الخصائص العامـة للتفكـير الانساني المشتركة بين جميع أفـراد الجنس البشري ، أي أنه بالرغم من أن طرق التفكير الانساني واحدة بالنسبة لجميع البشر ، فان طرق التعبير اللغوي عن الأفكار الانسانيـة يمكن أن تكون مختلفة لأنها تتحدد بالخصـائص البنيوية للغة التي يتم بها التعبير عـن تلك **الأفكار** •

وعليه فان **ترجمة القرآن الى غير العربية (سواء أكانت حرفية أم معنوية) ليست قرآنا بل هي ترجمة لمعاني القرآن • وتتميز الترجمة الحرفية للقرآن فـوق ذلك بأنهـا**

ترجمة غير وافية بمعاني القرآن • ولذا اعترضت لدى مناقشة محاضرة الدكتور محمد نوري عثمانوف التي ألقاها في المؤتمر العالمي لتاريخ الحضارة العربية الاسلامية بعنوان « مزايا ترجمة القرآن الى الروسية للأكاديمي اغناتي كراتشكوفسكي » ـ على فقرة وردت فيها تعتبر أن من مزايا تلك الترجمة (تقيد كراتشكوفسكي بترتيب الكلمات في الجملة العربية حين يكون ذلك ممكنا لدى الترجمة الى الروسية) • والسبب في الاعتراض أن وظيفة ترتيب الكلمات في الجملة تتحدد بخصائص بنية اللغة • فاللغة العربية تتميز مثلا الى جانب كونها لغة معربة ، بأن التعبير عن التعريف والتنكير يتم فيها صرفيا (مورفولوجيا) بأداة التعريف أو من دونها • أما اللغة الروسية فتتميز الى جانب كونها لغة معربة ، بأن التعبير عن التعريف والتنكير لا يتم فيها صرفيا بل يتم بوساطة التنغيم •

أفرد الدكتور محمود الربداوي فصلا بعنوان (ترجمات القرآن وآثارها في اللغات الأوروبية) في كتابه « دراسات في اللغة والأدب والحضارة »(٣٣) • وتحدث فيه عن ثلاثة أنماط رئيسية للترجمات :

١ ـ نمط الترجمات الشرقية (أي الى لغات الأمم الشرقية) ويدخل مثلا هنا الفارسية والتركية والسريانية •

٢ ـ نمط الترجمات الأوربية (أي الى اللغات الأوربية) كاللاتينية والألمانية والانكليزية والفرنسية •••

٣ ـ نمط الترجمات الثانوية (أي الى اللغات الأقل شهرة) كالاسبانية والبرتغالية والروسية* •••

ان مثل هذا التصنيف (الى ترجمات أساسية وثانوية ، شرقية وغربية) لا يأخذ بعين الاعتبار بنية اللغة التي يترجم اليها ، لذلك لا يعتبر تصنيفا لغويا لأنماط متميزة للترجمات •

ان الترجمة الجيدة يجب أن تكون ترجمة للمعاني تنطلق من فهم الخصائص البنيوية للغة التي تتم الترجمة منها واللغة التي يترجم اليها ، وتأخذ بالاعتبار الموقف أو الحال الذي يقال الكلام فيه • ويحتاج التفصيل في هذا الموضوع الى دراسة مستقلة •

---

* الاسبانية والروسية اكثر شهرة واوسع انتشارا من الالمانية والفرنسية • اما اللاتينية فهي لغة ميتة (المجلة) •

الحواشي

١ ـ المكتبة الثقافية ـ بيروت ١٩٧٣/على هامش « الاتقان في علـوم القـرآن » للسيوطي (فصـل في ان نبـوة النبي صلى الله عليه وسلم معجزتها القرآن) /ص ٨/ .

٢ ـ (فصل في جملة وجوه اعجاز القرآن) .

٣ ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة البابي الحلبي بمصـر ١٩٣٧ ـ /ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣/ .

٤ ـ المكتبة الثقافية ـ بيروت ١٩٧٣ ، الجزء الثاني (النوع الرابع والستون في اعجاز القرآن) .

٥ ـ ارجع الى محاضرتي بعنوان « الدور الايجابي للمتكلمين والمعتزلة في علم اللغـة العربيـة » في « المؤتمر العـالمي لتاريخ الحضارة العربية الاسلامية » /دمشق ٢٠ـ٢٦ نيسان ١٩٨١/ .

٦ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الطبعة الثامنة ١٩٨١ .

٧ ـ دار المأمـون للتـراث ـ دمشـق /١٩٧٨ ـ ١٩٧٩/ ، القسم الأول /ص ١٢٢/ .

٨ ـ « مع البلاغة العربية في تاريخهـا » ـ القسـم الأول ـ /ص ١٣٧ ـ ١٣٨/ .

٩ ـ مطبعة الجليل ـ دمشق ـ الطبعة الأولى ١٩٨٠ .

١٠ـ « دلائل الاعجـاز في علم المعـاني » للامـام عبد القاهـر الجرجاني ـ صحح أصله الامام محمد عبده والشيـخ التركزي الشنقيطي ـ علق حواشيه محمد رشيد رضا ـ الناشر مكتبة القاهرة ١٩٦١ /ص ٢٧١/ .

١١ـ « دلائل الاعجاز » /ص ٣٧/ .

١٢ـ « دلائل الاعجاز » /ص ٣٣/ .

١٣ـ « دلائل الاعجاز » /ص ٣٤/ .

١٤ـ « دلائل الاعجاز » /ص ٣٥/ .

١٥ـ « مع البلاغة العربية في تاريخها » /ص ١٩١ ـ ١٩٢/ .

١٦ـ « دلائل الاعجاز » /ص ١٦٧/ .

١٧ـ /ص ٥٣ ـ ٥٤/ .

١٨ـ /ص ٦٨ ، الفقرة ٧/ .

١٩ـ « دلائل الاعجاز » /ص ١٦٣ ـ ١٦٤/ .

٢٠ـ « دلائل الاعجاز » /ص ٦ ـ ٧/ .

٢١ـ «دلائل الاعجاز » /ص ٥ ـ ٦/ .

٢٢ـ « دلائل الاعجاز » /المدخل ـ ف/ .

٢٣ـ « دلائل الاعجاز » /ص ٢٨/ .

٢٤ـ انظر « دلائل الاعجاز » /ص ٣٠ ـ ٣١/ .

٢٥ـ « دلائل الاعجاز » /ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩/ .

٢٦ـ « دلائل الاعجاز » /ص ٣٤٠/ .

٢٧ـ « دلائل الاعجاز » /ص ٣٤١/ .

٢٨ـ « دلائل الاعجاز » /ص ٢٥٠ ـ ٢٥٨/ .

٢٩ـ « مباحث في علوم القرآن » /ص ٢١/ .

٣٠ـ « مباحث في علوم القرآن » /ص ٣١٢ ـ ٣٢٢/ .

٣١ـ انظر « الموجز في شرح دلائل الاعجاز في علم المعاني » ـ الخـاتمـة .

٣٢ـ انظر مقالتي «ازدواجية اللغة العربية وكيفية الخروج منها» المنشورة في مجلة (المعرفة) بدمشـق ، العدد المزدوج ٢٢٢ ـ ٢٢٣ (آب ـ ايلول) ١٩٨٠ .

٣٣ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٩٨٠ .

★ ★ ★

مذاهب وآراء

حول نشوء اللغات

صلاح الدين الزعبلاوي

ذهب العلماء قديماً وحديثاً الى أن اللغة قد نشأت في الأصل بحكاية أصوات الطبيعة • وقد بدت الصلة جلية لا لبس فيها بين اللفظ ومعناه في كثير من الكلم مؤذنة بسرها مبينة عن وجهها • وهو مذهب معروف سائر يشهد له توافر ما استعير في اللغة من ألفاظ هذه الأصوات ، في طراءة سنها وحداثة نشأتها • وأثبت علم اللغة الحديث تلقي اللغة من الأصوات المذكورة مذ كان الانسان متصلا بالطبيعة اتصالا لا انفصام له ، تنبثق أداته التعبيرية من أصدائها وتنبعث جذور لغته من أحداثها ، معولا في كل ذلك على رهف حسه وحدّة سمعه : يرعي الأذن فيتسقط الحركات ويذكي الخاطر فيترصد السكنات • وهو في هذا شاهد اللب يقظ الفؤاد كلوء العين ، لا يغلبه نوم أو تأخذه غفلة ، تحفظاً وحياطة • وقد اشتق العرب فعلا أسماء للصوت حاكوا بها أصداء الطبيعة كالنعيق والخرير والصهيل والحسيس والأزيز والصرير والأنين والزئير والفحيح والطنين والهزيم والعواء والنباح والخوار والثغاء •••

وفي الجملة اذا صح أن يعرض لمفردات اللغة ، على ما تقتضيه سنة الارتقاء ، ما ينأى بمادتها وصورتها عن أصولها الأولى فتتبدل وتتغير وتؤخذ بالصقل والتهذيب بالمواضعة والاصطلاح فتسمو بلغة الانسان عما يتجوز بتسميته لغة الحيوان خلال مراحل متعاقبة متطاولة ، فان في كل لغة كلماً لا تزال ، على تدرجها وارتقائها ، تعكس بظلالها أصداء معانيها •

هذا وليست المحاكاة لأصوات الطبيعة في التعبير عند البشر محاكاة آلية • فقد

دل العلم أن للانسان من القدرة الفطرية ما يجعله يصوغ مقاطع لغته في مشاكلة للمسموع ، وفي ابداع من الذات • وذهب العالم (نوام تشومسكي) المولود عام ١٩٢٩ أن الطفل لا تنمو مهارتـه اللغوية بمحض مواءمته لما يقع في سمعه حساً وجرساً ، كما يتفق للببغاء في حكاية ما يقرع أذنها ويمر بسمعها ، وانما يعتمد في ذلك على كفايته اللغوية الفطرية • اذ يولد الانسان ولديه من القدرة ما يتيح له أن يتلقى اللغة ويؤلف بناها مقاطع وكلمات وجملا وتعابير يلتزم فيها أصولا وضوابط تدخرها طاقتـه اللغوية المبدعة • وهكذا تتعدد في اللغة الواحدة الألفاظ الدالة على حكاية الصوت الواحد ، كما تختلف هذه الحكاية بين لغة وأخرى متقاربة حيناً متباعدة حيناً آخر • فقد حاكت العربية صوت القطع في الطبيعة مثلا فجاء فيها (قدّ وقطّ وبتّ وحزّ وجزّ وجذّ وجدّ) كله بمعنى القطع • وقد يكون بعضها مخصوصاً بنوع من القطع ، أو يكون قد آل الى ما آل اليه بقلب أو ابدال • وحاكت الفرنسية هذا الصوت فجاء فيها (كوبى Couper) بالباء الفارسية ، وحكت الانكليزية ذلك فجاء فيها (كت Cut) .

ودلت العربية على الهدم بـ (دكّ) ودلت الانكليزية بما يشبه هذا اللفظ (Dig) على الحفر ، بكاف فارسية ودال مكسورة • وقد جاء أحمد فارس الشدياق بمثل هذه الأمثلة في (سر الليال) وقال : (ومنهم من توهم تمزيق الثوب يحكي ــ هَت ــ فتوهمها الانكليز لصوت اللطم أو الضرب فقالوا ــ هِت Hit ــ ومنهم من توهم صوت القطع يحكي ــ ترّ وطرّ ــ فتوهمه أولئك ــ أي الانكليز ــ لصوت القطع فقالوا ــ تير Tear ــ وتوهمه الفرنسيس لصوت الجذب) • وأردف : (ومن مجانس هذا اللفظ التيار بتشديد الياء فتوهمته العرب للموج الذي ينضح • وتوهم الفرنسيس لفظ ــ تُرّان Torrent ــ للسيل بتشديد الراء ، وفي الانكليزية : تِرنت Torrent) .

هذا وقد يعبَّر عن حكاية الصوت في العربية بمقطع أو أكثر ثم يعتري اللفظ كما أشرنا اليه تغيير وتبديل • قال أحمد فارس الشدياق (فانه قد ورد مثلا بطّ بمعنى شق ، وورد بَعط بمعنى ذبح ، وورد أيضاً عطِ بمعنى شقّ ، وعبط بمعنى بَعط ، فيحتمل أن يكون بعط مقلوباً من عبط أو بالعكس • أو

أن الباء مزيدة على عطّ أو العين على بطّ) ، وقال (وأكثر ما يكون القلب والابدال في الألفاظ الدالة على القطع والكسر والخرق والهدم والشق والفرق والتبديد · كما أنها كلها من جنس واحد · وجلها مأخوذ من حكاية صوت ، نحو : قتّ وقدّ وقضّ وقطّ وجدّ وجثّ وجذّ وجزّ وأذّ وهذّ وقصّ وحذّ وحزّ وحسّ وفتّ وفضّ وبتّ وبطّ وتبّ وسبّ وبسّ ···) ·

ــ قال ابن جني في الخصائص (١/ ٤٤) حول أصل اللغات : (وذهب بعضهم الى أن أصل اللغات كلها انما هو من الأصوات المسموعات كدويّ الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الظبي ونحو ذلك ، ثم ولّدت اللغات عن ذلك فيما بعد · وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل) ·

ــ وقال في الخصائص (١/ ٥٤٤) حول (امساس الألفاظ أشباه المعاني) : (اعلم أن هذا موضع شريف لطيف · وقد نبه عليه الخليل وسيبويه ، وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته · قال الخليل : كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدّاً فقالوا : صرّ ، وتوهموا في صوت البازي تقطيعاً فقالوا : صرصر · وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفعَلان : انها تأتي للاضطراب والحركة نحو النقَزان والغلَيان والغثَيان، فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال) ·

وقال : (ووجدت أنا من هذا الحديث أشياء كثيرة على سمت ما حذياه ومنهاج ما مثّلاه · وذلك أنك تجد المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير نحو الزعزعة والقلقلة والصلصلة والقعقعة والجرجرة والقرقرة· ووجدت أيضاً الفَعلى في المصادر والصفات انما تأتي للسرعة نحو البَشكى والجَمزى والوَلَقى ··· فجعلوا المثال المكرر للمعنى المكرر ، أعني باب القلقلة ، والمثال الذي توالت حركاته للأفعال التي توالت الحركات فيها ··) ·

ــ وقال : (ومن ذلك أنهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلا على تكرير الفعل فقالوا كسّر وقطّع وفتّح وغلّق· وذلك أنهم جعلوا الألفاظ دليلة المعاني ، فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل · والعين أقوى من

الفاء واللام ، وذلك لأنها واسطة لهماومكنونة بهما ، فصارا كأنهما سياج لها ومبذولان للعوارض دونها ٠٠) ٠

وقال : (فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع ، ونهج متلئب[1] عند عارفيه مأموم ٠ ذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها ، فيعدلونها بها ويحتذونها عليها ، وذلك أكثر مما نقدره وأضعاف ما نستشعره ٠٠٠ من ذلك قولهم خَضِمَ وقَضِمَ ٠ فالخضم الأكل للرطب كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب٠ والقضم للصلب اليابس نحو قضمت الدابة شعيرها ونحو ذلك ٠٠ فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب ، والقاف لصعوبتها لليابس ، حذواً لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث ٠٠) ٠

ــ وقال أيضاً : (ومن ذلك القد طولا ، والقط عرضاً ٠ ذلك أن الطاء أخفض للصوت وأسرع قطعاً له من الدال ٠ فجعلوا الطاء للمناجزة لقطع العرض لقربه وسرعته ، والدال المماطلة لما طال من الأثر ، وهو قطعه طولا ٠٠)٠

ــ الى أن قال : (فهذا ونحوه أمر اذا أنت أتيته من بابه وأصلحت فكرك لتناوله وتأمله أعطاك مقادته وأركبك ذروته وجلا عليك بهجاته ومحاسنه ٠ وان أنت تناكرته وقلت هذا أمر منتشر ومذهب صعب موعر ، حرمت نفسك لذاته وسددت عليها باب الحظوة به) ٠

وقد أشار عباد بن سليمان الصيمري الى قيام المناسبة الطبيعية بين اللفظ ومعناه ٠ قال صاحب المزهر (١/٣١) : (نقل أهل أصول الفقه عن عباد بن سليمان من المعتزلة أن بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أن يضع ، والا لكان تخصيص الاسم المعين للمسمى المعين ترجيحاً من غير مرجح) ٠ وعقب السيوطي على مذهب عباد فقال : (وأما أهل اللغة والعربية فقد كادوا يطبقون على ثبوت المناسبة بين الألفاظ والمعاني ، لكن الفرق بين مذهبهم ومذهب عباد أن عباداً يراها ذاتية موجبة بخلافهم) ٠ وكأن عباداً يرى ما قد رآه أفلاطون من أن لكل لفظ معنى يتصل بطبيعته ٠ فدلالة اللفظ دلالة ذاتية ٠

---

١ ــ من اتلاب اذا استقام ٠

قال عباد (ولولا الدلالة الذاتية لكان وضع لفظ من الألفاظ بازاء معنى من المعاني ترجيحاً بلا مرجح ، وهو محال ـ ١/١١) • وقد أجيب عن ذلك بأن اللفظ لو دل بالذات لفهم كل واحد كل اللغات لعدم اختلاف الدلالات الذاتية••

وهكذا جفا كثير من العلماء عن اعتقاد هذه المناسبة فردّوا على من استن بها بأنه لو صحت المناسبة بين اللفظ والمعنى في اللغات عامة واقتضت بنية اللفظ معنى بعينه لاتحدت معاني الألفاظ الواحدة في لغات شتى أو تقاربت• وبنوا على ذلك فقالوا انه لا صلة ثمة بين اللفظ ومعناه ، وانما اللفظ رمز واصطلاح • ومن ثم رأى أصحاب المذهب البنوي Structuralisme [٢] أنه ليس ثمة علاقة بين معنى الكلمة وصورتها الصوتية • واعتلوا لذلك بتعدد اللغات في الأصل • فان معنى بعينه انما يعبر عنه بألفاظ ذات صور صوتية متباينة • ولا يصدق هذا في تعاقب كلمات مختلفة على معنى في لغات متعددة وحسب ، بل في اتفاق كلمات متغايرة على معنى في لغة واحدة أيضاً[٣] •

أقول ان المناسبة بين اللفظ ومعناه انما تتجلى خاصة في مرحلة من مراحل نشوء اللغة • فالمرحلة الصوتية مرحلة طبيعية لا بد لأي لغة أن تجوزها • وهي أظهر ما تكون في اللغات غير المرتقية أو في الدرجات الدنيا من المرتقية • وقد تتقارب آثار هذه المرحلة في اللغات أو تتباعد • ولكن لا بد أن تتفق في كل لغة ألفاظ هي أصداء لمعانيها على كل حال • ويعزى في الأصل تباعد هذه المقاطع في لغة عنها في لغة أخرى ولو حكت صوتاً بعينه الى أن محاكاة الأصوات كما مر بنا لا تكون آلية • ذلك أن قدرة كل جماعة بشرية على صوغ مقاطع لغتها الخاصة بها انما تتأثر بجارحة سمعها وجهاز نطقها • فهي تتوهم المسموع على نمط حين تتلقاه ، وتحاكيه في تصرف حين تؤديه وتعبر عنه • فلا بد لكل جماعة من نظام صوتي ذي سمات خاصة للتلقي والأداء جميعاً • ومن ثم قال الشدياق : (ومنهم من توهم صوت القطع يحكي ترّ وطرّ، فتوهمه أولئك، أي الانكليز، لصوت القطع فقالوا tear ، وتوهمه الفرنسيس لصوت الجذب) • وليس

---

٢ ــ البنوية واللاعقلانية لأنطون شاهين (مجلة المعرفة) الدمشقية ١١٦ لعام ١٩٧١ •
٣ ــ اضواء على الدراسات اللغوية للدكتور نايف خرما •

الشدياق أول من أشار الى ذلك في العربية بقوله (توهم) · فقد حكى ابن جني عن الخليل أنه قال : (كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدّاً فقالوا صرّ ، وتوهموا في صوت البازي تقطيعاً فقالوا صرْصر ··) ·

ولا يخفى أن لجارحة السمع في علم اللغة الحديث جانباً عضوياً وآخر نفسياً، وأن جهاز النطق يقضي بتعدد صور النطق بين أصحاب اللغة الواحدة ، وتمايزها بين أصحاب لغة وأخرى ، فتتباين الأصوات وتتغاير حروف الهجاء بين لغة وأخرى · بل يختلف النطق بها ولو اتحدت بين لغتين أو أكثر ، كما يختلف بين لهجة وأخرى في لغة واحدة · ولا يخفى أن حروف الهجاء بأصواتها هي وحدات اللغات الحقيقية ، وأصواتها في العربية هي الحركات نفسها ·

فقد ذكر الرئيس ابن سينا في رسالته (أسباب حدوث الحروف/١٤) أربع صور للنطق بالجيم ليست في لغة العرب · فمنها الصورة التي ينطق بها الحرف عند الفرس في مثل قولهم (جارة) بمعنى البئر · وهي الجيم التي يحدثها اطباق من حروف اللسان ، أي أطرافه ، أكثر وأشد ، وضغط عند القلع أقوى · وهناك ثلاث صور للنطق بالجيم ليست في لغة العرب ولا الفرس ، وهي الجيم التي تضرب الى شبه الزاي ، وشبه السين ، وشبه الصاد ·

وفي كتاب الفلسفة اللغوية لجرجي زيدان أن من القبائل الافريقية من لا أثر في لغته للمقاطع الشفوية ، وأنه يستحيل على بعض هنود كولومبيا أن يتلفظوا بمثلها · وأنه ليس في لغة معظم أهالي أوستراليا مقاطع صفيرية ، وأن اللغة المصرية القديمة قد خلت من مقاطع الباء والجيم والدال والزاي ··

وتعترض الألفاظ صنوف من التغيير في ارتقائها وتدرجها وانتقالها من الطور الصوتي الى اللفظي خاصة · وكلما ارتقت اللغة كان التغيير أوسع وأشمل · قال الشيخ عبدالله العلايلي في كتابه :مقدمة لدرس لغة العرب : (ذلك أن اللغات المرتقية في وضعها الحالي أصبحت على بعد يقرب من الخلاف بالنسبة الى أوليتها اللغوية) · وليس شيء بعد أفعل في تغيير هيئة اللفظ العربي من الاتباع حتى أضحى طابعاً لغوياً ظهر أثره في الأصول والزوائد والكلمات

والأدوات والاشتقاق ، والاتباع اتباع البدل والقلب والحركة والاعراب والادغام والمزاوجة ٠٠

فاذا ثبت وقوع الاختلاف في حداثة نشوء اللغات واستمر واتسع بعد ذلك بارتقائها ، فليس يصح أن نقول ان لغات العالم قد تشعبت عن مصدر واحد، على صحة نشوئها بمحاكاة أصوات الطبيعة ٠ ولا جرم أن اللغات قد خضعت لشروط مكانية واجتماعية وذاتية ،وانقادت لخبرات انسانية تتغاير بتغاير الأقوام ، ومضت في مسايير مختلفة ٠٠

وهكذا لا يمنع تعاقب المعاني المختلفة على لفظ واحد ، في لغة أو لغات شتى ، أو تراوح الألفاظ المختلفة على معنى ، في لغة أو لغات متعددة ، من انقياد اللغات للصورة الصوتية في مرحلة من مراحل نشوئها ، واستبقائها جذور هذه المرحلة سمات بينة وامارات جلية ٠ فليست اللغة اصطلاحية وحسب، وليست هي طبيعية وحسب ، وانما هي طبيعية اصطلاحية معاً ٠

هذا والخلاف بين العلماء قديم في هذا ٠ فقد ذهب أفلاطون مثلا الى أن اللغة ظاهرة طبيعية وأن لألفاظها معاني لازمة لها متصلة بطبيعتها ٠ فالكلمة تجلو بلفظها المعبر أو طبيعة اشتقاقها الواقع الذي تعبر عنه ٠ وذهب أرسطو الى خلاف ذلك حين رأى اللغة ظاهرة اجتماعية وأن لألفاظها معاني اصطلاحية ناجمة عن اتفاق أو تراض ٠ وهذا ما أخذ به اللغوي الفرنسي كونديياك في القرن الثامن عشر واشتهر به اللغوي السويسري الكبير (سوسور) في القرن العشرين ، يقول كونديياك (ان الاشارات اللغوية اصطلاحية واللفظة انتقيناها نحن البشر ، ولا علاقة لها بأفكارنا الاعلى نحو اعتباطي) ، ويقول (ان اللغة هي أوضح مثال للعلاقات التي نكونها بصورة ارادية)(٤) ٠

ويقول (سوسور) رائد البحث اللغوي الحديث في النصف الأول من قرننا هذا : (ان العلاقة بين الرموز والمعاني ، على الرغم من أنها عشوائية ، فهي اصطلاحية اتفاقية ثابتة بالنسبة الى اللغة الواحدة والمجتمع الواحد)(٥) ٠

---

٤ ـ علم اللغة الجورج مونين ، ترجمة الدكتور بدر الدين قاسم ٠

٥ ـ اضواء على الدراسات اللغوية للدكتور نايف خرما ٠

ولم يفت أئمة اللغة في العربية أن يتأملوا هذا الموضع ويعملوا فيه النظر، لكنهم انتحوا في نشوء اللغة نحواً آخر . فمنهم من استمسك بظاهر النص في قوله تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها ـ٢/٣١) فقال بالمذهب (التوقيفي) . ومن أعلام هذا المذهب (ابن فارس) ، وقد أخذ به الأشاعرة . ومنهم من عمد الى التأويل فلم ير في النص ما يوجب الأخذ بالمذهب (التوقيفي) كابن جني ، اذ قال في كتابه الخصائص (١/٣٩) : (ان أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة انما هو تواضع واصطلاح ، لا وحي وتوقيف) ، وقال (ذلك أنه قد يجوز أن يكون تأويله : أقدر آدم على أن واضع عليها) ، وأردف (فاذا كان ذلك محتملا غير مستنكر سقط الاستدلال به) .

واذا كان ابن جني قد أجاز الأخذ بمذهب الاصطلاح والمواضعة ، فانه لم يمنع من اعتقاد (التوقيف) فقال : (اني تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة فوجدت فيها من الحكمة والدقة والارهاف والرقة ما يملك علي جانب الفكر حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر ، فمن ذلك ما نبه عليه أصحابنا رحمهم الله ، ومنه ما حذوته على أمثلتهم فعرفت بتتابعه وانقياده وبعد مراميه وآماده ، صحة ما وفقوا لتقديمه منه ، ولطف ما أسعدوا به ، وفرق لهم عنه . وانضاف الى ذلك وارد الأخبار المأثورة ، بأنها من عند الله جل وعز ، فقوي في نفسي اعتقاد كونها توقيفاً من الله سبحانه وأنها وحي) . وقد عاد فلم يستبدع (أن يكون الله تعالى قد خلق من قبلنا ، وان بعد مداه عنا ، من كان ألطف أذهانا وأسرع خواطر وأجرأ جنانا) فتولوا ذلك بأنفسهم . وقد أنهى كلامه في هذا فقال (وان خطر خاطر فيما بعد يعلق الكف باحدى الجهتين ويكفها عن صاحبتها قلنا به ، وبالله التوفيق) .

وطبيعي أن يأخذ أعلام المعتزلة بالمذهب الاصطلاحي . وقد تبعهم فيه كثيرون كابن سنان الخفاجي فقد جاء في كتابه (سر الفصاحة) : (والصحيح أن أصل اللغات مواضعة وليس بتوقيف) .

وجاء فيه (وقد حمل أهل العلم قوله تعالى : وعلم آدم الأسماء كلها ، على مواضعة تقدمت بين آدم عليه السلام وبين الملائكة على لغة سالفة) .

وذهب الغزالي في (المنخول) كما جاء في المزهر (١/١٥) الى احتمال صحة المذهبين (التوقيف والاصطلاح) فقال : (وقوله تعالى وعلّم آدم الأسماء كلها، ظاهر في كونه توقيفياً، وليس بقاطع ويحتمل كونها مصطلحاً عليها من خلق الله تعالى قبل آدم) .

ولسنا في سبيل أن نمضي في عرض الخلاف في أن اللغة نشأت بوحي وتوقيف أو قدرة فطرية في النطق أو مواضعة واتفاق الا بمقدار ما يتصل البحث بمذهب علمي وضعي . ذلك أن علم الكلام أجدر بمثل هذا الخلاف وألصق به من حيث جوهره وموضوعه .

ومهما يكن من شيء فان مذهب الاصطلاح الذي جنح اليه ابن جني لم ينح نحو مذهب (كونديـاك) فيرى العلاقة بين اللفظ ومعناه علاقة (اعتباطية) ولا نحو مذهب (سوسور) حين تصور العلاقة بينهما (عشوائية). اذ نبه على ما بين اللفظ ومعناه في كثيرمن كلم العربية من مجانسة ومن مناسبة طبيعية تجعل اللفظ دليلا على المعنى . لكنه لم يحتسب علاقة ما بين اللفظ والمعنى مفروضة بحيث يقتضي معنى ما لفظاً بعينه كما انتحاه الصيمري ، أو تستلزم صورة اللفظ صورة المعنى بالطبيعة والضرورة كما ذهب اليه الأرسوزي . فكلمة (نب) مثلا المؤلفة من حرفي (نون) و (باء) تعبر بحسب مخرج كل من حرفيها عن الصميم (النون) وعن الظهور (الباء) . وبجملتها تفيد الانتقال من الداخل الى الخارج فالظهور والتعالي . وعند التحليل تُظهر كافة الكلمات المنتسبة الى أسرة هذا الحدس اتجاهاته الأساسية . فـ (نب) الماء تسيّل ، ونبض الماء : سال أو غار ، ونبع الينبوع ونبط الماء : نبع ونبغ .. على حد قول الأرسوزي .

حذا الأرسوزي في كتبه (العبقرية العربية في لسانها) و (رسالة في اللغة) و (اللسان العربي) حذو من تقدمه فذكر أن نشوء العربية قد تم بادىء بدء بمحاكاة الأصوات الطبيعية ، وهو مذهب سائر مأموم بُسط القول فيه . وأضاف (أن الكلمات العربية لا تزال ذات جذور في الأصوات الطبيعية) . وقد فصل الكلام عن هذا أيضاً . والذي أراده الأرسوزي أن العربية قد ابتنت جذورها

الصوتية بمحاكاة هـذه الأصوات ، ثـم اعتمدت هذه الجذور فأثبتتها في بناها مقاطع وألفاظـاً جانست ما دلت عليـه من المعاني • ثم تكامـل بنيـان اللغـة باشتقاق الكلم بعضها من بعض فتفرع على كل أصل مفردات اشتركت في حمل معناه والانطواء على جـذوره ، ولـو غايرت صيغها صيغته • ومن ثم تميزت العربية باستثبات كلماتها هذه الجذور وتفردت بتوالد ألفاظهـا توالـداً وفـر على الفرع ملامح الأصل فبدا بها الثبوت والخلود فيمـا لا يوجب سنن الارتقـاء تبديله وتغيره• وليس ذلك بدعاً مما قاله الأئمة في الاشـتقاق ، وأفصحـوا عـن مضمونه • فاذا تغيـرت معالـم الكلم الفرنسية مثلا بتقادم العهـود وخفيت معانيها بانسلاخ القرون فجهل أبناؤهـا أدب الأجداد ما لـم يكونوا قد توفـروا على تراثهم واستنبطوا أصوله لاتينيـة ويونانية وأوسعوها علماً وخبراً ، فان ألفاظ العربيـة مهمـا تقلبت صورهـا وتدرجت دلالاتهـا واختلفت باختـلاف مراحل ارتقائها وشـروط تكاملها فـان معالمها باقية مستمرة توحي بأرومة أصلها وتنبىء بطريق اشتقاقها ، فيسهل علـى الأبناء تبين أدب الأجـداد ، على بُعـد الشقة وانطواء المراحل • وتخفى في ألفاظ اللغات اللاتينية ملامحها لتعدد أصولها المشتركة واختـلاف هـذه الأصول في تصاريفها بافتقاد كثير من أحرف الجذر أو زوالها ، بل تلـون أصواتهـا فتغيب اللحمة بـين مفـردات المـادة أو تبـدو صورتها شائهة باهتة •

هذا وانما يصح ما قلناه ويصدق في الأطوار الأخيرة من مراحل نشوء العربية بعد أن استحكم هيكل بنيتهـا وأصبـح الثلاثي وحدة الكلمة، فجرت عليه صنوف من الاشتقاق والتصريف والتقليب دارت حول جامع معنوي ، فاغتنت بذلك المادة اللغوية ، ثم اكتمل نماؤها بتولد الرباعي من الثلاثي وهكـذا ، فأضحت ذات فقه خاص واضح واشتقاق ثابت مطرد ،وقد عمل الاتبـاع في تشذيب اللفـظ وتهذيبه • أما النحت فلم يكن له أثـر يذكر في ذلـك جميعاً ، وانمـا كان لـه مجال فسيح في لغات الغرب اذ غدا سمتها وطابعها وقانونها المطرد فأثرت به مادتها وتنامت ولو غيّـر ملامح صورتها حـين ضمنها أصولا متغايرة متباينة • فأنت تقـــول في الفـرنسـية Etymologie تعني العلم الذي يرد الكلم الى أصولهـا الحقيقية • فلا تجدها تشتق من أصـل واحد اشتقاق الفرع من الجذع كما هو

حال اللغة العربية بل اللغات السامية ،وانما تشتق من أصلين يونانيين همـا : Logos ومعنـاه العلـم و Etymos ومعناه الأصل أو الحقيقـة • وذكـر الدكتور داود حلمي السـيد في كتابـه (المعجم الانكليزي/١٢٦) أن مفردات اللغة الانكليزية قد صنفت في معجم أوكسـفورد على أنهـا كلمـات أساسـية وثانوية ومجمعة • فالأساسية اما أحادية البنية وهي التي تتألف من مقطع واحد هو جذرهـا أو مقطـع ولواصق • وامـا متعددة البنية وهي التي تتألف من أجزاء أو جـذور عـدة • وأريـد بالكلمـات الثانوية ما تغـير هجـاؤه عن الشائـع المعروف أو شذت بنيته ونـدت • أمـا الكلمات المجمعة فهي الكلمات المؤلفة من تجمع كلمات مـتعددة احتفظ كل منهـا بهجائـه •

هذا ويرى الأرسوزي أن اللفظ في العربية انما يدل على معناه ويوحي به ايحاء فيرد الى صورة صوتية مقتبسـة من الطبيعة : طبيعـة خارجيـة تتمثـل بأصدائها ، وأخرى انسانية تتجلى بمشاعرها •

أقول اذا صح أن يدل اللفظ علـى معناه حتى تراه لا يشف الا عنه ولا يلهم الا به فانه لا يزال على شيء من ظلالـه منذ طراءة نشوء العربية ، وفي مرحلتهـا الصوتية ، هذه المرحلة التي انطوت على مقاطع كانت أصداء لدلالاتها • أما بعد ارتقاء العربية وانتقالهـا الى المرحلـة اللفظية واستحكام بنيتها وانتهائها الى مستقرها في الأصل الثلاثي ثم اغتنائهـا بالاشـتقاق والتصـريف والتقليب ثـم اتساق ألفاظها بالاتباع ، فلا شك أن المجانسة في الكلم بين اللفظ ومعناه لم تبـق على سابق عهدها من الوضوح والجلاء • فاذا اتفق لها أن تكـون قد اسـتمرت فأبدت سرها حينا ، فقد عرض لها ممـا غشيها من التغيير ما آل بها الى أن تخبو وتتوارى أحياناً • ولا يخفى أن التغيير لا يقـع على اللفظ مادتـه وصورتـه وحسب ، وانما يلابس معناه أيضـاً • فالمعنى لا يجمـد في اللفظ بل يتـدرج بالمجاز والنقل حتى تضعف نسبته الى أرومته في أحوال كثيرة • وقـد ينتهـي الى دلالـة تنشعب عـن الأصل فتشـيع وتشتهر وتنسى دلالـة الأصل فتهمـل وتمـات •

والأرسوزي لا يـرى اللغة الهامـاً كما ذهب اليه بعض السلف حين تصوروا الأسماء دالة على مسمياتها منذ الخليقة، بل يرى في عزوها الى الالهام ثنياً للفكر

عن ارتياد البحث ومزاولة الكشف عن سر المسألة وجوهرها • ويذكّر هذا بما حكاه المزهر (١/١٣) عن المعتزلة واعتقادهم أن اللغات لا تدل على مدلولاتها كالدلالة العقلية • ولهذا المعنى يجوز اختلافها • ولو ثبتت توقيفاً من جهة الله تعالى لكان ينبغي أن يخلق الله العلم بالصيغة ثم يخلق العلم بالمدلول ثم يخلق لنا العلم بجعل الصيغة دليلا على ذلك المدلول • ولو خلق لنا العلم بصفاته لجاز أن يخلق لنا العلم بذاته • ولو خلق لنا العلم بذاته بطل التكليف وبطلت المحنة •

على أن الأرسوزي لا يرى اللغة اتفاقاً أو تواطؤاً ما احتاج التواطؤ الى عقل وافتقر الى تدبر ، بل يأبى المواضعة ولو جرت بالفطرة وكانت الحاجة اليها في التعبير والتخاطب كالحاجة الى التنفس كما يقول ابن سنان •

تصور الأرسوزي العرب يحاكون أصوات الطبيعة فيتخذونها أصلا لمقاطع لغتهم ، ثم يطبعون على غرارها في تصرف ، ويضربون على قالبها في أداء كلمات تعبر عن انسانيتهم • وهكذا يخلص أداؤهم ـ بمساومة ـ بين صيغ مسموعة تلقوها وأخرى فطرية ابتنوها • والوجدان القومي قد اهتدى بـ (الحدس) الى اختيار الصيغة الحية للأداء (الصيغة الحية التي يعبر بها عن معنى وجوده وتطلعات أبنائه الى الحياة الحرة المبدعة) • ومن ثم انطوت العربية على مضمون انساني كان حصيلة التجربة الخلقية والابداع الفني في وجود الأمة • فاللسان منظومة صوتية تعبر عن وجهة الأمة التي أنشأته ودلت عليه • ولعل أهم ما تميز به مذهب الأرسوزي:

١ ـ أنه ينحو نحو المتصوفة والمثالية فيعول في الاهتداء الى صيغة الأداء على (الحدس) ، والحدس أول مراتب الكشف ويقابله الفكر • فصورة الكلمة تدل على صورة المعنى بمنهاج • وقد ذهب أفلاطون الى نحو من هذا حين قدّر أن للألفاظ معاني لازمة لها متصلة بطبيعتها • فالكلمة تجلو بلفظها المعبر أو طبيعة اشتقاقها الواقع الذي تعبر عنه •

ولكن ما لنا وللمتصوفة ، أفليس في علم اللغة الحديث موضع لمثل هذا الحدس ومنزلة يعول بها عليه ؟ أقول يحسن النظر الى الحدس من وجهين : أولهما أنه يعتد طريقة من طرق الاستدلال في البحث اللغوي • فاذا كان علماء

الطبيعة قد أغفلوا هذا وأنكروه في مباحثهم فان علماء اللغة المحدثين لم ينحوا فيه نحوهم أو يقتاسوا بنهجهم • بل رأوا أن اللغة متفردة بخصائصها متميزة بطرائقها عن أي (ظاهرة طبيعية) أخرى ، بحيث ينبغي للنهج العلمي أن يعدل ببحثها الى ما يلائم طبيعتها ويجانس سمتها • على أنه لابد الى ذلك من اعتماد الوسائل المعتادة كالاستقراء والاستنباط •

والثاني : أن يقصد بالحدس اللغوي ما أشار اليه العالم الأمريكي (نوام تشومسكي) من امتلاك الانسان من البصيرة أو القدرة الفطرية ما يتيح له أن يتلقى اللغة ويضرب على قوالب ما يسمع منها ويكشف بحدسه عن أصولها وقواعدها ، ويلتزم في صوغ الكلم ضوابطها ونظمها ، وفي ابتكار الجمل ما يُحكم به أداءه ويحسن تعبيره • فالحدس على حد تعبير الأرسوزي ونسق أدائه هو الذي يحدد انتباه الفرد ويوجه اختياره • فاذا تقدمت الصورة الحسية هذا الحدس حصل من تجاوبهما ما تتفتح به الصورة فتتحول الى مشتقات صوتية ، هي الكلمات المنطوية على الخيال المرئي • وهكذا يحقق ــ الفنان ــ بنات نفسه ، أي ما يُبدعه من الصور الفنية ، بالمساومة بين طبيعة احساسه وحقيقة حدسه •

والذي عندي أنه اذا صح ابتناء مقاطع الكلم في حداثة نشوء اللغة بمحاكاة الطبيعة اعتماداً على الحدس والتدرج بهذه المقاطع في المرحلة الصوتية ، فليس يصح أن يستمر ذلك ويطّرد بعد نضج الانسان وتحضره مالم يُضمّ الى هذا الحدس في ابتناء اللغة تدبر وتواطؤ بفعل حاجة الانسان عند رقيه الى التعبير عن مقتضيات أحواله ، وجنوحه الى تجديد أدائه وتنقيحه حتى حتى تأخذ لغته سبيل الاستقرار دون اتكال منه على مصادفة للطبيعة أو ملابسة للظرف • وليس يمنع هذا أن يتم الأمر عفو الطبيعة ، بل ليس يشترط أن يبدأ الاهتداء الى وضع من الارتقاء اللغوي بمواضعة الجماعة فقد يصدر ذلك عن فرد متميز ثم يشيع عند الجماعة باقراره فيصبح متعالماً • فقد أشار المختصون في حفائر (رأس شمرا) مثلا أن صاحب لوح من الألواح المكشوفة ، وهو كاتب فنيقي ، قد اصطنع حروفاً أثبتها على لوحة فكانت مرحلة بين المسمارية والفنيقية الراقية ، واعتدت محاولة للاهتداء الى هذه الحروف ، كما أشار اليه الشيخ العلايلي • ولم يشترط الامام الرضي في اهتداء

الفرد الى وضع لغوي يُعتد بـه الا أن يقصد مشايعة الجماعة له وتواطؤهـم على ما انتهى اليه • فقد جاء في شـرح الكافية (٣/١) : (المقصود من قولهم وضع اللفظ جعله أولا لمعنى مع قصد أن يصير متواطأ عليه بين قوم • ولا يقـال لكل لفظة بدرت من شخص لمعنى أنهـا موضوعة له دون قصد التواطؤ بها) •

٢ ـ أنه يأبى المترادف والمشترك فما دامت صـورة لفظ بنفسـه تقتضي صورة معنى بعينه ، كما استوجب معنى معين عند الصيمري لفظاً بنفسه بالضرورة فقـد لزم من ذلـك بطـلان المتـرادف والمشترك وانتفاء اللهجات جميعاً ، وفي ذلك نظر • فاذا كان الترادف هو دلالـة اللفظ على معنى دل عليـه لفظ آخـر فأكثر ، وأخرجنا منه ما اتفقت دلالاتـه في معان مجازية أو كنائية ، وما اختلفت القبائل في صورة النطق به (في مـد أو امالة أو تخفيف همزة ••) أو اختلفت في بعض حروفه كالصـراط والسـراط والزراط والصقر والسقر ، وقد تعلل صور كثيرة من ذلك بتغير هيئـة اللفظ بارتقاء اللغـة وأخذهـا بالتهـذيب في مراحل مقدرة قبل استوائها على حالهـا الراقية ، كما شهدت الأسواق الموسميـة بقايا مثل هذا التنقيح اللغـوي ، قبـل خروج العرب من جزيرتهم وتفرقهم في الأرجاء • أقول اذا استثنينا الى ذلك ما أسموه الاتباع بالابـدال والقـلب ، وما تقاربت معانيه أصلا ثم تطابقت في الاستعمال وقد أسـموه المتوارد ، بـل أغفلنا ما اتحدت معانيـه من الألفـاظ فكان بعضه اسماً وبعضه وصفاً كالسيف والصارم ، وقد أسموه المتكـافي • ثـم أسقطنا ما دخـل العربيـة مما عُـرّب وأصله أعجمي • أقول اذا أخرجنا كل ذلك فقد ثبت ما لا منـاص من قبولـه واقراره ، وهو ما اختلف اسمه في قبيلة عما هو في قبيلة أخرى كما حكاه الجاحظ في البيان والتبيين ، بل ما ثبت ترادفه في لغة القبيلة الواحدة ، وطبيعـة اللغـة لا تمنع منه • هـذا ويصـح أن يتفـق الترادف في حداثة نشوء اللغة ، ولا بد أن يتجلى ويتزايد بارتقائها • يقـول الامام ابن الجوزي في كتابه (المدهش) (وقد يريدون تكرير الكلمة ويكرهـون اعادة اللفظ فيغـيرون بعض الحـروف وذلك يسمى الاتباع فيقولون أسـوان أتوان ، وشيء تافـه نافـه وعفـريت نفريت) ويعقب الشيخ العلايلي علـى ذلك في مقدمته فيقول (فان تعبيره بقوله يكرهون اعادة اللفظ فيغيرون يفيد أن التغيير جارٍ علـى أصول ثابتـة وليس

متروكاً للعفو ، بل يعين أنه جارٍ في حروف الابدال أو المعاقبة أي الحروف التي تتناوب وتفيد عين الفائدة/ ٢٢٠)٠

ويمضي الشيخ في تأصيل الترادف في العربية فيدفع أن يكون علامة قلق ، ويقول (والحقيقة فيه ـ أي في الترادف ـ أنه عنوان ٠٠ على مرونة اللغة من وجه آخر وأنه أصبح صفة ظاهرة من العربية الى حد التفرد ٠٠ بل أصبح الأديب العربي يضيق جداً اذا لم تكن له فسحة من الألفاظ الشتى التي تتلاقى على معنى واحد ٠٠/ ٢٢٧) ٠

وهكذا الاشتراك ، وهو أن يدل اللفظ على معنيين مختلفين أو أكثر ٠ فاذا صح عند الأئمة أن الاشتراك قد جاء خلافاً للأصل لأن اللغة قد قامت للابانة والافصاح لا للتعمية والابهام ،كما يقول ابن درستويه في (ابطال الأضداد) ، فانه من الثابت جريانه في اللغة ولو قل ٠ وقد جاء المشترك في لغة التنزيل فعلا ٠ وحكي عن أبي علي الفارسي قوله (كما جاء في المخصص ـ ١٣/ ٢٥٩) :

(اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ينبغي ألا يكونا قصداً في الوضع ولا أصلا ٠٠) ٠ لكن اللغة تتسع له على كل حال في مراحل نموها المتقدمة ٠ فقد تصور العلايلي في غير مجازفة أن لفظاً بعينه قد يقع فيه الاشتراك اذا رُدّ في نشأته الى أصلين مختلفين فحمل من كل معنى يغاير الآخر ٠ ومثّل لذلك ب (شح) فانه يرجع الى أصلين ٠ فاذا أنت رددته الى (شيح) كان بمعنى بخل ، أو نسبته الى (شحى) كان معناه وسع ٠ ومذهب العلايلي أن كل مضاعف ك (شح) مثلا قد جاوز دوراً صوتياً تحلل منه ٠ فلا بد اذن أن يعود في نشأته الى ثلاثي معل تقدمه ، وهو الذي يكشف معناه ٠ وسنرى ايضاح مذهبه هذا في موضع آخر ٠

هذا ولا يرى الأرسوزي أن العربية الفصحى هي اللغة السائدة بتغلب لغة قريش على اللهجات الأخرى ، كما طغت الفرنسية الباريزية مثلا على لهجات المقاطعات الفرنسية[٦] ٠ بل ينفي أن تكون للعربية لغات أو يصح لها نسب الى

---

٦ ـ حدث مثل ذلك بسيادة لهجة لندن بانجلترا ، ومدريد ، وسكسونيا بالمانيا ، وتوسكانيا بايطاليا ٠

اللغات السامية الأخرى بحيث تعزى جميعاً الى فصيلة من اللغات أو لغة بائدة كانت أصلا أو أماً لسائرها ، كما عزيت الفرنسية والاسبانية والايطالية والبرتغالية الى اللاتينية • وهكذا يرى العربية فريدة في نشوئها وبنيانها حتى لا يكاد ينظم هذا النشوء والبنيان ضابط مما ينظم سواها من اللغات الأخرى • ويذكّر هذا بما ذهب اليه الدكتور عثمان أمين في رسالته (الجوانية) حين رأى العربية (مثالية أصلية) لأن لغة القرآن تنحو نحواً من المثالية لا نظير له في أي لغة من اللغات المعروفة • وقد فصل القول في هذا في كتابه (فلسفة اللغة العربية) •

والثابت أن لغة قريش قد سادت ما أسموه باللهجات الشمالية فكانت اللسان المبين الذي نزل به القرآن • بل كان القرآن حين اعتمد لغة قريش سبباً الى الأخذ بالوضع اللغوي الأرقى فمهّد السبيل للانتهاء باللغة الى مستقرها الكامل • وقد اعتد القرآن آية البيان العربي فكان موضع الاقتداء ومحل الائتمام ، فجروا على منهاجه واستنوا بسنته واقتاسوا به ، أما ما دعوه باللهجات أو اللغات فراجع في الأصل الى اختلاف القبائل في صورة النطق وطريقة الأداء وتميزها بمناح من التعبير • ويعزى ذلك الى عوامل النشأة لا الى اختلاف سبيل الارتقاء اللغوي أو انفراد كل لغة بوضع لغوي تنفعل به على حدة ، وقد تليت آي الذكر الحكيم على وجوه تجلت بها هذه اللهجات • وجاء في كتاب مناهل العرفان للشيخ عبد العظيم الزرقاني : أن الوجوه السبعة في المذهب المختار ، وهو مذهب الامام أبي الفضل الرازي هي (اختلاف في الأسماء من افراد وتثنية وجمع •• واختلاف في تصريف الأفعال •• واختلاف في اللغات أي اللهجات •) •

فصح بذلك أن لا وجه للارتياب في ثبوت المترادف والمشترك والتردد في صحة القطع باللهجات بعد أن تناصرت الأدلة عليه ، وأصبح البحث فيه على بينة ، والعلم على يقين •

٣ ـ أنه يرى العربية معجماً لما اختطته لعبقرية قومها من كريم المآثر والشمائل ، وما اتخذته لأداء رسالتهم وتحقيق (ذاتهم) من رفيع الغايات

وشريف المطالب ، أو ما أسموه بالمثل الخلقية والقيم الروحية ودعوه بتطلعات الأمة وطموحها ••• وهو ليس بعيداً عما قيل من أن العربية لسان صدق يفصح عن طباع القوم وما تجري به سجاياهم ، ويترجم عما سعت اليه آمالهم وسمت اليه رؤاهم • يقول الشيخ العلايلي في مقدمته (ان ما اشتهر من أن اللغة ألفاظ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم جعلها شيئاً دون الغرض••• وهو ملحظ حق وصحيح حينما نتجه بنظرنا الى اللغة في دورها النشوئي ••• أما بعد فمجموعة من الأفكار والتقاليد والعواطف والأحاسيس والنزوات وشتى المشاعر من الاعتبارات التي تنتظمها الألفاظ انتظاماً أصبح منها كما يكون الشيء من الطبيعة ١٥/٠٠) • بل ذهب وراء ذلك فقال : (ونحن مهما حاولنا أن أن نغمض النظر عن نبل العربية فانها ناطقة بذلك • ومن ثم كان من الخطأ أن نفسر اللغة بتاريخ العرب ، وانما نكون أكثر قصداً اذا فسرنا تاريخ العرب باللغة ٢٢٩) •

وقد توفر علم اللغة الحديث على البحث فيما وعته لغة كل قوم من خطوط تراثه وانطوت عليه من معالم حضارته واستأثرت به في مسطور لوحها من مبادىء خلقه وسمات فكره ورسوم تعامله • وأصبح لا بد في البحث عن دلالة الألفاظ من استشفاف ما توحي به من مقاصد ثوت في روح الأمة ، واذكاء العين على (مفاهيم) قد كمنت في ثقافتها بل اصطفقت في ضميرها وازدحمت في وجدانها فارتقت الى معايير خلقها، وهي مختلفة اختلاف لغات الأقوام متمايزة تمايز ألسنتهم بل جعل الباحث الفرنسي Jeanine Fribourg في العدد الثاني من مجلة La lenguistique لعام ٩٧٨ معالجة هذا القصد ، موضوع علم خاص أسماه L'Ethnolinguistique .

ويقول الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في مجلة اللسانيات لمعهد العلوم اللسانية في الجزائر (لعام ١٩٧٤/٧٣):(المفاهيم التي تحدد كياناتها بالألفاظ في لسان ماليست مطابقة بالضرورة للمفاهيم التي تحددها لغة أخرى • وأفحش غلط ارتكبه أرسطو هو ما صرح به من أن الألفاظ هي وحدها تختلف من لسان الى آخر • أما المعاني فواحدة عند جميع الناس ، وهذا غير صحيح) •

ويقول الدكتور نايف خرما في كتابه (أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة) : (وارتباط المفردات بمجتمع معين بهذا الشكل يجعل تلك المفردات أشياء شديدة الالتصاق بتلك اللغة ، تحمل عادات ذلك المجتمع ومشاعره وأنماط سلوكه وأخلاقه ومُثله) ٠

واذا كان الأرسوزي قد رأى في العربية ما يدل على رفعة شأن قومها ويوحي بسمو رسالتهم فذلك أنها لسان قوم قال التنزيل في وصفهم (كنم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ـ٣/١١٠) ٠ واذا كان قدكلف بها فأيقظ لها رأيه وأسهر بها قلبه يتبين قوة فطرة العربي في خصوص نشأة لغته وأصالة اشتقاقها وتلاحم نسجها ويتعرف سموقها اللغوي بما أخذت به من الصقل وبلغته من الدقة في ملابسة ألفاظها لمعانيها حتى تمخضت عن لغة القرآن ، فلا بدع في ذلك ولا جرم ، على ألا يعدل بنا عن القول بما يمكن أن تنقاد له في نشوئها وارتقائها وتكاملها مما تأتمر به وتمتثله سواها من اللغات في خضوعها لقوانين (التطور العام) ٠

أما قول الدكتور الجنحاني في مجلة تنمية اللغة العربية في العصر الحديث لعام ١٩٧٨ ، المجلة التي تصدرها وزارة الشؤون الثقافية التونسية : (ان تيار الفكر القومي قد كان له دور ايجابي في المرحلة التي يمثلها الحصري والأرسوزي ولكن هذه النظرة الى اللغة التي أفصح عنها الأرسوزي تدل على سيطرة العقلية السلفية ٠٠) فانه لا يرجع الى كشف أو تبيين ولا يدخل في مجال بحث أو شرعة نقاش ليحظى بمحصول أو يحلّى بطائل ٠

* * *

أقول هذا عن نشوء العربية عامة ، أما عن مراحل نشوء الكلم فيها فقد لاحظ الأئمة أن حكاية الصوت انما تظهر غالباً في المضاعف ، فجل المضاعف في العربية انما نشأ عن هذه الحكاية ، وهو الذي يشعرك بها ٠ وقد بحث علماء العربية هذا منذ العقود الأخيرة من القرن الماضي ٠

قال الشدياق في (سر الليال) المطبوع عام ١٨٨٤ : (وها أنا ذا أذكر لك بعض الأسباب التي سولت لي أن أعتبر المضاعف أصلا ، وأحدها أني رأيت أن

معظم اللغة مأخوذ من حكاية صوت أوحكاية صفة ، وأن حكاية الصوت انما تأتي من المضاعف نحو دب ودف ودق وهز وسف وقر) فقد قرر الشدياق باستقراء كثير من الكلم كما فعل سواه أن اللغة انما ابتنيت بحكاية الصوت أو حكاية الصفة • وأن هذه الحكاية انما تأتي بالمضاعف•وقد قصد بحكاية الصفة أن تجانس الحروف التي يتألف منها اللفظ بما تتصف به من اللين والترخيم والشدة والتفخيم ، الصورة التي يرتسم بها معناه ، أو تشاكل ، بما تبدو به من النظم والتأليف ، الأحداث التي يعبر عنها • قال الشدياق (كقولهم مثلا منمنم أي مزخرف فهو نحو توهم الفرنسيين لفظة مينيم للشيء القليل الوجيز •• وشيء ململم أي مدور مضموم مجمع ••وقولهم امرأة رجراجة أي يترجرج عليها لحمها) • وقد تلتبس حكاية الصفة بحكاية الصوت في ألفاظ كالوسوسة لحديث النفس ، والهمس للصوت الخفي •

وقد ذهبوا الى أن الأصل في أواخر الكلم السكون ، كما كان الأصل في أوائلها التحرك ، فالكلم حين توضع تبنى على الوقف • قال الشدياق : (ان الفعل في الأصل كالاسم في كونه يوقف عليه بالسكون قبل اتصاله بفاعله ، فاذا اتصل بفاعله فُتح • وتقرير ذلك أن الواضع لما وضع قدّ ودق ودف ، لم يقصد بها في أول الأمر أن تكون فعلاً ولا اسماً ، بل مجرد حكاية لصوت توهمه ، بقطع النظر عن أي شيء آخر • فلما وصل بفاعله قال دق الرجل) • وكان السكاكي قد قال في المفتاح وهو من أئمة القرن الهجري السابع : (أما المقدمة الأولى فهي أن اعتبار أواخر الكلم ساكنة ما لم يعرف عن السكون مانع أقرب ، لخفة السكون بشهادة الحس ، وكون الخفة مطلوبة بشهادة العرف••) • على أنه لايشترط أن يترتب هذا في أول بنية للكلم ، وانما يصحّ أن يتفق قبل استقرار المضاعف كما سنراه • وما دامت حكاية الصوت انما تقوم غالباً بلفظ المضاعف ، والأصل السابق له في أواخر الكلم هو السكون فان المضاعف متى وقف عليه كان على حرفين ، ومن ثم ثبت أن الكلم في أصل بنائها ثنائية ثم زيدت فأصبحت ثلاثية •وقد تبين باستقراء كثير من الكلم أن الأصل الثنائي دال بلفظه على جنس المعنى ، وأن الحرف المزيد دال على نوعه •

وقد أخذ الشدياق بالأصل الثنائي وذكر أن حكاية الصوت انما تأتي من المضاعف ، وأن المضاعف قد يكرر لزيادة في المعنى فيكون منه المضاعف الرباعي، فقال : (فاذا أرادوا الزيادة في المعنى ضاعفوا الحروف فقالوا دبدب ودفدف ودقدق وهزهز وسفسف وقرقر ··) · وأقوى ما استدل به الشدياق في تحقيق الأصل الثنائي وتبيينه أمور ثلاثة :

أولها أنك لا تكاد تظفر للمضاعف على معنى حتى تقع عليه أو على نحو منه في مزيد له · قال : (فقلما ترى في المضاعف معنى الا رأيت في مزيده مثله أو ما يقاربه) · وقد ذكر من ذلك : صر وصرأ وأل وألب وسل وسلب وكف وكفت وسل وسلت ولب ولبث وخب وخبث ورم ورمج وكد وكدح ومثله كثير · وهكذا يتقارب المعنى في كثير مما جاء ثلاثياً واتفق أوله وثانيه كبذا وبذأ وجسا وجسأ وجفا وجفأ وحدى وحدىء ودحا ودحب ورسا ورسب ، فكأن تغير الآخر لم يعدل باللفظ عن أصل معناه ·

وثانيها : أنك تجد أفعالا مجهولة الأصل ، وأصلها من المضاعف معلوم ، وذلك نحو امتخر العظم أي استخرج مخه ، فهو لا بد أن يكون من امتخ ، اذ لم يجيء المخر بمعنى المخ ، وقس عليه تمخى العظم بمعنى تمخخه ·

وثالثها : دلالة الثنائي على جنس المعنى ، اذ قال (وانظر أيضاً الى غم وغمت وغمد وغمر وغمس وغمص وغمض وغمط ، وغمق وغمل وغمن وغمى ، فانها كلها تدل على الستر والتغطية مع اختلاف المعاني ، ونحو فل وفلج وفلخ وفلذ وفلع وفلغ وفلق وفلى ، جميعها تدل على القطع) وأردف (وبذلك تعلم أن النسق لم يجر على ألسنة العرب عفواً وأن تبويب الكلام في كتب اللغة على أواخر حروفه مفرق لمعاني الألفاظ ومشتت لمبانيها) · وقال الشيخ طاهر الجزائري الدمشقي في حواشيه على خطبة الكافي (وعلى ما ذكر من أن اللغات نشأت من الأصوات، وأن حكاية الأصوات تظهر في المضاعف أكثر مما تظهر في غيره ، وأن الأصل في أواخر الكلم السكون ، يقوي القول بأن الكلمات كانت في أول الأمر ثنائية وأن أول ما وضع من الكلم هو المضاعف ثم تلاه غيره) · ولم يذكر الشيخ (الثنائية) أصلا في العربية وحدها ، بل حكى بحثها واحتسابها في اللغات السامية ، اذ قال : (على أن كثيراً من الباحثين عن أصول

اللغات السامية في هذا العصر قد أفضى بهم البحث الى أن الكلم في اللغات السامية كانت ثنائية في أول الأمر) .

على أن الشدياق وقد أخذ على المعاجم القديمة ما أخذ بعد أن فلاها وتدبرها وقلب فيها النظر ، وألف في نقد القاموس المحيط كتابه (الجاسوس على القاموس) قد كان يبغي أن يوطىء لتأليف معجم يحقق فيه سهولة في الترتيب ووضوحاً في التعريف . وفي رأسه خطة قد جزمها وعقد النية على امضائها . فهو يؤثر ترتيب المواد في المعجم ترتيبها في الأساس للزمخشري والمصباح للفيومي بمراعاة أوائل الألفاظ دون أواخرها ، فيقول في الجاسوس (فهذا النسق ، أعني ترتيب الكلام من دون مراعاة أواخره هو الذي يظهر حكمة وضع الواضع . وقد لحظ ذلك أمام العربية الزمخشري) .

وهو يحرص على موالاة ذكر الأفعال الثلاثية فالرباعية فالخماسية فالسداسية فلا يخلط بينها كما فعل الأوائل من الأئمة . وهو يصر على البدء بالمضاعف ما دام أصلا في ابتناء الكلم بمحاكاة الصوت ، ويجعل الأجوف الواوي فاليائي رديفاً للمضاعف ، ويأتي بالمهموز عقباً للأجوف . وهو يحرص على ذكر المعنى الأول والأصيل ثم الذي يتجم عنه .

هذا وقد عمد الشدياق في (سر الليال) الى نحو مائة من المضاعف وما تفرع على كل مضاعف من الثلاثي فالرباعي .. فكشف عن المعنى الأول وفصل فيما تشعب عنه من المعاني .. ثم أتى بمقلوب المضاعف وجرى على ما جرى عليه في المضاعف ، فما الذي أسفر عنه استقراؤه وآل اليه ؟ استبان برصد هذه الأفعال المضاعفة أن جلها يدل على حكاية صوت ، وقد يشف عن ذلك بملاحظة مضاعفها الرباعي .. وأن بينها وبين ما تفرع عليها من الثلاثي والرباعي في الغالب ، اتصالاً في المعنى ، كما وضح أن بين المضاعف ومقلوبه انقطاعاً في الدلالة غالباً ، واشتراكاً حيناً .. وندر أن يكون المقلوب في عكس معنى الأصل .

وممن أخذ بالثنائية الشيخ ابراهيم اليازجي فذكر في مجلة الطبيب (١٨٨٤ م) أن الثنائي المضاعف كان على حرفين متحرك فساكن ، وأنه كان الأصل الذي بني عليه الثلاثي .

وذهب الأستاذ جرجي زيدان في كتابه (الفلسفة اللغوية) هذا المذهب فردّ الثلاثي الى ثنائي زيد حرفاً في الصدر أو الحشو أو الآخر ·

وكذلك فعل الأب أنستاس ماري الكرملي ، وقد جهد جهده في المنافحة عن مذهبه صادق العزم ثابت العقد فقال في كتابه (نشوء اللغة/٢٧) : (ان الكلم وضعت في أول أمرها على هجاء واحد متحرك فساكن ، محاكاة لأصوات الطبيعة ثم فُئمت ، أي زيد فيها حرف أو أكثر في الصدر أو القلب أو الطرف ، فتصرف بها المتكلمون تصرفاً يختلف باختلاف البلاد والقبائل والبيئات والأهوية) ·

وقام الأب (أ·س مرمرجي الدومنيكي) بـ (محاولة معجمية) رد فيها الثلاثي الى أصله الثنائي ، في العربية وبعض اللغات السامية · فأتى بـ (أمر) وعدد معانيه في العربية والسامية ، فرأى أنها تدور حول (الارتفاع) فقدر أن أصله (أم) الثنائي ، وهو بمعنى الرئاسة والعلو ، وأمُّ الرأس قمته ، فزيدت فيه الراء · وفي (الأمر) ومشتقاته الارتفاع والتسلط · وجاء بـ (عَلِم) بكسر اللام فرأى أن أصله (لم) والعين فيه هي المزيدة · فأكد أن معنى (لم) في العربية وبعض السامية هو الجمع والاحاطة أو المعرفة كما يبدو في(ألمّ)، وأن معنى (عَلِم) متعلق بهذه الدلالة ·

وقد أشار فوق ذلك الى أن الثنائي المضاعف كـ (مصّ وحمّ ومسّ) ، قد جاء في السريانية بحرفين محرك فساكن نحو (مصْ وحمْ ومسْ) وقس عليه · ولا يخفى أن الآرامية تسكن فيها أواخر الأفعال كما ذكره الدكتور الحلبي الموصلي في كتابه (الآثار الآرامية في لغة الموصل العامية) اذ قال (تسكّن العامة أواخر الفعل فتقول : أكلْ وكتبْ و يكتب خلافاً للعربية وتبعاً للآرامية) ·

وممن قال بالثنائية الشيخ عبدالله العلايلي في كتابه (مقدمة لدرس لغة العرب) خاصة · ولعله من أكثر العلماء توفراً على البحث في نشوء العربية ، وأدقهم رصداً لمنازل ارتقائها في حداثتها ونضجها واكتمالها ، وأشدهم حرصاً على كشف خصوصها بمعارضة سماتها بملامح سواها من اللغات المرتقية وغير المرتقية ، وأمضاهم في الاقتباس بخط من النظر نشوئي ونحو من الدراسة علمي لا غيبي ولا صوفي · وقد عرضنا لطرف من آرائه فيما تقدّم من البحث وسنمر بما اتصل بما وطّنا النفس على استيفائه في هذا المقال ·

ثم جاء الأرسوزي فتصور انتقال الكلم من المضاعف الذي يمثل حكاية الصوت وصورة الحدث الى الثلاثي فقال : (فمن ــ تر ــ وشكلها الرباعي ــ ترتر ــ وهي الصورة المقتبسة من سقوط الماء متقطعاً ، حصل الفعلان الثلاثي والرباعي البدائيان، اما بتشديد الحرف الثاني واما بتكرار المقطع ، وهما عبارتا الفعالية • ومن هذا الفعل الثلاثي اشتق الذهن العربي الأفعال التالية ، من لفظة ترّ اشتق تره وترك وترع وترس ، بتبديل الشدة بحرف ملائم للتعبير عن ذلك المعنى المتفرع) • أي أبدل الذهن العربي من الحرف الأخير المدغم ، حروفاً ملائمة لمعان جديدة • ثم حرص الباحث على الاحتفاظ بطابع الصورة البدائية السابقة ، كما يقول ، فاشتق من الأصل الأول ــ ترّ ــ بالابدال من تائه : درّ ، والابدال من رائه الثانية : درأ ودرج ودرس ودرع ودرق ودرك وهكذا ••

ويستبان مما تقدم أن القائلين بالثنائية قد أجمعوا على أن أصل الكلم قبل ابتناء الثلاثي هو الثنائي وأن الثلاثي قد نشأ بزيادة حرف عليه ، وأنه قلما ترى في الثنائي معنى الا رأيت في مزيده الثلاثي مثله أو ما يقاربه • هذا هو محل الاتفاق بينهم • أما محور الخلاف فهو في موضع زيادة الحرف • فقد ذهب الشدياق الى أن محل الزيادة في الغالب هو الآخر نحو صرّ وصرأ وأل وألب وسل وسلب وكف وكفت •• ونحو غم وغمت وغمد وغمر •• وكذلك فلّ وفلح وفلج وفلخ وفلذ •• الى آخر ما جاء من أمثلته • وهو ما انتحاه الأرسوزي فيما أورده من الشواهد •

وذهب الأستاذ جرجي زيدان مذهباً آخر هو احتمال دخول الحرف الزائد أولا أو وسطاً أو آخراً دون ترجيح • والى مثل هذا ذهب الأب الكرملي فيما نص عليه صراحة ، والأب الدومنيكي فيما دل عليه من الشواهد •

ولكن هل عرض القدامى من اللغويين لنحو من (الثنائية) هذه ، وما الذي انتحوه ؟

اذا عدنا الى ما جرى عليه الخليل بن أحمد الفراهيدي في ترتيب مواد معجمة الشهير (العين) ، ألفينا أنه اختط هذه الخطة ويمم سمتها • فقد ذكر مثلا (در) في أول حرف الدال من الثنائي المضاعف ثم أتبعه ذكر (دردر) •• وقد أسمى (دردر) هذا ثنائياً لتكرر الدال والراء ، وهما حرفان • وأتى بعد

ذلك بـ (درد) و (ددن) ، وكل منهمـا ثلاثي غير أن الفاء واللام في الأول مـن جنس واحد ، والفاء والعين في الثاني من جنس واحد • ولما انتهى من الثنائي المضاعف انتقل الى ذكر الثلاثي الصحيح نحو دثر ودرن ودفر وما قلب منها، وعلى ذلك جرى في سائر الحروف •

وقد التزم الراغب الأصبهاني في مفرداته أن يبدأ بالمضاعف أيضاً فذكر في فصل الراء من باب الباء (برّ) ثم (بربر) ثم أخذ في ذكر (برأ) ••

واعتد ابن دريد في جمهرته المضاعف ثنائياً بلفظه وصورته ••

ورصد ابن فارس ما يمكن أن يتعاقب عليه الثنائي والثلاثي من المعنى في كثير من المواد • وكشف في المقاييس عما تنطوي عليه مادة (القاف والطاء وما يثلثهما) مثلا من معاني القطع وألوانه كقطف وقطل وقطم • ورد باب (الفاء والراء وما يثلثهما) الى معاني التمييز والافراد ، وكذلك فعل في المجمل ••

ولكن ما الذي قصده الأئمة بهذا • أقصدوا أن يوضحوا طريقة الاشتقاق وما بين الثنائي والثلاثي من اشتراك في المعنى ليمضوا بعد ذلك في اتخاذ ضوابط لهذا الاشتقاق كما فعل ابن جني في الخصائص والزجاج في الاشتقاق وابن الأثير في المثل السائر •• أم تنبهوا الى مراحل نشوء الكلم بعضها من بعض فاعتدوا الثنائي في انتشاء اللغة سابقاً للثلاثي متقدماً عليه في العمر ؟ أقول ليس ثمة ما يثبت أن الأئمة حاولوا الكشف عن مراحل نشوء المفردات في بناء هيكل اللغة قبل استوائها على الأصل الثلاثي واتخاذها فقهاً خاصاً واشتقاقاً مطرداً • وكل ما في الأمر أن من العلماء كما قال العلايلي من ذهب الى أن في ابتداء الخليل في معجمه بأحرف الحلق واتباعها أحرف اللسان فالأسنان فالشفتين ، ان في ذلك خطة نشوئية تشير الى ملاحظة طبيعة الحروف • وقد أشارت دائرة المعارف الاسلامية الى أن السنسكريتية قدر ُتبت حروفها هذا الترتيب • فاذا صح هذا كان سمة من سمات هذا العبقري •

هذا واذا كان العلايلي قد أخذ بالثنائية فرد الثلاثي الى الثنائي ، فقد تفرد في ذلك برأي اذ قدّر أن موضع الزيادة في الثلاثي هو الوسط ، فخالف المحدثين حين جعلوا موضع الحرف المزيد هو الآخر أو حين ذهبوا الى احتمال

كونه في الصدر أو الوسط أو الآخر • كما خالف القدامى حين اعتدوا اتفاق الفاء والعين غالباً شرطاً لاشتراك المعنى في الثلاثي ، ويحمل هذا على تقدير الآخر موضع الزيادة • قال العلايلي : (وهم في تقديرهم درجوا أن الآخر موضع الزيادة ، ونحن نقدر أنه الوسط في غير ما يكون حلقياً من المواد ، فان حروف الحلق عندي منقلبة من أصوات هوائية تصحب الحرف ••[٧] ومن ثم لا يصح أن يعد الحلقي حرفاً في مباحث التأصيل) •

فاذا اعترضنا ثلاثي فيه حرف من حروف الحلق فالتمسنا أصله أسقطنا الحرف الحلقي • ف (قطع) يرجع الى قط ، و (حلب) يرجع الى لب • فاذا لم يكن فيه حرف حلقي أسقطنا الوسط ، ف (قطف) أصله قف الذي يدل على الضم والجمع • وكذا الأمر في قذف وقرف • ومن ثم كان علينا أن نلحظ الفاء واللام أولا لتقرير جنس معناه ، والعين ثانياً لحد نوعه • فالطاء في قطف مثلا تعين الالتواء والانكسار •

ويقول العلايلي : (هذا ظن نرسله في كثير من الثقة والاطمئنان) • أقول لا شك أن على الباحث أن يستقري ما لا يحصى من الكلم ويحاول أن ينظمها بوصف عام ، ثم يلتمس وجه التعليل والتقدير ، كما أشار الى ذلك العلايلي نفسه •

واذا عرض لنا شيء مما فوق الثلاثي ك (عصفور) أحلناه الى (عصفر) بحذف المد ، ثم أسقطنا حرف الحلق فحار الى (صفر) ، ثم أزلنا الوسط فالتمسنا الأصل في (صرّ) والصرّ طائر كالعصفور والصرصور •

والعلايلي لا يقنع بالتفرد فيما تقدم ، بل يحاول أن يقدر المنازل التي مر بها اللفظ حتى آل الى الثنائي • فهو يتصور أن اللغة بدأت بالمقطع الواحد ك (با) وهو المقطع الذي تألفت من أمثاله حروف الهجاء • وقد كان الحرف ينطق بالأصوات الثلاثة فيكون له مع كل صوت معنى • وقد جاوزت العربية دوراً صوتياً كانت الحركة فيه صوتاً أي حرفاً ••

---

٧ ـ يشهد بهذا ان ليس في البابلية احرف حلقية ، والبابلية دون العربية ارتقاء ، كما جاء في تاريخ اللغات السامية للدكتور ولفنسون •

ثم قدر أن اللفظ قد انتقل الى المقطع الثنائي الذي يضم مقطعين واحدين ك (عووا) مثلا ، وآل هذا الى حرفين بصوت واحد ، بعد تصحيح الصوت واستقرار اللفظ على الثلاثي ،فكان منه (عوى) • وتصحيح الصوت ابدال للحركة منه قبل كل شيء •

وزعم أن (عو) في الجدول الهجائي يعني الحيوان المفترس ، و (وا)للصوت المتكرر ، ف (عووا) للحيوان المفترس يواصل التصويت • ومن ثم عُبر ب (عوى) عن صوت الحيوان •

ولا ننس أن حروف الهجاء بأصواتها (أي حركاتها الثلاث في العربية وسواها في سواها) هي الوحدة الأولى للبنية اللغوية ، والحركات فرع ، والأصوات ، أي أحرف المد، هي الأصل• وقد توصل الانسان الى حروف الهجاء بمحاكاة الطبيعة ، وانفردت كل لغة بحروف ، واختلفت هذه في كل لغة قلة وكثرة •

وذهب العلايلي أنه قد يتأتى اعتماد معاني أسماء الحروف الفينيقية في فهم المفردات العربية ، وردها الى معانيها الأولى • وتبقى الصعوبة في تبين معانيها مع الأصوات • ذلك ما يحتاج الى استقراء دقيق يقعد بالباحث المنفرد ، لابتعاد اللغة بما تعدته في ارتقائها من مراحل وأطوار ، عن بداياتها الأولى •

ولا جرم أن هذه الحروف بمعانيها الجنسية العامة قد لوحظت في وضع المفردات الثلاثية فالرباعية فما فوق • فالرباعي لم ينشأ بالنحت كما ذهب اليه بعض الأوائل ، وانما نشأ بزيادة حرف بمعناه الى آخر الثلاثي ، ولم يبق لدلالات حروف الهجاء أثر الا في تكثير المفردات على النحو الذي ذكرنا • واذا كان الثلاثي قد أضحى مؤلفاً حرفياً موحد الدلالة ، مفرداً في مفهومه ، فانه كان مركباً مؤلفاً من وحدات لكل منها دلالة •

هذا وببلوغ اللفظ حد المقطعين الواحدين وانتهائه بتصحيح الصوت الى حرفين بصوت واحد ، نشأت المعلات الثلاثية ، ومنها المثال والأجوف والناقص • وبتصحيح هذه المعلات بحذف صوتها والتضعيف نشأ الثنائي المضاعف ، ف (نبي) صار الى (نبْ) الثنائي المخفف ثم الى (نب) المضاعف • و (أبو) صار الى (أبْ) ف (أبّ) • وشحى أوشيح الى شحْ فشحّ وهكذا •••

وقد لحظ الشدياق الاشتراك في المعنى بين المضاعف والأجوف فجعل الأول متقدماً في النشوء والثاني رديفاً له • وعندي أن رأي العلايلي في سبق الأجوف (أي المعلّ) أدنى الى النظر النشوئي من حيث كان الأجوف أقرب الى الصوتية من المضاعف •

وقد توفر العلايلي على رصد عهد الصوتية فنبه فيه على أمر ذي بال • ذلك أن كل حركة في الكلم كانت تنطق حرفاً من حروف المد ، وكانت الكلم تبتدىء بالساكن وتنتهي بالمتحرك • وقدر العلايلي هذا المتحرك أنه (الواو) أو الضمة الممدودة ، كما هو شأن الآشورية والبابلية • ولا تزال ثمة موازين تنطق ساكنة الأول وان بدئت بهمزة قطع كاجفيل واخريط ، أو ألف وصل كاسم وابن وامرىء •• واستمر تحريك الآخر وظلت ظاهرة الوقف بالروم (الحركة المختلسة المائلة الى الضم) شائعة عند بعض القبائل مطلقة لديها ، دالة على سبق التحرك بالواو • وما فتئت اللغة تمر بتجارب حتى انتهت الى الاعراب فاستوت أكمل ما تكون بنية ، وأكثر ما تكون دقة بين اللغات بملابسة اللفظ لمعناه •

هذا وقد يصحح (المُعل) فينتهي الى مهموز كما ينتهي الى ثنائي مضاعف ، وقد يكرر هذا فيصير الى ثنائي مكرر • ومن ثم قامت وحدة المعنى بين المُعل والمضاعف والمهموز والمكرر كزبى وزبّ وزبأ وزبزب •• وقد ينشأ من زبّ ثلاثي فيقال : زعب • ومن هذا رباعي فيقال زعبأ • وقد لحظ العلايلي تأخر نشوء الرباعي المكرر لدلالته على معان تركيبية •

ويجري مذهب العلايلي في نشوء الرباعي فما فوق مجرى المباينة مما أكده ابن فارس وأيقنه ، في المقاييس والصاحبي • أشار ابن فارس الى أن ما زاد على ثلاثة أحرف فأكثره منحوت ، فقولهم (ضبطر) انما تولّد بالنحت من (ضبط وضبر) ، والصلدم انما تأتّى من الصلد والصدم • ونهج هذا النهج فقدّر النحت في كثرة من موادّ الرباعي والخماسي • بل مضى في ذلك بعيداً ، فاذا لمح أن رباعياً ضمّ الأحرف الثلاثة من ثلاثي ، وحرفاً رابعاً من ثلاثي مقدّر آخر كما هو الصلدم ذهب الى أن هذا الحرف قد كان يعبر عن جملة أحرف الثلاثي الآخر اختزالا ، وأن الرباعي انما نحت من ثلاثيين • أقول اذا اضطر العرب الى

اختصار (النسبة) حيناً في مركب فقالوا عبشمي في عبدشمس ، وعبدري في عبد الدار ، ومرقسي في امرىء القيس ٠٠ أو لجأ الأئمة في صدر الاسلام الى اختصار بعض الأقوال المأثورة فقالوا الحولقة والبسملة والحسبلة ٠٠ فان النحت لم يطّرد في اللغة اطراداً واضح المعالم ظاهر الرسوم ليعتد سمة من سمات العربية ، لذلك كان التقدير لابتناء الرباعي بزيادة الحرف ألصق بطرائق العربية وأعلق بجوادها خلافاً لتركيب بنية الكلم في اللغات الأجنبية فان النحت هو سبيلها المسلوك ونهجها المأموم ٠

هذا وقد تخيل العلايلي أن العربية قد استنت للتزيد اللغوي سنة أخرى بعد أن أصبح الثلاثي وحدة الكلم ٠ وهو تقليب حروف الثلاثي بحيث يكون لكل أصل منه ست مواد لها جامع معنوي ٠ وقد روعي في توليدها نهج خاص بُني على ترتيب حروف الهجاء ، فأصل ما تألف من الكاف واللام والميم هو (كلم) بسبق الكاف تليها اللام فالميم ، كما تتوالى في الهجاء ، فأقدم التقاليب أو أصلها ما وافقت أحرفه الترتيب الهجائي ، وقد تولد من (كلم) : لمك ثم مكل فكمل فملك فلمك ٠ ولا ننس أن الخليل أول من أوحى بهذه التقاليب واشتراكها المعنوي ٠ وقد أيقن ذلك أبو علي الفارسي ، وأفاض فيه تلميذه ابن جني في الخصائص ، وأسماه المتأخرون الاشتقاق الكبير ٠ وتعرض لبحثه كثير من الأئمة بعد ذلك لا سيما الحاتمي والسكاكي في مفتاحه وابن الأثير في مثله السائر ٠ ونبه ابن جني على عدم اطراد هذه التقاليب ، كما أشار العلايلي الى أن ما تفرع على كل أصل ثلاثي لا يشترط أن يبلغ هذا العدد منها ٠

ولكن اذا ثبت أن الاشتراك في المعنى يلازم المادة في تقاليبها دون النظر الى ترتب الأحرف فذلك يعني أن حرف الهجاء لا يزال يحمل من خلال معناه الأول ما يؤلف به وحدة المعنى في كل تقليب ، وجنسه في المادة عامة ٠

وانتقل الأئمة من ذلك الى ما أسموه بالاشتقاق الأكبر حين رمقوا فيما اتفق منه بعض الأحرف وتماثل الآخر نوعاً ومخرجاً ، اشتراكاً في المعنى ٠ فالتقارب بين اللفظين يوحي بالتقارب بين المعنيين ٠٠ وانما يقع الاتفاق في حرفين والتماثل

في الثالث ، ولذا يجمل الشيخ طاهر الجزائري الكلام على الاشتقاق الأكبر ويخلص منه ليؤكد ثنائية الأصل فيقول (وكأن ٠٠ الأصل في هذا الباب هو حرفان وضعا لمعنى ثم زيد عليهما حرف آخر ليدل على معنى آخر يكون بمنزلة النوع للمعنى الأول الذي بمنزلة الجنس لأنواع معنى الألفاظ التي نشأت عند الزيادة) ٠

ونعرض في ختام ما عقدنا الفصل عليه لطرف مما قاله بعض المؤلفين في ثنائية الأصل ٠ قال الأستاذ محمد المبارك في كتابه (فقه اللغة) : (ونوافق الأستاذ العلايلي في رأيه السديد الذي يتلخص باستقرار العربية على الأساس الثلاثي واعتبار الأصل الثنائي مرحلة تاريخية لم يعد البحث فيها مجدياً الا ضمن الاعتبار التاريخي ٠ ولكني أرى مع ذلك النظرية الثنائية عدا صفتها التاريخية ، لا تزال في بداية البحث ، والذين قالوا بها لم يبنوا أبحاثهم على استقراء واسع ٠ ولا يكفي لاثبات صحة هذه النظرية ٠٠ صدقها في عشرات الأمثلة بل في مئات الأمثلة) ٠ وكلامه هذا ظاهر الاستقامة ٠ لكننا لا نعدو شاكلة الصواب وشرعة البحث حين نضيف اليه أمرين ، الأول أن الكلام على بنية الكلم أمر يتعدى الاعتبار التاريخي ، وهو مُجدٍ في البحث جدوى مُعشبة مخصبة تظهرك على ما بين جذر اللفظ التاريخي وما بني عليه من اتصال تتبين به ظلال معناه ٠ ولو بدا ذلك في العربية بعيد المرام عزيز المنال ٠ فهذا قول العلايلي، وقد اعتمد المؤلف رأيه في الثنائي ٠ قال العلايلي : (فقد تقرر بما لا يحتمل ريباً أن بين مواد الثلاثي الست جامعاً معنوياً، وانما وجه الخلاف في الخصوصية) وأردف (وعليه يمكن انتزاع الجامع المعنوي منه — أي من الأصل الثلاثي — وتعيين الخصوصية بمساعدة الثنائي الذي لانظن في أمره مناقشة) ٠ والثاني: أن القطع بثنائية الأصل لا يعول فيه على الاستقراء وحده بل لا بد فيه من التحليل والاطلاع على ما انتهى اليه في ذلك علم اللغة الحديث ٠ ونحن لا نود الوقوف على طرائف هذا العلم لنقبل عليها اعتناقاً فلا نعصي لها أمراً أو نخالف نهياً ٠ أو ننزل على حكمها فننصرف عن التدبر ونشغل بطرافتها وجدّتها ، بل نروم أن نعارض مذاهبها بمذاهب أئمتنا لنخلص الى تبين المسألة واجتلاء سرها ٠

وعقب الدكتور رمضان عبد التواب في كتابه (فصول في فقه اللغة العربية) على ما استدل به الأب الدومنيكي على ثنائية الأصل فقال (٠٠ وما لاحظه أن المضاعف العربي الذي يقال انه مركب من ثلاثة أحرف أصيلة لا تجد مقابله في السريانية الا حرفين ٠٠ نسي ــ معه ــ أنه عند اسناد المضاعف الى الضمائر في العربية والسريانية يظهر التضعيف ٠٠)، أقول ان ملاك الأمر ها هنا هو تصور الوضع الأول ، فلا يلزم من ظهور تضعيف الثنائي في استعماله مع الضمير ألا يكون للمضاعف أصل ثنائي مخفف تألف من متحرك فساكن ، كما تصوره العلايلي فيما ذكرنا ، وأشار اليه الشدياق حين قال (فلما وصل ــ الواضع ــ دق ــ بفاعله قال : دق الرجل) ٠

ويختم الدكتور عبدالتواب كلامه في هذا فيقول : (وخلاصة الرأي في الثنائية أنها وان وجدت في بعض الكلمات السامية لا يصح أن نعدّها الأصل الأول لهذه اللغات ٠ ونحن مع الأستاذ عبدالله أمين في أنه لا يمكننا أن نسلم أن رجلا أصله : رج ، وقرداً أصله قر ، وفيلا أصله في ، كما يقولون) ٠ أقول اذا كان الدكتور عبدالتواب قد عنى بهذا أن الثنائية قائمة في كثير من المفردات لكنها لا تبدو غالبة أو مطردة فلا يجفو هذا عن خصوص اللغة أو ينبو على سنة نشوئها ، فقد يطرأ على الكلم العربية ولو تميزت باستثبات جذورها ما يشوه بنيتها ويطمس ملامحها فلا تلوح الشواهد صادقة دالة على الأصل ، والسمات بينة نامة على الوضع ٠ وقد اشتهر عن الأئمة قولهم بعدم الغلبة أو الاستمرار في أبواب الاشتقاق ، فلم يحمل هذا على انكاره ٠ فانظر الى ما قاله الأستاذ آدم متز أستاذ اللغات الشرقية بجامعة (بال) السويسرية في كتابه الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ٠ قال آدم متز (١/ ٣٩٠): (وكذلك ظهرت في القرن الرابع دراسة جدية للاشتقاق اللغوي ، وبقيت عصراً طويلا ٠ وكان أستاذ هذه الدراسة ابن جني ٠٠ وهو الذي ينسب اليه ابتداع مبحث جديد في علم اللغة ، وهو المسمى بالاشتقاق الأكبر ، وهذا البحث الذي لا يزال يؤتي ثمره الى اليوم ، والذي يختص بمادة الكلمة دون هيئتها ٠ ولم يكن لعلماء اللغة من العرب انتاج أعظم من هذا ٠ ٠)

واذا كان الدكتور التواب قد قصد أن الأمثلة التي أتى بها الباحثون ليست من الكثرة بحيث تحمل على اعتقاد المذهب فان هذا لا يتطلب اغلاق باب الخوض فيه ، كما يُفهم من عبارة الأستاذ أمين ، والا فهل يُحمل ما جاء من الشواهد على اختلافها وكثرتها على أنه اتفاق على غير نسق ومصادفة على غير اتعاد . قال الشدياق (وبذلك نعلم أن هذا النسق لم يجر على ألسنة العرب عفواً ..)

هذا ما وددنا الكشف عنه والتمثيل له في مبحث نشوء اللغات عامة والعربية خاصة ، وما تشعب عن ذلك من وجوه الرأي عند الأوائل والمحدثين . واذا كنا اقتصرنا من هذا الباب على ما أرينا به الطريقة ودللنا على المنهج فلعل فيما سنعمد اليه من بحث الاشتقاق وتحرير مسائله مزيد بيان لما بسطناه في هذا الفصل وفضل جلاء لما دق منه ، لشدة ما بين الغرضين من تشابك واتصال ، والله الموفق للسداد .

صلاح الدين الزعبلاوي

* * *

نظم اللآل في الحكم والأمثال *

جمعها ورتبها : عبدالله فكري
شرحها : عبد المعين الملوحي

القسم الثاني

حرف اللام

٧٤٧ ــ لبستُ ثوبي على ماكانَ من خلَقٍ
ولا جديدَ لمَنْ لم يلبَسِ الخَلَقا
لبست ثوبي البالي ، ولا جديد لمن ليس له عتيق .

٧٤٨ ــ لحَى اللهُ ذي الدنيا مُناخاً لراكبٍ
فكلٌّ بَعيدِ الهَمِّ فيها مُعَذَّبُ
ما أصعب هذه الحياة على من يعيش فيها ، وكل من له همة تعذبه وتعاديه .

٧٤٩ ــ لحى اللهُ صعلوكاً مُناهُ وهَمُّهُ
من العيشِ أن يلْقى لَبوساً ومَطْعَمَا
قبّحَ الله الرجل الذي لا يهمه في حياته الا لباسه وطعامه .

٧٥٠ ــ لحى اللهُ مَنْ باعَ الصديقَ بغيرِه
وما كلُّ بَيْعٍ بِعْتَهُ بِرَباحِ
قبح الله من يبيع صديقه ، وبيع الصديق خسارة .

٧٥١ ــ لسانُ الشكرِ تُنطقُهُ العَطايا
ويَخْرَسُ عِندَ مُنقطَعِ النّوالِ
العطايا تُطلق الألسنة بالشكر ، والحرمانُ يُخْرِسُها .

٧٥٢ ــ لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادُه
فلم يبقَ إلا صورةُ اللّحْمِ والدّمِ
لسان الانسان نصفه وقلبه نصفه فلم يبق منه الا اللحم والعظم والدم .

٧٥٣ ــ لَسترُ الشّمسِ أيْسرُ من كلامٍ
تُستّرُهُ وقدْ مَلأَ الفَضاءَ
قد يكون ستر الشمس أهون من ستر الكلمة التي تَشيع وتَنتشر .

★ نشرت المجلة القسم الأول من هذا المقال في العدد الرابع ـ السنة الثانية جمادى الأولى ١٤٠١ هـ/آذار ١٩٨١ م . (المجلة)

٧٥٤ ــ لطَفَتْ رأيَكَ في وصْلي وتَكرمتي
إنَّ الكريمَ على العلياء يَحْتالُ
كان رأيـك لطيفا في الاحسان اليّ وفي اكرامي ، والكريم يحتال ليصنع المعروف للناس •
٧٥٥ ــ لعلَّ عتْبكَ محمودٌ عواقِبُه
فرُبّما صَحّتِ الأجسامُ بالعلل
قد يكون عتابك نافعا ، والعلة أحيـانا تنفع الجسم •
٧٥٦ ــ لَعمرُكَ ما الايامُ إلا مُعارةٌ
فما استَطَعْتَ من معروفِها فتزوَّدِ
الحياة عارية مُستردَّة ، فاستكثر من الخير ما استطعت
٧٥٧ ــ لعمرُكَ ماتَدْري الطَّوارِقُ بالحَصى
ولا زاجِراتُ الطيرِ ما اللهُ صانِعُ
لا يعرف الغيب الكهان والسحرة وعلماء النجوم ، والنساء اللواتي يضربن بالحصى ، ولا الرجال الذين يزجرون الطير •
٧٥٨ ــ لعمرُكَ ما ضاقَتْ رحابٌ بأهلِها
ولكِنَّ أخـلاقَ الرِّجالِ تضيقُ
البـلاد واسعة تتسع لخلق الله ، ولكـن ما يجعلها ضيِّقةً هو شحّ الناس وحِرْصُهم •
٧٥٩ ــ لعمرُكَ مافي الأرض ضَيْقٌ على امرىءٍ
سَرى راغباً أو راهِباً وهْوَ يَعْقِلُ
لا تضيق الأرض بطالب رزق ما دام عاقلاً يسعى الى أمله •
٧٦٠ ــ لعمرُكَ ما مالُ الفتى بذخيرةٍ
ولكنَّ إخوانَ الثِّقاتِ الذخائرُ
ليس المال ذخيرة للانسان ، فقـد يذهب ويفتقر ، ولكن الاصدقاء المخلصين هم الذخائر الحقيقية •
٧٦١ ــ لعمرُكَ ما وُدُّ اللسانِ بنافعٍ
إذا لم يكن أصلُ المودَّةِ في الصَّدرِ
لا ينفع ود اللسان ، اذا كان القلب خالياً مـن الـود •
٧٦٢ ــ لعمرُكَ مايَدري المسافرُ هلْ لَه
نجاحٌ وما يَدري متى هُوَ راجِعُ
لا يعرف المسافر في طلب حاجة هل هـو ناجح في تحقيقها ، ولا يدري متى يعـود من سفره •
٧٦٣ ــ لعمرُكَ مايدري امرؤٌ كيفَ يتّقي
اذا هُو لمْ يجعلْ له اللهُ واقياً
لا يستطيع المـرء أن يحفظ نفسه ويتقي تلقي المصائب اذا لم يحفظه الله •
٧٦٤ ــ لَعمري أحاديثُ النفوسِ ظنونُ
وما عَزَّ من شيءٍ فسوفَ يهـونُ
الاحلام أوهـام ، وكل عزيز لا بـد أن يذوق الهـوان •
٧٦٥ ــ لعمري لَقدْ جربتُمو ورأيتُمو
وقد ينفعُ المرءَ اللبيبَ تجاربُهُ
أيها الناس ! قد جربتم الحياة ، واللبيب تنفعه التجـربة •
٧٦٦ ــ لعمريَ لَليأسُ عنـدَ الأريـ
بِ خـيرٌ من الطمعِ الكاذبِ
اليأس المريح خير من الطمع الكاذب •

٧٦٧ ــ لعنَ اللهُ نخوةً
صارَ من بعدِها ضَرَعْ
لعن الله العزة التي تنقلب الى ذل ، والمتكبر الذي ينقلب الى متضرع •

٧٦٨ ــ لُعِنَتْ مقارنةُ اللئيمِ فإنّها
ضيفٌ يجرُّ من الندامةِ ضَيْفنا
صحبة اللئيم مزعجة تجر الندامة، كالضيف الثقيل يأتي معه بضيف أكثر ثقلا منه •

٧٦٩ ــ لقدْ أباحكَ غشاً في مُعاملةٍ
مَنْ كنتَ منه بغيرِ الصدقِ تنتفعُ
كنت تنتفع بكذب فلان ، فالآن بدأ يغشك ويكذب عليك •

٧٧٠ ــ لقدْ أجلّكَ من يُرضيكَ ظاهرُهُ
وقد أطاعكَ من يَعْصيكَ مُستترا
اذا أرضاك ظاهر انسان ، فإنه يحترمك ، ودع باطن أمره له ، واذا قام بعصيانك في الخفاء ، فإنه يطيعك ، فلا تكثر البحث عنه •

٧٧١ ــ لقد ترجُو فيعسرُ ما ترَجِّي
عليكَ وينجعُ الأمرُ العسيرُ
قد يصعب تحقيق الرجاء ، وقد يتيسر الأمل الذي كان عسيرا •

٧٧٢ ــ لكلِّ امرئٍ شِعبٌ من القلبِ فارغٌ
وموضعُ نجوى لا يرامُ اطلاعُها
لكل صديق من أصدقائي مكان في قلبي ، لا يحله غيره ، ومكان لسره لا يطلع عليه أحد •

٧٧٣ ــ لكل امرىءٍ في الخيرِ والشرِّ عادةٌ
وكل امرىءٍ جارٍ على ما تعوّدا
الخير والشر عادة ، ولكل امرىء ما تعود •

٧٧٤ ــ لكل داءٍ دواءٌ يُستَطبُّ به
إلا الحماقةَ أعيتْ من يُداويها
لكل داء دواء الا الحماقة •

٧٧٥ ــ لكل ناعٍ ذاتَ يومٍ ناعي
وإنما السّعيُ بقدْرِ السّاعي
ناعي الموتى لا بد له من يوم يُنعى هو فيه ، ولكل ساع ما بذل من سعي •

٧٧٦ ــ لِلبكاءِ النساءُ عندَ الرزايا
ولحسنِ العزاءِ فيها الرّجالُ
النساء يُحسنَّ البكاء عند المصائب ، والرجال يحسنون العزاء والتصبر •

٧٧٧ ــ للحقِّ عاقبةٌ ترْجى وتُنتَظرُ
وفي الليالي وفي الأيامِ مُعْتَبَرُ
عاقبة الحق مرْجوة منتظرة ، وفي الأيام والليالي عبرة لمن يعتبر •

٧٧٨ ــ للهِ أسرارٌ مع التدبيرِ
يَحارُ فيها بَصَرُ البَصيرِ
لله أسرار في تدبيره لخلقه لا يعرفها البصير •

٧٧٩ ــ للهِ درُّ الشّيبِ مِنْ واعظٍ
وناصحٍ لو قُبِلَ الناصحُ
ما أحسن مواعظ الشيب لو وجدت من يستمع اليها •

٧٨٠ ـ لمْ أرَ شيئاً صادقاً نَفْعُهُ
للمرءِ كالدِّرهمِ والسيفِ
أنفع الأشياء للانسان اثنان : المال والقوة •

٧٨١ ـ لما تؤذنُ الدنيا به مِنْ صُروفِها
يكونُ بكاءُ الطّفلِ ساعةَ يُولد
يولد الطفل ، حين يولد ، وهو يبكي ، لأنه يعرف سلفاً ما سوف يلقى من مصائب الحياة •

٧٨٢ ـ لِمنْ تطلبُ الدنيا اذا لم تُرِدْ بها
سرورَ مُحِبٍّ أو إساءةَ مُجْرِمِ
لماذا تطلب المال اذا كنت لا تريد أن تسر محبيك وأصدقاءك وأن تسوء منغصيك وأعداءك •

٧٨٣ ـ لم يأتِ بالأخبارِ كالخبيرِ
قد يُخْبِرُ الطّرفُ عَنِ الضميرِ
الخبيرأعلم الناس بالأخبار ، والعين تظهر ما في القلب •

٧٨٤ ـ لم يبق شيءٌ مِنَ الدنيا تُسَرُّ به
غيرُ الدفاترِ فيها الشعرُ والسَّمَرُ
لم يبق لي ما يسرني غير كتبي أقرأ فيها الأشعار والأخبار •

٧٨٥ ـ لم يجتمع جمعٌ لغيرِ بَيْنِ
لفرقةٍ كلٌّ اجتماعُ اثنينِ
كل اثنين مجتمعين لا بد أن يتفرقا •

٧٨٦ ـ لَوَ أنَّ الأمرَ مُقبِلُه جَلِيٌّ
كَمُدْبِرِهِ لما عَمِيَ البصيرُ
لو كنا نعرف عواقب الأمور كما نعرف ما مضى منها لم نخطىء •

٧٨٧ ـ لوْ أنَّ منْ قالَ : نارٌ أحرقَتْ فمه
لما تَفوَّهَ باسمِ النارِ مَخلوقُ
ليس من ينطق بلفظ (نار) يحرق لسانه ، والا لما تفوه بها أحد •

٧٨٨ ـ لوْ فَكَّرَ العاشقُ في منتهى
حُسْنِ الذي يَسْبيهِ لمْ يَسْبِهِ
لو عرف العاشق كيف يصبح معشوقه في القبر جثة هامدة لما عشقه •

٧٨٩ ـ لوْ كانَ يُمْكنني سفَرْتُ عنِ الصِّبا
فالشيبُ مِن قبلِ الأوانِ تَلَثُّمُ
أنا شاب ، وقد عاجلني الشيب ، ولكني ما أزال أتمتع بقوة الشباب ، والشيب قبل أوانه مثل اللثام الذي يستر وجهك •

٧٩٠ ـ لوكان لي أو لغيْري قدْرُ أنْملة
فوقَ التّرابِ لكانَ الأمرُ مُشْتَرَكا
لو كان للناس حبة تراب من الارض التي يسكنونها ، ظننت أنهم مشتركون في ملكها ، ولكن الناس يذهبون والأرض تبقى ، وليست ملكاً لأحد •

٧٩١ ـ لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورت
ما كانَ يُعرفُ طيبُ عَرفِ العودِ
لا تعرف فضيلة المحسود الا بلسان الحاسد ، كما لا تعرف رائحة العود الطيبة الا بعد احراق العود •

٧٩٢ ــ لولا العقولُ لكانَ أدنى ضيغمٍ
أدنى الى شــرَفٍ من الانسانِ
لو كان الشرف للقــوة البدنية لا للعقــل لكان الأسد أشرف من الانسان •

٧٩٣ ــ لو لا المشقّةُ سادَ الناسُ كلُّهُمُو
الجُود يُفقرُ والإقدامُ قتّالُ
لو لا الجهد والتعب في طلب المجد لأصبح الناس جميعا سادة ، ولكن للمجد تكاليف وأعباء فان الكرم يفقر صاحبه، وان الشجاعة تقتل ربها •

٧٩٤ ــ لو نظرَ الناسُ الى عَيْبِهِمْ
ما عــابَ إنسانٌ على النــاسِ
لو نظــر كل انسان الى عيبــه لم يعب انسان انسانا •

٧٩٥ ــ ليالي بَعْدُ الظاعنينَ شُكُولُ
طِوالٌ وليلُ العاشقينَ طويلُ
لقد بعد أحبابي عني فأصبحت لياليَّ على شكل واحد في طولها وأرقها وعذابها ، وليــل العاشق طــويل •

٧٩٦ ــ ليسَ الجمالُ لوجهٍ صحَّ مارنُه
أنفُ العزيزِ بِقَطْعِ العِزِّ يُجتدَعُ
ليس الجمال بجمال الأنوف ، فرب عزيز قطع أنفه ،أنفةً من الذل والضيم •

٧٩٧ ــ ليسَ الحجابُ بمُقْصٍ عنكَ لي أملاً
إنَّ السماءَ تُرجّى حينَ تَحتجِبُ
لقد حجبت نفسك عني فلم أرك ، ولكن أملي لم ينقطع منــك والسماء يرجى مطــرها وخيرها حين تحجبها الغيوم •

٧٩٨ ــ ليسَ الغبيُّ بسيّدٍ في قومِه
لكِنَّ سيدَ قومِه المُتَغابي
الغبي لا يكون سيدا ، ولكن المتغابي عن هفوات أهله وقومه ، هو السيد •

٧٩٩ ــ ليسَ اللئيمُ تَزِينُه أثوابِه
كالميتِ ليسَ تَزِينُه الأكفانُ
لا تزين اللئيم أثوابُه ، كما لا تزين الميت أكفــانه •

٨٠٠ ــ ليسَ بالسِنِّ تُستحَقُّ المَنايا
كم نجا بازلٌ وعُوجِلَ بَكْرُ
ليس تقــدم الانسان في سنه هــو الذي يميته ، فكم عاش العجوز ومات الشاب •

٨٠١ ــ ليسَ بعلمٍ ما يقي القِمَطْرُ
ما العِلمُ إلا ما وَعاهُ الصَدْرُ
العلم في الصدور لا في السطور القمطر : الكتاب والدفتر •

٨٠٢ ــ ليسَ على اللهِ بِمُسْتَنْكَرٍ
أنْ يَجمعَ العالَمَ في واحِدِ
رب انسان واحــد كأنه الناس كلهم ، في علمه وفضله وكرمه ، وليس ذلك على الله بكثير •

٨٠٣ ــ ليسَ للحاجاتِ إلا
مَنْ لَهُ وَجْهٌ وقاحُ
لا يدرك حاجاته الا الوقح الملحاح •

٨٠٤ ــ ليسَ لِمَنْ ليستْ له حيلةٌ
إلا عزاءُ النفسِ بالصّبْرِ
مــن لــم يستطع تحقيق أمــله تعــزى عنــه بالصبر •

٨٠٥ ــ لئنْ كنتُ محتاجاً الى الحِلم إنني
الى الجهلِ في بعضِ الأحايين أحْوَجُ
أنا محتاج الى الحلم والعقل في أكثر الأحيان ، ولكني أحتاج الى الجهل والطيش في بعض الأحيان ، حسب من أعامل من الناس •

حرف الميم

٨٠٦ ــ ما أحسنَ الدّينَ والدنيا إذا اجتمعا
وأقبحَ الكفرَ والإفلاسَ بالرَّجلِ
ما أحسن أن يكون الانسان جامعا بين الدين والدنيا وما أقبح أن يجمع بين الكفر والفقر •

٨٠٧ ــ ما أحسنَ العفوَ من القادرِ
لا سيّما عن غيْرِ ذي ناصرِ
ما أحسن القادر الذي يعفو ولا سيما عن الضعيف الذي ليس له من ينصره •

٨٠٨ ــ ما أخدعَ الدنيا لِكلِّ عاقلِ
ما أصرعَ الدنيا لِكلِّ جاهلِ
الدنيا تخدع العاقل وتهلك الجاهل •

٨٠٩ ــ ما أرسلَ الإنسانُ في حاجةٍ
أمضى ولا أنجعَ مِنْ درهمِ
أحسن رسول يرسله الانسان لقضاء حاجته ، هو الدرهم •

٨١٠ ــ ما أعجبَ الدهرَ ومِنْ عجائبِهْ
تَقلّبُ الإنسانِ في قوالِبِهْ
الدهر عجيب ، وأعجب ما فيه تقلب أحواله •

٨١١ ــ ما أقطعَ الآجالَ للآمالِ
وأسرعَ الآمالَ في الآجالِ
الموت يقطع الأمل ، والامل يقرب الأجل •

٨١٢ ــ ما الذي عِنْدَهُ تدارُ المنايا
كالذي عندَهُ تدارُ الشَّمولُ
ليس الرئيس الذي يحارب ويدير كؤوس الموت ، مثل الرئيس الذي يلهو ويدير كؤوس الخمر •

٨١٣ ــ ما الناسُ إلا مَعَ الدنيا وصاحبِها
فكيفما انقلبتْ يَوماً به انقلبُوا
الناس أصدقاء من كانت الدنيا معه فاذا انصرفت عنه ، انصرفوا عنه •

٨١٤ ــ ما إن يضرُّ العَضْبَ كونُ قرابِهِ
خَلَقاً ولا البازِي حقارةُ عُشّهِ
لا يضر السيف القاطع أن يكون غمده بالياً ، ولا يضر النسر القوي أن يكون عشه حقيرا •

٨١٥ ــ ما أولعَ النفسَ بسوءِ الظنِّ
ما أسرعَ النفسَ الى التَّمَنّي
النفس مولعة بسوء الظن بالناس ، والنفس سريعة الى الأماني والأحلام •

٧١٦ ــ ما بالُ عِرضِكَ ترضى أن تدنّسَهُ
وثوبُ جلدِكَ مغسولٌ مِنَ الدنسِ
لماذا ترضى بدنس شرفك ، وثوبك نظيف لا دنس فيه •

٨١٧ ــ ما تنقضي حسرةٌ مني ولا جزَعُ
إذا ذكَرْتُ شباباً ليسَ يُرْتَجعُ
لا أذكر شبابي الذي ذهب ولن يعود الا تحسرت عليه •

٨١٨ ــ ما حَكَّ جلدَكَ مثلُ ظُفْرِكْ
فتَوَلَّ أنتَ جميعَ أمرِكْ
لا يحك جلدَك غيرُ ظفرك ، فقم أنت بكل أعمالك •

٨١٩ ــ ماذا لقيتُ من الدّنيا وأعجبُه
أنّي بما أنا باكٍ منه مَحْسودُ
لم ألق من الدنيا غير الشر ، ومع ذلك فالناس يحسدونني على ما أشكو منه •

٨٢٠ ــ ما ذاقت النفسُ على شهوةٍ
ألذَّ مِنْ وُدِّ صديقٍ أمينْ
أطيب اللذات صداقة صديق مخلص •

٨٢١ ــ ما ضَرَّني حسدُ اللئامِ ولم يزَلْ
ذو الفضلِ يَحْسُدُهُ ذَوو التقصيرِ
لا يضرني حسد اللئام لي ، فالفاضل دائما يحسده الناقص •

٨٢٢ ــ ما طابَ فرعٌ أصلُه خَبيثُ
ولا زَكا مَنْ مَجْدُهُ حَديثُ
لا يطيب الفرع اذا كانت الشجرة خبيثة ، وكل حديث الغنى والمجد لا يسمو ولا يرتفع •

٨٢٣ ــ ما طابَ فرعٌ لا يطيبُ أصلُه
حَمى مؤاخاةَ اللئيمِ فِعْلُهُ
لا يطيب فرع أصله غير طيب ، وأنت لا تصادق اللئيم لأنك ترى ما يفعل •

٨٢٤ ــ ما طارَ طيرٌ فارتفعْ
إلا كما طارَ وَقَعْ
مهما ارتفع الطير فلا بد له من الوقوع ، ومهما علا الجبل فلا بد أن ينخفض •

٨٢٥ ــ ما عوّضَ الصبرَ امرؤٌ إلا رأى
ما فاته دونَ الذي قَدْ عوّضا
اذا كان الانسان متمتعا بالصبر وجده عوضاً له عن كل ما فاته تحقيقه •

٨٢٦ ــ ما كلُّ قولٍ لهُ جوابٌ
جَوابُ ما يُكْرَهُ السّكوتُ
قد يبقى الكلام دون جواب ، وجواب السخيف السكوت عنه •

٨٢٧ ــ ما كلُّ ما يَتمنّى المرءُ يدركُه
تجري الرياحُ بما لا تشتهي السّفُنُ
لا يدرك الانسان كل ما يتمنى كما أن السفن لا تلائمها الرياح على الدوام •

٨٢٨ ــ ما كلُّ مَن طلبَ المعاليَ نافذاً
فيها ولا كلُّ الرّجالِ فُحولا
ما كل من طلب المجد ناله ، وليس كل الرجال أبطالا •

٨٢٩ ــ ما كنتُ أُوفي شبابي كُنْهَ عزّته
حتى انقضى فاذا الدنيا لهُ تَبَعُ
ما كنت أعرف قيمة شبابي حتى فقدته ، ففقدت عند فقده كل مسرات الدنيا •

٨٣٠ ــ ما لِلرّجالِ وللتّنَعّمِ إنّما
خُلقوا ليوم كريهةٍ وكفاحِ
لا يليق بالرجال التمتع بحياة الترف والنعيم ، فهم خلقوا للنضال والكفاح •

٨٣١ ــ ما لم يضقْ خُلُقُ الفتى
فالأرضُ واسعةٌ عليه
اذا لم يضق أمل الفتى وصدره ، فالدنيا واسعة ، والارض كبيرة •

٨٣٢ ــ ما وهبَ اللهُ لامرئٍ هِبةً
أشرفَ مِن عقلِه ومنْ أدَبِه
أحسن هبات الله للانسان : العقل والأدب •

٨٣٣ ــ ما يكونُ الأمرُ سهلاً كلُّه
إنما الدنيا سُهولٌ وحُزونُ
ليست الحياة كلها سهلة ، بل فيها السهل والصعب •

٨٣٤ ــ متى تردِ الشفاءَ لكلِّ غَيْظٍ
تَكُنْ مما يغيظُكَ في ازدِيادِ
اذا أردت أن تشفي نفسك من كل من يغيظك ظللت في غيظ دائم •

٨٣٥ ــ متى تضعِ الكرامةَ في لئيمٍ
فإنك قدْ أسأتَ الى الكَرامَه
اذا أكرمت اللئيم أهنت الكرامة •

٨٣٦ ــ متى ما تقدْ بالباطلِ الحَقَّ يأْبَهُ
وإن تَقُدِ الأطوادَ بالحق تَنْقَدِ
الحق لا ينقاد بالباطل ، وتنقاد للحق الجبال •

٨٣٧ ــ مجدي أخيراً ومجدي أولاً شرَعٌ
والشمسُ رأدَ الضحى كالشمسِ في الطَّفَلِ
مجدي في شبابي مثل مجدي في شيخوختي ، والشمس عند الصباح مثل الشمس عند المساء •

٨٣٨ ــ مُحَسَّدٌ بخلالٍ فيه فاضلةٍ
وليسَ تَفترقُ النعماءُ والحسَدُ
هذا الرجل محسود لأنه فاضل ، والفضل مقترن بالحسد •

٨٣٩ ــ مِحنُ الزمانِ كثيرةٌ لا تنقضي
وسرورُهُ يأتيكَ كالأعيادِ
مصائب الزمان لا تنتهي ، وأفراح الزمان تأتي بين حين وحين كالأعياد •

٨٤٠ ــ مدحتُكَ مِدْحةَ السيفِ المُحَلّى
فلما أنْ ضَرَبْتُ بكِ انثنيتا
مدحتك كما أمدح السيف ، ولكنك وياللأسف لم تستحق المديح ، فكنت كالسيف لما ضربت به نبا •

٨٤١ ــ مَسَرَّةُ الدنيا الى تنغيصٍ
ورُبَّما أكْدَتْ يدُ الحَريصِ
عاقبة السرور الكدر ، والحريص ربما أوقعه حرصه •

٨٤٢ ــ مطالبُ الخيرِ جميعاً سَهْلَه
والخيرُ لا يَطْلُبُ إلاّ أهْلَه
عمل الخير سهل ، وله أهل •

٨٤٣ ــ مُلْتَمِسُ الحمد بأعمالِ الكَذِبْ
كمُخرجِ الحكمةِ من قلبٍ خَرِبْ
من طلب حمد الناس له بالباطل ، مثل من يطلب الحكمة من المجنون •

٨٤٤ ــ مَلِكٌ تسوسُ له المكارمُ نفسَهُ
والمجدُ حُسْنُ سياسةِ النَّفسِ
هذا الملك تقوده نفسه الى فعل المكرمات ، ولا ينال المجد الا بحسن سياسة النفس •

٨٤٥ ـ مَنْ أبرم الأمرَ بلا تدبيرِ
صَيَّرَهُ الدّهرُ الى تَدْميرِ
من طلب أمراً دون تدبير ولا وعي أصابه الدمار .

٨٤٦ ـ مَنْ أجابَ الهوى الى كلِّ مايد
عو اليه داعيه ضَلَّ وتاها
من أجاب هواه ضلّ .

٨٤٧ ـ منْ أطاق التماسَ شيءٍ غِلاباً
واغْتصاباً لمْ يلتَمِسْهُ سؤالا
من استطاع أن يحقق أمانيه غضبا وحربا ، لم يطلبها سلاما وتوسلا .

٨٤٨ ـ مَن استنامَ الى الأشرارِ نامَ وفي
قميصه منهُمو صِلٌّ وثُعبانُ
من أمن الأشرار كان كمن ينام وفي ثيابه الأفاعي .

٨٤٩ ـ مَن اشتكى الدهرَ أطالَ الشكوى
والدهرُ ما لَيْسَ عليه عَدْوى
لا فائدة من شكوى الدهر ، فليس له من ينصرك عليه .

٨٥٠ ـ مِنَ الحِلم أنْ تستعملَ الجهلَ دونَه
اذا اتسعَتْ في الحِلم طُرْقُ المظالمِ
قد تضطر الى استعمال الجهل بدل الحلم ، اذا كان الحلم يوقعك في الظلم .

٨٥١ ـ منَ القليلِ يُجْمَعُ الكثيرُ
ربَّ صغيرٍ قَدْرُهُ كبيرُ
الكثير يأتي من القليل ، والصغير له قيمة كبرى .

٨٥٢ ـ من الناسِ من يغشى الأباعدَ نفعُه
وتَشْقى به حتى المماتِ أقاربُهْ
من الناس من يشقى به الأقارب ويسعد به الأجانب .

٨٥٣ ـ منْ أمِنَ الدهرَ أُتي منْ مأمَنِهْ
لا تستثِرْ ذا لُبَدٍ مِن مَكْمَنِهْ
اذا أمنت الدهر أصابك من موضع أمنك ، واذا كان الليث رابضا في عرينه ، فلا تثُرْهُ ولا تهيِّجْهُ .

٨٥٤ ـ من جادَ بالمالِ مالَ الناسُ قاطبةً
اليه والمالُ للإنسانِ فَتّانُ
من جاد بالمال مال اليه الناس ، فالمال يفتن الانسان .

٨٥٥ ـ من راقبَ الناسَ لم يظفرْ بحاجته
وفازَ بالطيباتِ الفاتكُ اللَّهِجُ
من راقب الناس لم يحقق آماله ، ومن كان فاتكاً مُصرا على مطالبه فاز بالطيبات .

٨٥٦ ـ مَن راقبَ الناسَ ماتَ غماً
وفازَ باللذةِ الجَسُورُ
من راقب الناس قتله غمه ، والجسور يفوز بما يرجوه .

٨٥٧ ـ من سألَ الناسَ تجنّبوهُ
ولمْ يُواسوه وخيَّبوهُ
من سأل الناس ملّوه وتركوه .

٨٥٨ ـ من سالمَ الناسَ يَسلَمْ منْ غوائلِهِمْ
وعاشَ وَهْوَ قريرُ العينِ جَذْلانُ
من سالم الناس سلم .

٨٥٩ ـ منْ شابَ قدْ ماتَ وهْوَ حَيٌ
يمشي على الأرضِ مَشيَ هالِكِ
من شاب مات وان كان حياً .

٨٦٠ ـ من عفَّ خفَّ على الصديق لِقاؤه
وأخو الحوائج وَجْهُه مَعْلولُ
من عف خف على قلوب الاصدقاء ، ومن ألح في طلب الحاجات مله الناس .

٨٦١ ـ مَنْ فـاته وُدُّ أخٍ صادقٍ
فذلكَ المغبونُ حـقَّ اليَقينْ
من لم يكن له أخ صادق فهو خاسر حقا .

٨٦٢ ـ من قاسَ ما لم يَرَه بما رأى
أراه ما يَدْنـو اليـه ما نـأى
من قاس ما لا يراه مـن الامور بما رآه منهـا رأى البعيد قريبا ، وحكم على المستقبل بالمـاضي .

٨٦٣ ـ من قنعَ استغنى ولاقى حَظّا
ولـم يَخَفْ لائمـةً ووَعْظا
من قنـع استغنى عن الناس ولم يلمـه أحـد .

٨٦٤ ـ من كانَ فوقَ مَحلِّ الشمسِ موضعُه
فليسَ يَرفعُه شيءٌ ولا يَضَعُ
من كان شريفا ، مثل الشمس ، لم يرفعه أحـد ولم يخفضه أحـد .

٨٦٥ ـ من كانَ للخيرِ منّاعاً فليسَ له
على الحقيقةِ إخوانٌ وخِلاّنُ
من منع خـيره لم يجـد صديقا .

٨٦٦ ـ من كان للعقلِ سلطانٌ عليه غَدا
وما على نفسِه للحِرْصِ سُلطانُ
مـن حكم عقله لـم تسيطر عليـه نفسه ولا حرصها .

٨٦٧ ـ من كانَ مرعى عَزمِه وهمومِه
روضَ الأماني لم يزَلْ مَهْزولا
من رعى الأماني الكاذبة عاش هزيلا .

٨٦٨ ـ من لاحَ في عارضِه القتـيرُ
فقـدْ أتـاهُ بالبِلى نَذيـرُ
من لاح الشيب في عذاره كان نذيرا له بفنائه .

٨٦٩ ـ منْ لَسَعته حَيَّةٌ مَـرةً
تـراهُ مذعوراً مِنَ الحَبْـلِ
من لدغته الحية خاف من الحبـل .

٨٧٠ ـ منْ لكَ بالمحضِ وليسَ محضُ
يَخبُثُ بعضٌ ويطيبُ بعضُ
أين الانسان المبرأ من كـل عيب ؟ انـه لا وجود له ، فالانسان خبيث حينا وطيب حينا .

٨٧١ ـ منْ لكَ يوماً بأخيكَ كُلّهِ
من لم تجـدْهُ هكذا فَخَلّهِ
هل تستطيع أن تملك أخاك كلـه ؟ اذا استطعت فتمسَّكْ به وان لم تستطع فاتركه .

٨٧٢ ـ منْ لم تُفدْهُ عِبَراً أيامُهُ
كانَ العمى أولى بهِ منَ الهُدى
من لم يعتبر بحوادث الزمان كان أعمى .

٨٧٣ ـ منْ لمْ يعظْهُ الدهرُ لم يَنفعْهُ ما
راحَ بـه الواعظُ يوماً أوْ غدا
من لم يعظـه الدهر لم يعظـه الناس .

٨٧٤ ـ من لمْ يقِفْ عند انتهاءِ حَدِّهِ
تقاصرتْ عنه فسيحاتُ الخُطا

من لم يقف عند حده ضاقت به خطاه .

٨٧٥ ـ من لم يكنْ عقلُه يؤدِّبُهُ
لم يُغنه واعِظٌ منَ الأدبِ

من لم يؤدبه عقله لم يؤدبه الناس .

٨٧٦ ـ من لم يواسِ الناسَ من فَضْلِه
عَرَّضَ للإدبارِ إقبالَهُ

من لم يعن الناس بفضله وماله أدبر حظه منهم بعد الاقبال .

٨٧٧ ـ مَنْ لم يؤدبْهُ والداه
أدَّبَهُ الليلُ والنهارُ

من لم يؤدبه أبوه وأمه أدبه الدهر بأيامه ولياليه .

٨٧٨ ـ من ماتَ فاتَ وفي المقابرِ يستوي
تحتَ الترابِ شريفُه ووضيعُه

من مات فات ، والناس يتساوون في المقابر سواء أكانوا شرفاء أم ضعفاء ،أغنياءأم فقراء .

٨٧٩ ـ من ناطَ بالعُجْبِ عرى أخلاقه
نيطتْ عُرى المقتِ الى تلكَ العُرى

من عجب بأخلاقه مقته الناس .

٨٨٠ ـ من يحتفرْ حفرةً يوماً سينزلها
فإن حفرتَ فوَسِّعْ حينَ تحتفرُ

من حفر حفرة وقع فيها .

٨٨١ ـ مَن يُخبِّرْكَ بشتمٍ عنْ أخٍ
فهو الشاتمُ لا مَنْ شَتَمَكْ

شتمك من بلغك الشتيمة .

٨٨٢ ـ من بَرَّ يوماً بُرَّ بهِ
والدَّهرُ لا يُغتَرُّ بهِ

من بر الناس بره الناس ، فلا تغتر بالدهر .

٨٨٣ ـ من يزرعِ الشرَّ يحصدْ في عواقبِهِ
ندامةً ولحصدِ الزّرعِ إبانُ

من يزرع الشر يحصد الندامة ، ولكل زرع حصاد .

٨٨٤ ـ من يزرعِ المعروفَ يحصُدْ مارضِي
لكلِّ شيءٍ غايةٌ ستنقضي

من يزرع المعروف يحصد المعروف ، ولكل شيء نهاية .

٨٨٥ ـ من يستعن بالرفقِ في أمرِه
يَستخرجِ الحيةَ من وَكرِها

من ترفق في اموره استطاع أن يخرج الحية من وكرها بالحيلة والدهاء .

٨٨٦ ـ من يعرفِ الشمسَ لا يُنكرْ مطالعَها
أو يجهلِ الخيلَ لا يستكرمِ الرَّمكا

من يعرف الشمس لا ينكر جمالها عندما تشرق ، ومن طلب الخيل الكريمة بحث لها عن أب كريم وأم كريمة .

٨٨٧ ـ من يكشفِ الناسَ لا يجدْ أحدا
تصحّ منهُ لهُ سرائرُهُ

من عرف الناس لم يجد فيهم من هو صافي الضمير .

٨٨٨ ـ من يلدغِ الناسَ يجدْ منْ يلدغُهْ
لا يعدمُ الباطلُ حقاً يدْمَغُهْ

من أساء الى الناس أساء اليه الناس ، ولا بد للحق أن يدفع الباطل وأن ينتصر عليه .

٨٨٩ ـ من يَهُنْ يسهل الهوانُ عليه
ما لجرحٍ بميّتٍ إيلامُ
من كان ذليلا سهل عليه الذل ، فهو مثل الميت لا تؤلمه الجراح •

حرف النون

٨٩٠ ـ نافسْ على الخيراتِ أهلَ العلا
فإنّما الدنيا أحاديثُ
احرص على فعل الخير ونافس عليه أهل الخير ، فستبقى لك الذكرى في الدنيا ، والدنيا أحاديث وأخبار •

٨٩١ ـ نُبّئتُ عَمْراً غيرَ شاكرِ نعمتي
والكفرُ مَخْبثةٌ لنفسِ المُنعمِ
علمت أن (عمراً) يكفر احساني ، وكفر النعمة يعكّر نفس المحسن ، ويعقدها •

٨٩٢ ـ نحن بنو المَوتى فما بالُنا
نعافُ ما لا بُدَّ من شُرْبِهِ
نحن أبناء الموت فلماذا نخاف شرب كأسه ، وهو مما لا فرار منه •

٨٩٣ ـ نذمُّ زمانَنا والعيبُ فينا
ولو نَطَقَ الزمانُ إذاً هجانا
نحن نذم الأيام والعيب فينا لا فيها ، ولو تكلمت الايام لذمتنا وهجتنا كما نذمها ونهجوها •

٨٩٤ ـ نروحُ ونغدو لحاجاتِنا
وحاجاتُ من عاشَ لا تَنقضي
نحن نسعى في طلب حاجاتنا في الليل والنهار وحاجات الانسان لا تنتهي ما دام حيا •

٨٩٥ ـ نسيبُكَ من ناسبتَ بالوُدّ قلبَه
وجارُكَ مَن صافيتَ لا مَنْ تُصاقبُ
قريبك من قرب قلبه من قلبك ، وجارك من صفى لك وده لا من جاورك في دارك •

٨٩٦ ـ نَسعى وأيسرُ هذا السعي يكفينا
لو لا تَطَلّبُنا ما ليسَ يَعنينا
نحن نكد ونسعى دون هوادة ، لأننا نطلب أشياء كثيرة منها الضروري ومنها ما نستغني عنه ، ولو اكتفينا بالقليل كفانا العمل المعقول •

٨٩٧ ـ نظلُّ نفرحُ بالأيامِ نَقطعُها
وكلُّ يوم مَضى يُدني من الأجلِ
نحن نفرح بالأيام التي تمر بنا ، وكل يوم منها يقربنا من القبر ويبعدنا عن يوم الولادة •

٨٩٨ ـ نعمَ الصديقُ صديقٌ لا يُكلّفنا
ذبحَ الدجاجِ ولا شيَّ الفراريجِ
نعم الصديق الذي لا يكلفك شيئاً ، يأتي الى زيارتك شبعان فلا تطعمه ، وريّانَ فلا تسقيه •

٨٩٩ ـ نعمَ المعينُ على المُروءةِ للفتى
مالٌ يصونُ عن التبَذُّلِ نفْسَهُ
المال يعين الفتى على أعمال الخير والمروءة ، ويصون كرامته ، فنعما هو •

٩٠٠ ـ نعمْ دعتِ الدنيا الى الغدرِ دعوةً
أجابَ اليها عالمٌ وجهولُ
لقد دعت الدنيا الناس الى الغدر ، فأجابها العالم والجاهل ، وأصبح الناس كلهم غادرين •

٩٠١ ــ نفسُ عِصام سوَّدَتْ عِصاما
وعلمتْهُ الكَرَّ والإقداما

عصام هو الذي سَوَّد نفسه وعلمها الشجاعة والاقدام ــ العصامية : الاعتماد على النفس في بناء الانسان لمستقبله .

٩٠٢ ــ نُقدِّرُ الأمرَ ولسنا ندْري
أنَّ المقاديرَ علينا تجري

نحن نقدر الامور والأقدار تقدرها لنا ونحن لا ندري .

٩٠٣ ــ نَقِّلْ فؤادكَ حيثُ شئتَ منَ الهوى
ما الحبُّ إلا للحبيبِ الأولِ

أحب من شئت فالحب لا يبقى خالصا الا للحبيب الأول .

٩٠٤ ــ نامَ وما ليلُ المَضيمِ بنائمٍ
وقد تَرقدُ العينانِ والقلبُ ساهرُ

لا ينام المظلوم على ظلمه ، فاذا نامت عيناه ظل قلبه ساهرا ، يفكر في دفع الضيم عنه .

٩٠٥ ــ نهارٌ يزول وليلٌ يَكُرّ
كذاكَ الزمانُ علينا يمُرّ

هكذا تمضي الحياة : نهار يمضي وليل يأتي .

٩٠٦ ــ نهيْتكَ لا تعجلْ بِعَتبٍ لصاحبٍ
لعلَّ له عُذراً وأنتَ تلومُ

لا تعجل بعتاب صاحبك ، فلعلك تلومه وهو معذور .

حرف الهاء

٩٠٧ ــ هَبِ الفتى نالَ أقصى ما يؤمّلُه
أليسَ راعي المنايا خَلْفَه حُطَمُ

مهما عاش الانسان ومهما حقق آماله فالموت في انتظاره .

٩٠٨ ــ هجَوْتُ زهيراً ثم إنّي مدحتُه
وما زالتِ الأشرافُ تُهجى وتُمْدَحُ

لقد هجوت صديقي زهيرا دون حق ثم مدحته بحق ، والأشراف يُهجَوْن ويُمْدحون .

٩٠٩ ــ هذا زمانٌ ألحَّ الناسُ فيه على
زهْوِ الملوكِ وهِماتِ المساكينِ

نحن نعيش في زمن يحرص فيه الملوك على أبهة الملك ولكن همتهم همة الضعفاء .

٩١٠ ــ هل الحياةُ لذي الدنيا ولوْ عَذُبَتْ
الا كطيف خيالٍ في الكرى زارا

الحياة مثل الحُلُم .

٩١١ ــ هل الدهرُ إلا ضيقةٌ وانكشافُها
وَشيكا وإلا شدةٌ وانفراجُها

الحياة ضيق يتسع وشدة تنفرج .

٩١٢ ــ هل الدّهرُ الا ساعةٌ ثم تنقضي
بما كانَ فيها من بَلاءٍ ومن خَفْضِ

الحياة ساعة تنتهي بما كان فيها من فقر وغنى .

٩١٣ ــ هل بالحوادثِ والأيامِ منعَجَبِ
أم هلْ الى رَدّ ما قدْ فاتَ منطلبِ

لا عجب في حوادث الايام وليس لما مضى عودة .

٩١٤ ــ هما رضيعا لَبانٍ : حكمةٌ وتقى
وساكنا وَطَنٍ : مالٌ وطغيانُ

الحكمة والتقى أخوان والمال والطغيان جاران •

٩١٥ ــ هما سيانِ من مُلْكٍ ونُسْكٍ
ينيلانِ الفتى شَرَفاً رَفيعا

يتساوى الملك والنسك اذا وصل الانسان بواحد منهما الى الشرف أو المجد •

٩١٦ ــ همو لأموالِهِم ولَسْنَ لَهُمْ
والعارُ يبقى والجُرحُ يَلْتَئِمْ

يعيش هؤلاء الناس ليجمعوا المال ، فهم ملك للمال وليس المال ملكاً لهم ، وسيبقى عليهم العار ، أما حاجات الناس اليهم فستذهب•

٩١٧ ــ هيَ المقاديرُ فلُمْني أو فَذَرْ
إن كنتُ أخطأتُ فما أخطأَ القَدَرْ

لمني ان شئت أو لا تلمني ، فأنا بذلت جهدي فأخطأت الهدف وأصاب القدر •

٩١٨ ــ هو المالُ إن أمسكته أو بذلته
فحظُّكَ منه ما كفى الجوعَ والعُرْيا

مهما كنت غنيا فان حظك من غناك هو أن تأكل فلا تجوع ، وتلبس فلا تعرى •

٩١٩ ــ هَوِّنِ الأمرَ تَعِشْ في راحةٍ
قَلَّ ما هَوَّنْتَ الا سَيهونُ

هَوِّنْ عليك الأمور تسعد ، فليس شيء تهوّنه الا أصبح هيناً •

٩٢٠ــ هَوِّنْ عليكَ صروفَ الدهرِ والزَّمنِ
وعِشْ حميداً بلا هَمٍّ ولا حَزَنِ

هون عليك مصائب الزمان وعش سعيدا دون هم ولا حزن •

٩٢١ ــ هَوِّنْ عليكَ فإنَّ كلَّ شديدةٍ
إنْ لم تُشَدِّدْها عليكَ تَهونُ

هون عليك ما يحل بك من مصائب ، فكل شيء يهون اذا أنت لم تُهَوِّلْهُ •

٩٢٢ ــ هَوِّنْ عليكَ فليسَ كُلُّ
الناسِ يُعْطى ما يَوَدُّ

هون عليك عدم وصولك الى أهدافك فليس كل الناس ينالون آمالهم في الحياة •

٩٢٣ ــ هيَ الأيامُ من وَهْدٍ يُعَلّى
بأبنيةٍ ومن قَصْرٍ يُهَدُّ

هذه هي الحياة : أبنية تعلو وأبنية تتهدم •

٩٢٤ ــ هي الدنيا تقولُ بملءِ فيها
حذارِ حذارِ من بَطْشي وفتكي

الدنيا تصرخ بأعلى صوتها : احذروا بطشي •

٩٢٥ ــ هي المقاديرُ تجري في أعِنَّتها
فاصبرْ فليس لها صبرٌ على حالِ

الأقدار تجري كما تريد ، فاصبر لها فإنها لا تصبر على حال واحدة ، بل سرعان ما تتحول•

٩٢٦ ــ هي النفسُ ما حمَّلْتَها تتحمَّلُ
وللدهرِ أيامٌ تجورُ وتَعْدِلُ

النفس تحمل ما تُحمِّلُها من خير وشر ، والحياة أيام فيها الظلم وفيها العدل •

٩٢٧ ـ هيهاتَ يسلمُ من يبارزُ قِرنَه
يومَ اللقـاءِ على عثورٍ جامحٍ
مـن ركب مركبا عاثرا ، وفرساً جامحـاً
لا يستطيع أن يغلب عدوه في القتال .

٩٢٨ ـ هيهات يصبرُ دهرٌ عن تَنَقّلِهِ
يوماً بأهليه من حالٍ الى حالِ
لا يصبر الدهر على البقاء في حالة واحدة
ولكنه ينتقل من حـال الى حـال .

حـرف الـواو

٩٢٩ ـ وأتعبُ خلقِ اللهِ من زادَ هَمُّهُ
وقَصَّرَ عما تشتهي النفسُ وُجْدُهُ
أكثر الناس تعباً مـن كانت همته عاليـة
ووسائله لتحقيقها قليلة .

٩٣٠ ـ وأتعبُ من ناداكَ من لاتجيبُه
وأغيظُ مَنْ عاداكَ مَنْ لا تشاكلُ
أكثر الناس تعباً من اذا ناداك لم تجبـه ،
وأكثر الأعداء غيظاً لك من ليس في مستواك .

٩٣١ ـ وأخي أنتَ ولا تَنْفَعني
لا أخـاً للمرءِ إلاّ مَنْ نَفَعْ
تدعي أنك أخي ثم لاتساعدني ولا تنفعني،
والأخ من ساعد أخـاه .

٩٣٢ ـ وإذا أتتكَ مَذمّتي مِن ناقصٍ
فهيَ الشهادةُ لي بـأني كاملَ
اذا ذمني أمامك أحد الأوغاد ، فذَمّه لي
شهادة على شرفي وكمالي .

٩٣٣ ـ وإذا أرادَ اللهُ نشـرَ فضيلةٍ
طُويَتْ أتاحَ لها لسانَ حَسودِ
نشر فضيلة الرجل الفاضل الذي يكتـم
علمه وفضله منوط بلسان حاسد يحسده ويذمه
فيعرفه النـاس .

٩٣٤ ـ وإذا أرادكَ صاحبٌ بجفائِهِ
جَعَلَ التّجني للجفـاءِ سَبيلا
اذا أراد صاحب لك هجرك ظلمك وتجنى
عليك وادعى عليك ما لم تقل وما لم تفعل .

٩٣٥ ـ وإذا استوتْ للنملِ أجنحةٌ
حتّى يطيرَ فقدْ دَنـا عَطَبُهْ
اذا نبت جناح للنملة دنـا هلاكها .

٩٣٦ ـ وإذا افتقرتَ الى الذخائرِ لم تجدْ
ذُخراً يكونُ كصالحِ الأعمالِ
أفضل الذخائر والكنوز عمـل الخـير .

٩٣٧ ـ وإذا الحِلمُ لم يكن في طِباعٍ
لـم يُحَلِّمْ تقـدمُ الميـلادِ
اذا لم يكن الرجل مطبوعا على الحلم فلن
يصبح حليما وان تقدمت بـه السن وأصبـح
شـيخاً .

٩٣٨ ـ وإذا العنايةُ لاحظتْكَ عيونُها
نَمْ فالمخاوفُ كُلُّهُنَّ أمـانُ
اذا كان حظك كبيرا فلا تخش شيئا .

٩٣٩ ـ وإذا الكريمُ مضى وَولى عمرُه
كَفلَ الثناءُ لـهُ بعُمرٍ ثانِ
اذا مات الكريم كان الثناء عليـه عمـراً
ثانيـاً لـه .

٩٤٠ ــ وإذا امرؤٌ أسدى اليكَ صَنيعةً
مـن جاهِهِ فكأنّها مِنْ مـاله
اذا نفعك انسان بنفوذه فكأنه نفعك بماله •

٩٤١ ــ وإذا جهلتَ من امرىءٍ أعراقَه
وقديمَه فانظرْ الى ما يَصْنَعُ
اذا لم تعرف ماضي انسان وآباءه فالدليل على حسبه ما يصنع •

٩٤٢ ــ وإذا خامرَ الهوى قلبَ صَبٍّ
فعليهِ لكـلِّ عـينٍ دليلُ
اذا أحب الفتى ظهر حبه لكل العيون •

٩٤٣ ــ وإذا صَحّتِ الرويّةُ يومـاً
فسواءٌ ظَنّ امـرىءٍ وعِيانُه
اذا كان المرء ذكياً فاهماً فنظره وفطنته سواء في دلالته على الامور •

٩٤٤ ــ وإذا صفا لكَ من زمانِكَ واحدٌ
فهو المرادُ وعِشْ بذاكَ الواحدِ
اذا كان لك صديق واحد مخلص كفاك ، وأغناك عـن الناس جميعا •

٩٤٥ ــ وإذا طلبتَ الى كريمٍ حاجةً
فلقاؤهُ يكفيكَ والتسليمُ
اذا كانت لك حاجة عند كريم فيكفي أن تلقاه وتسلم عليه ليفهم حاجتك ويلبيها •

٩٤٦ ــ وإذا كانتِ النفوسُ كِباراً
تَعِبَتْ في مرادِها الأجسامُ
اذا كانت نفس المرء عظيمة تعب جسده وهـزل •

٩٤٧ ــ وإذا كانَ في الأنابيب خُلْفٌ
وقعَ الطيشُ في صدورِ الصِّعادِ
اذا كانت قناة الرمح معوجة كان سنانه معوجـاً •

٩٤٨ ــ واذا لم تجدْ من الناسِ كُفُؤاً
ذاتُ خِدْرٍ تَمَنّتِ الموتَ بَعلا
اذا لم تجـد المرأة الشريفة زوجاً يماثلها في الشرف رأت الموت خير بعل لهـا •

٩٤٩ ــ واذا لم يكنْ من الموتِ بُدٌّ
فمنَ العجْزِ أنْ تموتَ جَبانا
اذا كان الموت لا بد منه فلا تمت جبانا •

٩٥٠ ــ واذا ما خلا الجبـانُ بأرضٍ
طلبَ الطعنَ وحـدهُ والنّزالا
اذا خـلا الجبان في أرض صاح يطلب القتـال •

٩٥١ ــ واذا هممتَ بأمرِ سوءٍ فاتئدْ
وإذا هممتَ بأمرِ خـيرٍ فافعلِ
اذا هممت بالسـوء فتـأنَّ واذا هممت بالخـير فأقـدم •

٩٥٢ ــ واذا هممت بورِد أمرٍ فالتمسْ
من قبلِ مَوْرِده طريقَ المصدَرِ
اذا وردت مكانا فاعرف كيف تصدر عنه قبـل وروده •

٩٥٣ ــ واذا يجالِسُكَ البغيضُ فإنّه
حِملٌ تعالِجُه عليكَ ثَقيـلُ
مجالسة البغيض الثقيل حمـل ثقيل •

٩٥٤ ــ وأصبحَ شِعري منهما في مكانِه
وفي عنقِ الحسناء يُستحسنُ العقدُ
أصبح شعري معلقاً في صدر الكرام ، والعقد الجميل يزين عنق الحسناء •

٩٥٥ ــ وأُضيعُ أوقاتي بغيرِ ندامةٍ
ويفوتني الشّيءُ اليسيرُ فأندمُ
أثمن شيء عندي هو الوقت ، وأنا أضيعه دون ندم ، فاذا أضعت شيئا تافهاً غضبت •

٩٥٦ ــ وإطراقُ طرفِ العين ليسَ بنافعٍ
اذا كانَ طرفُ القلبِ ليسَ بمُطرقِ
لا يكفي أن يغض الانسان طرفه عن شيء اذا كان قلبه طامحاً اليه •

٩٥٧ ــ وأظلم أهلِ الظُّلم مَن باتَ حاسداً
لمَنْ باتَ في نعمائِه يتقلّبُ
أكثر الناس ظلما هم الذين يحسدون من أحسنوا اليهم •

٩٥٨ ــ واعرفْ لجارِك حَقّهُ
والحقُّ يعرفُهُ الكريمُ
الجار الكريم يعرف حق الجار •

٩٥٩ ــ واعلمْ بأنَّ الضيفَ يوماً
سوفَ يَحْمَدُ أو يلومُ
ضيفك بعد زيارته لك اما أن يحمدك أو يذمك على حسب معاملتك له •

٩٦٠ ــ والناسُ مبتنيانِ محـ
مودُ البنايةِ أو ذميمُ
الناس نوعان : بان للمكارم أو بان للمآثم •

٩٦١ ــ والبغيُ يَصرعُ أهلَهُ
والظّلمُ مَرتَعُهُ وخيمُ
الظلم يقتل أهله وعقباه ذميمة •

٩٦٢ ــ ولقد يكونُ لكَ الغريـ
بُ أخاً ويَقْطَعُكَ الحميمُ
قد يؤاخيك الغريب ويعاديك القريب •

٩٦٣ ــ والمرءُ يُكْرَمُ للغنى
ويُهانُ للعُدْمِ العَديمُ
الناس يكرمون الغني وان كان لئيماً ويهينون الفقير وان كان كريما •

٩٦٤ ــ واعلم بأنّ الغيثَ ليسَ بنافعٍ
للناسِ ما لم يأتِ في إبّانِهِ
لا ينفع المطر الا في أوانه •

٩٦٥ ــ وأعْلَمُ علماً ليسَ بالظنِّ أنه
إذا ذلَّ مولى المرءِ فهوَ ذليلُ
اذا ذل صديقك ذللتَ أنت •

٩٦٦ ــ وأغْبَطُ مِنْ ليلى بما لا أنالُه
الا كلُّ ما قرتْ به العَيْنُ صالحُ
يحسدني الناس على ما لم أنله من ليلى : وكل ما تقر به عين الحبيب حبيب •

٩٦٧ ــ وأكثرُ من تلقى يَسرُّكَ قولُه
ولكنْ قليلٌ مَنْ يسرُّكَ فِعلُهُ
أكثر الناس يرضونك بالقول وقل من يرضيك بالفعل •

٩٦٨ ــ والظلمُ من شيمِ النفوسِ فان تَجِدْ
ذا عِفةٍ فلعلةٍ لا يَظلمُ
الظلم من طبيعة النفوس ، فاذا لم يظلم الانسان أخاه فذلك لسبب من الأسباب •

٩٦٩ ــ والهمُّ يخترم الجسيم نحافةً
ويُشيبُ ناصيةَ الصبي ويُهْرِمُ
الهم يهزل جسم السمين ويشيب رأس الشاب •

٩٧٠ ــ ومن البلية عذلُ مَنْ لا يرعوي
عَن غَيِّه وخطابُ مَنْ لا يَفْهَمُ
من البلاء لوم من لا ينفعه اللوم وخطاب من لا يفهم الكلام •

٩٧١ ــ والذلُّ يظهرُ في الذليلِ مَودةً
وأودُّ منه لمنْ يَوَدُّ الأرقمُ
قد ترى الذليل فتظن أنه صديق ، والأفعى أكثر صداقة لك منه •

٩٧٢ ــ ومن العداوةِ ما ينالُك نفعُه
ومِنَ الصداقةِ ما يَضرُّ ويؤلمُ
قد تنفعك العداوة وتضرك الصداقة •

٩٧٣ ــ والغنى في يدِ اللئيم قبيحٌ
قدْرَ قُبحِ الكريمِ في الإملاقِ
الغنى عند اللئيم قبيح مثل قبح الفقر عند الكريم •

٩٧٤ ــ والناسُ ألفٌ منهمو كواحدٍ
وواحدٌ كالألفِ إنْ أمرٌ عَنَى
من الناس من يُغْني الواحد منهم في الحادثات غناء ألف ، ومنهم ألف لا يغنون غناء واحد •

٩٧٥ ــ والناسُ مَن يلقَ خيراً قائلونَ له
ما يشتَهي ولأمِّ المخطىءِ الهَبَلُ
الناس مولعون بالنفاق لمن يلقى النجاح وبذم من لقي الإخفاق •

٩٧٦ ــ والنفسُ راغبة إذا رَغَّبْتَها
وإذا تُرَدُّ الى قليلٍ تَقْنَعُ
النفس اذا أطمعتها زادت طمعا واذا زجرتها وردعتها رضيت بالقناعة •

٩٧٧ ــ والهجرُ أقتلُ لي مما أراقبه
أنا الغريقُ فما خَوفي مِنَ البلَلِ
هجر الحبيب أشد علي من الموت ، وكيف أخاف أن تبتَلَّ ثيابي بالماء وأنا الغريق •

٩٧٨ ــ وإن أحسنَ بيتٍ أنتَ قائلُه
بيتٌ يقالُ اذا أنشدتَه صدَقا
أحسن الشعر أصدقه •

٩٧٩ ــ وإنْ أنتَ في مجدٍ أصبتَ غنيمةً
فَعُدْ للذي صادفتَ من ذلك وازدَدِ
اذا أصبت المجد بعملك فازدد عملا تزدد مجدا •

٩٨٠ ــ وإنَّ الظلمَ من كلٍّ قبيحٌ
وأقبحُ ما يكونُ مِنَ النبيهِ
الظلم قبيح في كل الناس ، وهو أكثر قبحاً في الذكي العاقل •

٩٨١ ــ وإن امرأ دنياه أكبرُ همِّهِ
لمستمسِكٌ منها بحبلِ غُرورِ
ان من يهتم بالدنيا قبل كل شيء مغرور •

٩٨٢ ــ وإنْ بابُ أمرٍ عليك التوى
فشاورْ حَكيماً ولا تَعْصِهِ
اذا لم تجد حلا لمشكلة فاستشر حكيما واتبع نصيحته •

٩٨٣ ــ وإن ناصح" منـك يوماً نأى
فلا تَنْـأ عنهُ ولا تُقْصِـهِ
واذا نأى عنك الناصحون فاطلب قربهم ومودتهم .

٩٨٤ ــ وإن كان ذنبي كُلَّ ذنبٍ فإنهُ
محا الذنبَ كلَّ المحْوِ مَن جاء تائبا
مهما كان ذنبي عظيما فان توبتي تمحو اساءتي .

٩٨٥ ــ وأنتَ أخي ما لم تكنْ لي حاجة"
فإن عرَضَتْ أيقنتُ أن لا أخا ليا
أنت أخي ما دمت مستغنيا عنـك فـان احتجت اليك لم أجـدك أخا .

٩٨٦ ــ وإنمـا الحقدُ كمثل النـارِ
كامنـة" في باطـنِ الأشجـارِ
الحقد يكمن في القلب كما تكمن النار في الحطب .

٩٨٧ ــ وإنمـا السلطانُ بالأصحابِ
كالبحـرِ بالأمـواجِ والعبابِ
الملك بأصحابه كالبحر بأمواجه وسعته .

٩٨٨ ــ وإنمـا المـرءُ بأصْغريْهِ
كُلّ" امرىءٍ رَهْن" بما لديهِ
المـرء بأصغريه : قلبه ولسانه ، ولكـل امرىء ما عمـل .

٩٨٩ ــ وإنمـا يبلغُ الانسانُ طاقتَه
ما كُلّ" ماشيةٍ بالرّحْلِ شِملالُ
كل انسان له طاقة ، والطاقات تختلف ، وليست النوق متساوية في السرعة .

٩٩٠ ــ وانهَ المشيرَ عليكَ فيَّ بِضَلَّةٍ
والحُرّ" مُمْتَحَن" بأولادِ الزّنا
ان أشار عليك خبيث بهجري فلا تطعه ، فالأحرار يبتلون باللؤماء والخبثاء .

٩٩١ ــ واني امرؤ" عَوّدْتُ نفسي عادةً
وكُلّ" امرىءٍ جار على ما تَعوّدا
لقـد ألفتُ عادة الكـرام ولكل امرىء ما تعـود .

٩٩٢ ــ وأولُ عَجْزِ القومِ فيما ينوبُهم
تدافعُهُم عنه وطُولُ التواكلِ
أول العجز في الشعب عن تحقيق أهدافه هربهم من العمل والتقاعس عن أداء الواجب .

٩٩٣ ــ وبعضُ الداء مُلْتمَس" شِفاهُ
وداءُ النَّوكِ ليسَ لَهُ شـفاءُ
لكل داء دواء الا الحماقـة .

٩٩٤ ــ وبيننا لو رَعَيْتُم ذاك مَعْرِفَة"
إنّ المعارفَ في أهلِ النُّهى ذِمَمُ
نحن نعرف بعضنا بعضـا ، والمعرفة بين الناس كالعهود والمواثيق .

٩٩٥ ــ وترى النـاسَ كثـيراً فـإذا
عُدّ أهلُ الفضلِ قَلّوا في العَدَدْ
الناس كثيرون في العدد وقليلون اذا عـد الأفاضل منهم .

٩٩٦ ــ وجدتُ أقلَّ الناسِ عقلاً اذا انتشى
أشَفَّهمو عَقْلاً إذا كانَ صاحيا
أقل الناس عقلا اذا سكر أكثرهم عقـلا إذا صحا .

٩٩٧ ــ وجدتُ الرفقَ أبلغَ في السُّموِّ
ولم أرَ كالتواضعِ في العُلُوِّ
الرجل السامي هو الدمث الأخلاق والرجل العالي هو المتواضع •

٩٩٨ ــ وجدتُ الفتى يَرْمي سواهُ بدائِه
ويشكُو اليكَ الظلمَ وهْوَ ظَلومُ
بعض الناس يتهمون الناس بما هو فيهم ويشكون اليك أنهم مظلومون وهم ظالمون •

٩٩٩ ــ وَحْــدَةُ العاقــلِ خــيرٌ
مــن جليسِ السّوءِ عنــدَهُ
وحدتك خير لك من جليس السوء •

١٠٠٠ ــ وحيدٌ من الخلانِ في كلِّ بلدةٍ
اذا عظُم المطلوبُ قلَّ المُساعِدُ
أنا وحيد في كل بلدة أحلّ بها ، وكذلك كل من عظمت مطالبه قل أعوانه •

١٠٠١ ــ وخانَ الزمانُ أبــا مالكٍ
وأيُّ امرىءٍ لم يَخُنْهُ الزَّمانُ
اطمــأن أبو مالك الى الزمان فخــانه ، والدهر يخون الناس جميعا •

١٠٠٢ ــ وَخَلِّ زِياً لمَنْ تُحَقِّقُه
ما كُــلُّ دامٍ جبينُه عــابدٌ
فلان يلبس لباس الاتقياء ويعمل عمل الأشقياء فليترك زيه لمن يؤدي حقه كما أن كل من دمى جبينه وتشقق فليس من الضروري أن يكون من المصلين والعبَّاد •

١٠٠٣ ــ وخَلِّ عنانَ الحادثاتِ لوجهِها
فإن عتــابَ الحادثاتِ عَنــاءُ
اترك الدهر يفعل ما يشاء ولا تعاتبــه ، فعتابه لا جــدوى منه •

١٠٠٤ــ وخيرُ حالِ الفتى في القول أقصدُها
بَين السبيلينِ لاعيٌّ ولا هَذَرُ
خير أحوال الانسان الوسط فلا يكــون ثرثاراً ولا عييا •

١٠٠٥ ــ وربّما ضَحِكَ المكروبُ من عجبٍ
السنُ تضحكُ والأحشاءُ تَضْطَرِمُ
ربما ضحك الحزين وفي قلبــه نــار •

١٠٠٦ ــ وربما فاتَ بعضَ الناس أمرُهمو
مَعَ التأني وكانَ الحزمُ لو عَجِلوا
قد تؤدي الأناة الى الخيبة ، وقد يكون الحزم في العجلة •

١٠٠٧ ــ وربّما فارقَ الانسانُ مهجتَه
يومَ الوغى غيرَ قالٍ خشيةَ العارِ
ربما فارق الانسان حياته رغم حبه لها ، خوف أن ينــاله العــار •

١٠٠٨ ــ وربما قالتِ العيونُ وقــدْ
يصدُقُ فيها ويَكْذِبُ النظرُ
قد تقول العيون فتكذب أو تصدق •

١٠٠٩ ــ ورِثناهُم منازلَهم فزالــوا
وأيُّ نعيــمِ دنيــا لا يزولُ
لقد باد من قبلنا وورثنا منازلهم ، وأي نعيــم يبقى ؟

١٠١٠ ــ وزارَ بي دونَ الملوك تحَرُّجٌ
إذا عنَّ بحرٌ لم يَجُزْ لي التَّيَمُّمُ
لقــد زرتك وتركت الملوك الآخرين لأنك

أعظمهم ، ومن وجد البحر لم يجز له أن يتيمم بالتراب •

١٠١١ ــ وزِنِ الكلامَ إذا نطقتَ فإنما
يُبدي عيوبَ ذوي العيوب المَنْطِقُ

زن كلامك قبل النطق به ، فالكلام يزين الناس أو يشينهم •

١٠١٢ ــ وشِبهُ الشيءِ منجَذِبٌ اليه
واشبهُنا بدنيانا الطَغَامُ

الدنيا تحب اللئام لأنها لئيمة ، وكذلك كل انسان يميل الى شبيهه •

١٠١٣ ــ وشرٌّ ما قنَصتَه راحتي قنَصٌ
شُهْبُ البزاةِ سواءٌ فيه والرَّخَمُ

أسوأ ما نلته في حياتي هذا الشيء الخسيس الذي يناله كل الناس كالصيد السهل الذي تستوي فيه الصقور والعصافير •

١٠١٤ ــ وطولُ مقامِ المرءِ في الحيِّ مخلقٌ
لديباجتيهِ فاغتربْ تتجدَّدِ

مقامك في مكان واحد يفقدك رونقك واحترامك ، فجدد نفسك بالسفر والرحلات •

١٠١٥ ــ وظُلمُ ذوي القُربى أشدُّ مضاضةً
على المرءِ من وَقْعِ الحسامِ المُهَنَّدِ

ظلم القريب أقسى على النفس من ظلم الغريب ، وكأنما هو ضرب السيف •

١٠١٦ ــ وعاجزُ الرأيِ مضياعٌ لفرصته
حتى إذا فاتَ أمرٌ عاتبَ القَدَرا

العاجز تسنح له الفرصة فيضيعها بكسله ثم يقعد فيلوم القدر •

١٠١٧ ــ وعاقبةُ الصبرِ الجميلِ جَميلةٌ
وأحسنُ أخلاقِ الرجالِ التفضُّلُ

الصبر الجميل له عاقبة جميلة ، والخير أحسن ما يزين الرجال •

١٠١٨ ــ وعلاجُ الأبدانِ أيسرُ خَطباً
حينَ تَعتَلُّ من علاجِ العقولِ

علاج الابدان أسهل من علاج العقول •

١٠١٩ ــ وعينُ الرِّضا عن كلِّ عيبٍ كليلةٌ
ولكن عينَ السُّخْطِ تُبدي المَساويا

المحب لا يرى عيب حبيبه ، والمُبْغِضُ يرى عيوب من يبغضه •

١٠٢٠ ــ وغيرُ تقيٍّ يأمرُ الناسَ بالتُّقى
طبيبٌ يُداوي الناسَ وهْوَ مَريضُ

الشرير الذي يأمر الناس بالخير ، مثل الطبيب المريض يداوي الناس ولا يداوي نفسه•

١٠٢١ ــ وفي تعبٍ من يحسدُ الشمسَ ضوءَها
ويَجْهَدُ أن يأتي لها بضَريبِ

من يحسد الشمس على نورها ويريد أن يأتي بمثلها يتعب نفسه دون طائل •

١٠٢٢ ــ وقدْ قيلَ في مَثلٍ سائرٍ
خُذِ اللّصَّ مِنْ قبلِ أنْ يَأخذكْ

المثل يقول : امسك اللص قبل أن يمسك بك •

١٠٢٣ ــ وقد كانَ حسنُ الظنِّ بعضَ مذاهبي
فأدّبني هذا الزمانُ وأهلُهُ

لقد كنت حسن الظن بالناس ، وأما الآن وبعد التجربة ، فقد عرفت أني أخطأت في حسن ظني بهم •

١٠٢٤ ــ وقد يستغشُّ المرءُ مَن لا يغشُّه
ويأمنُ بالغيبِ أمرأ غيرَ ناصحِ
قد يشك الانسان فيمن ينصحه ويأمن من يغشه •

١٠٢٥ ــ وقد يتزَيّا بالهوى غيرُ أهلِه
ويصحبُ الإنسانُ مَن لا يلائمُه
قد يدعي الحب من لا يحب ويصحب الانسان من لا يناسبه •

١٠٢٦ ــ وقلَّ من جَدَّ في أمرٍ يحاولُه
فاستصحبُ الصبرَ إلا فازَ بالظفَرِ
كل من جد في أمر وصبر عليه لا بد أن يدركه •

١٠٢٧ وقيّدتُ نفسي في ذَراكَ محبّةً
ومن وجَدَ الإحسانَ قيداً تقيدا
لقد قيدني حبك لأنك محسن ، والانسان يقيده الاحسان •

١٠٢٨ ــ وكائنْ ترى منْ صامتٍ لكَ مُعجبٍ
زيادتُه أو نقصُه في التكلمِ
كم من صامت يعجبك منظره ، فاذا تكلم نقص في عينك أو زاد •

١٠٢٩ ــ وكثيرٌ مِنَ السؤالِ اشتياقٌ
وكثيرٌ مِنْ رَدِّهِ تعليلُ
من أكثر من السؤال عن صديقه كان مشتاقا اليه ، ومن أقل من السؤال كان متهربا يحاول أن ينسى •

١٠٣٠ ــ وكلُّ امرىءٍ يُولي الجميلَ مُحبّبٌ
وكلُّ مكانٍ يُنبتُ العزَّ طيّبُ
كل محسن يحبه الناس ، وكل مكان عزيز يطيب للناس •

١٠٣١ ــ وكلُّ شديدةٍ نزلَت بقومٍ
سيأتي بعدَ شدّتها رخاءُ
كل مصيبة وفقر لا بدأن يعقبهما الفرج والغنى

١٠٣٢ ــ وكلُّ طريقٍ أتاهُ الفتى
على قدَرِ الرِّجلِ فيه الخُطا
يحدد مسافة كل طريق عدد الخطا التي تخطوها •

١٠٣٣ ــ وكلُّ قرينٍ الى شكلِه
كأنسِ الخنافسِ بالعقربِ
كما تأنس الخنفساء بالعقرب يأنس الشبيه بالشبيه •

١٠٣٤ ــ وكلٌّ يرى طرُقَ الشجاعةِ والندى
ولكنَّ حبَّ النفسِ للنفسِ قائدُ
كل انسان يعرف طريق الشجاعة والكرم ولكن حبه لنفسه يحول دون سلوكها ، فيرضى بالجبن والبخل •

١٠٣٥ ــ وكم مِن أكلةٍ منعَتْ أخاها
بلذَّةِ ساعةٍ أكلاتِ دَهْرِ
رب أكلة منعت أكلات •

١٠٣٦ ــ وكم من حافرٍ لأخيه ليلاً
تردّى في حفيرتِه نهارا
من حفر حفرة لأخيه وقع فيها •

١٠٣٧ ــ وكم مِن طالبٍ يَسعى لأمرٍ
وفيهِ هلاكُه لو كانَ يَدْري
كم من رجل يسعى الى حتفه بظلفه •

١٠٣٨ ــ وكم مِنْ عائبٍ قولاً صحيحاً
وآفتُه مِنَ الفَهْمِ السّقيمِ
رب عائب للقول الصحيح لأنه لا يفهمه •

١٠٣٩ ــ وكم من نعمةٍ لله في طَيِّ نقمةٍ
تُرَجّى ومكروهٍ حَلا بعدَ إمرارِ
رب نعمة في اثر نقمة ، ورب حلو كان مراً •

١٠٤٠ ــ وكنْ على حَذَرٍ للناسِ تسترُه
ولا يَغُرَّكَ منهمْ ثَغْرُ مُبْتَسِمِ
احذر الناس ولا تخدعك ابتساماتهم لك •

١٠٤١ ــ وكيفَ ملامَتي معْ شيْبِ رأسي
على خُلُقٍ نَشأتُ بهِ غُلاما
كيف يلومني الناس ، وقد أصبحت عجوزا كبيرا على خلق نشأت عليه صبيا صغيرا •

١٠٤٢ ــ ولا أتلَقّى الشرَّ والشرُّ تاركي
ولكنْ متى أُحْمَلْ على الشرِّ أركبِ
لست أبدأ أحداً بالشر ولكني اذا اضطرني الناس الى فعل الشر فعلته •

١٠٤٣ ــ ولا بدَّ للقلبِ مِنْ آلةٍ
ورأيٍ يُصَدِّعُ صُمَّ الصفا
لا بد لمن يريد أن يحقق آمال قلبه من وسائل تمكنه من تحقيقها ، ولا بد له من رأي يفلق الحجر •

١٠٤٤ ــ ولا بدَّ من شكوى الى ذي حفيظةٍ
إذا جعلتْ أسرارُ نَفْسي تطَلَّعُ
لا بد للانسان من أن يشكو آلامه الى صديق كريم شجاع اذا ضاقت نفسه بأسرارها •

١٠٤٥ ــ ولا بدَّ من شكوى الى ذي مروءةٍ
يواسيكَ أو يُسليكَ أن يتَوجَّعُ
لا بد للانسان من أن يشكو آلامه الى صديق كريم مخلص فإما أن يواسيه في مصائبه، أو يسليه عنها ، أو يتوجع معه منها اذا لم يستطع مواساته أو تسليته •

١٠٤٦ ــ ولا تُظهِرنْ ودّ امرىءٍ قبلَ خبرِه
وبعدَ بلاءِ المرءِ فاذمُم أوِ احمَدِ
لا تصاحب أحدا قبل أن تختبره فاذا اختبرته فامدحه أو ذُمّهُ •

١٠٤٧ ــ ولا تَعْجلْ على أحدٍ بظُلْمٍ
فانَّ الظلمَ مرتَعُه وَخيمُ
لا تظلم أحدا فالظلم وخيم العواقب •

١٠٤٨ ــ ولا تَفْحشْ وإن مُلِّئْتَ غيظاً
على أحدٍ فإنَّ الفحشَ لومُ
ولا تكن فاحش الكلام وان غضبت فالفحش لؤم ونذالة •

١٠٤٩ ــ ولا تقطعْ أخاً لك عند ذنبٍ
فإنَّ الذنبَ يغفرُه الكريمُ
اذا أذنب أخوك فلا تقطع صداقته فالكريم يغفر الذنوب •

١٠٥٠ ــ ولا خيرَ في جهلٍ اذا لم يكنْ لهُ
حليمٌ إذا ما أوْرَدَ القومْ أصدَرا
لا خير في الطيش اذا لم يكن للجهل حليم يعرف كيف يدبر الامور ، ويصلح الناس •

١٠٥١ ــ ولا خيرَ في حلمٍ إذا لم تكُنْ له
بوادرُ تحمي صَفوَه أن يُكَدَّرا

ولا خير في حلم اذا لم يكن للحلم ما يدل على أن عاقبته خير وان صاحبه لن يندم عليه •

١٠٥٢ ــ ولا خيرَ في وُدّ امرىءٍ لم يكن لهُ
على طولِ مَرِّ الحادثات بَقاءُ
لا خير في صداقة صديق اذا لم تبق دائمة رغم تقلب الزمان •

١٠٥٣ ولا عِلْمَ لي بالغيب إلاّ طليعةً
من الحَزْمِ لا يَخْفى عليها المُغيَّبُ
لا أعلم الغيب ولكني حازم يدرك عواقب الأمور وما يخفى منها بالذكاء والفهم •

١٠٥٤ ــ ولا يلبثُ الجُهالُ أن يتهضَّموا
أخا الحلمِ ما لم يستعنْ بجَهولِ
قد يظلم الجاهل الحليم فيستعين بجاهل ليرد عنه الظلم •

١٠٥٥ ــ ولا يلبثُ المستشيرُ الرّجالَ
إذا هو شاورَ أن يستريحا
من استشار الناس استراح •

١٠٥٦ ــ ولذيذُ الحياة أنفسُ للنفـ
ـسِ وأشهى مِنْ أن يُمَلَّ وأحلى
الحياة لذيذة والنفس لا تملها لحلاوتها •

١٠٥٧ ــ ولرُبّما ابتسمَ اللبيبُ منَ الأذى
وضميرُه مِنْ حَسْرِهِ يتأوَّهُ
قد يبتسم العاقل وقلبه دام •

١٠٥٨ ــ ولربما طَعنَ الفتى أقرانَهُ
بالرأيِ قبلَ تطاعنِ الأقرانِ
الرجل قد يطعن أعداءه برأيه قبل أن يطعنهم بسنانه •

١٠٥٩ ــ ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تَلُمُّه
على شَعَثٍ أيّ الرّجالِ المُهَذّبُ
ليس في الناس خال من العيب ، ولن يبقى لك صديق اذا كنت تلومه على كل صغيرة وكبيرة •

١٠٦٠ ــ وللخلقِ إذلالٌ لمنْ كانَ باخلاً
ضنيناً ومَن يبخلْ يُذَلّ ويُزهَدِ
الناس يحتقرون البخيل ويزهدون فيه •

١٠٦١ ــ ومَنْ لم يكنْ ذا ناصرٍ عندَ حَقّه
يُغَلَّبْ عليه ذو النصيرِ ويَعْتَدِ
من له ناصر يعينه يغلب من ليس له نصير أو حليف •

١٠٦٢ ــ وللسرّ مني مَوْضعٌ لا ينالُه
صديقٌ ولا يفضى إليه شَرابُ
السر أخفيه في قلبي في مكان عميق فلا يدركه الصديق ولا تصل اليه الخمر •

١٠٦٣ ــ وللمودةِ سترٌ لا زوالَ له
حتّى يُهتّكَه عَتْبٌ وتأنيبُ
ستر الصداقة بين الأصدقاء لا يزول الا بالعتاب والتأنيب الشديد •

١٠٦٤ ــ ولم أرَ في عيوبِ الناسِ شيئاً
كنقصِ القادرينَ على التَّمامِ
أكثر العيوب في الناس هو عيب من يكون قادرا على أن يكون كاملا فيرضى بالنقص •

١٠٦٥ ــ ولم تزلْ قِلّةُ الإنصافِ قاطعةً
بين الرجالِ وإنْ كانوا ذَوي رَحِمِ

قلة الانصاف بين الناس تقطع ما بينهم من مودة وصداقة ، حتى اذا كانوا أقرباء وأنسباء .

١٠٦٦ ــ ولو كانَ الحجابُ لغيرِ نفعٍ
لما احتاجَ الفؤادُ الى حجابِ

احتجابك أحيانا عن الناس نافع ، فالقلب نفسه له حجاب يقيه ويحفظه .

١٠٦٧ ــ ولو كانتِ الأرزاقُ تجري على الحِجا
هلَكْنَ إذاً مِن جَهْلِهنَّ البهائمُ

لا توزع أرزاق الناس على حسب عقولهم ولكنها توزع حسب حظوظهم ، ولولا ذلك لماتت البهائم جوعاً لأنها لا عقل لها .

١٠٦٨ ــ ولو لمْ يعلُ إلا ذو مَحَلٍّ
تعالى الجيشُ وانْحَطَّ القَتامُ

لو كان لا يعلو في الحياة غير صاحب المكانة لكان غبار المعركة هو الذي ينحط الى الأرض ولكان الجيش الذي يخوض المعركة هو الذي يعلو فوق الغبار .

١٠٦٩ ــ ومَنْ خبرَ الغَواني فالغواني
ضِياءٌ في بواطنِه ظلامُ

لو جربت النساء وجدتهن ضياء ظاهرا وظلاما باطنا .

١٠٧٠ ــ وما كلٌّ بمعذور ببخلٍ
ولا كلٌّ على بخلٍ يُلامُ

لا يعذر كل الناس على البخل ، ولا يلامون كلهم عليه ، فرب بخل مقبول ، ورُبَّ بخل معذول .

١٠٧١ ــ وليسَ الفقرُ من إقلالِ مالٍ
ولكنْ أحمقُ القومِ الفقيرُ

ليس الفقر فقر المال وانما هو فقر العقل .

١٠٧٢ ــ وليسَ للإنسانِ إلا ما سعى
وكلٌّ ساعٍ سَعْيُه سَوفَ يُرى

وأن ليس للانسان الا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى (قرآن كريم) .

١٠٧٣ ــ وليسَ يَزيدُ الشمسَ نوراً وبهجةً
إطالةُ ذي وصفٍ ولا مدحُ مادحِ

لا يزيد الشمس جمالا ونورا وصف الواصفين لها ولا مدحهم إياها .

١٠٧٤ وليسَ يَصِحُّ في الأفهامِ شيءٌ
اذا احتاجَ النهارُ الى دليلِ

اذا احتاج النهار الى دليل يدل عليه لم يبق هنالك شيء صحيح .

١٠٧٥ ــ وما التأنيثُ لاسمِ الشمسِ عيبٌ
ولا التذكيرُ فخرٌ للهلالِ

لا فضل لصيغة التذكير على صيغة التأنيث فالشمس مؤنثة ، وليس يعيبها التأنيث ، والقمر مذكر ولا يزيده التذكير فخرا ، وانما الفضل للمذكر نفسه أو للمؤنث .

١٠٧٦ ــ وما الدهرُ أهلٌ أن يُؤمَّلَ عندَه
حياةٌ وأن يُشتاقَ فيهِ الى النَّسلِ

الحياة الدنيا لا تستحق أن يطلب الانسان دوامها ولا تستحق أن يحرص فيها الانسان على الأولاد والأحفاد .

١٠٧٧ ــ وما الصارمُ الهنديُّ إلا كغيرِه
اذا لم يفارقْه النِجادُ وغِمْدُهُ
السيف القاطع مثل السيف الكهام اذا لم يجرد من غمده •

١٠٧٨ ــ وما الموتُ الا رِحلة" غيرَ أنها
من المنزلِ الفانِي الى المنزلِ الباقي
الموت رحلة من الدنيا الفانية الى الآخرة الباقية •

١٠٧٩ ــ وما الناسُ إلاّ ظاعن" وابنُ ظاعن
وثاو قريحُ العينِ تَبكي لِراحلِ
الناس فريقان : ميت فارق الحي ، وحي يبكي على الميت •

١٠٨٠ ــ وما انتفاعُ أخي الدنيا بناظرِه
اذا استوَتْ عندَه الأنوارُ والظُلَمُ
ماذا تنفع المرء عينه ان لم يميز بها بين النور والظلام وماذا ينفع الانسان عقله اذا لم يميز به بين الحق والضلال •

١٠٨١ ــ وما بعضُ الإقامةِ في ديارٍ
يهانُ بها الفتى إلا عَناءُ
العيش في بلاد يهان فيها المواطن بلاء ما بعده بلاء •

١٠٨٢ ــ وبعضُ خلائقِ الأقوامِ داء"
كداءِ البطنِ ليسَ لهُ شفاءُ
بعض الأخلاق لا تستقيم كما أن داء المعدة لا دواء له •

١٠٨٣ ــ وبعضُ القولِ ليسَ له عِناج"
كمخضِ الماءِ ليسَ لهُ إناءُ
بعض القول لا معنى له ، كما أن الماء لا زبدة فيه •

١٠٨٤ ــ وكل شديدةٍ نَزَلَتْ بقومٍ
سَيأتي بعدَ شِدّتِها رخاءُ
كل مصيبة سيأتي بعدها فرج •

١٠٨٥ ــ ولا يعطى الحريصُ غنىً لحرصٍ
وقد ينمي على الجُودِ الثَّراءُ
لا يزيد الحرص مال الحريص ، ولا ينقص الكرم مال الكريم بل يزيده •

١٠٨٦ ــ وليس بنافعٍ ذا البخلِ مال"
ولا مُزْرٍ بصاحبِهِ السَّخاءُ
لا ينفع البخيل ماله ولا يعيب الكريمَ جودُه •

١٠٨٧ ــ وما بلدُ الفتى إن كان فيه
قليلَ المالِ الا دارُ غُرْبَه
اذا كنت تعيش في بلدك وأنت فقير فكأنك تعيش في غربة •

١٠٨٨ ــ وما بينَ الدّنايا والمَنايا
لدى الحرِّ الكريمِ النفسِ فَرْقُ
لا يفرق الحر بين الدنية والمنية ، بل ربما وجد المنية أحلى طعما •

١٠٨٩ ــ وما بين الردى والذلّ فرق"
سوى أن الرّدى بالحرِّ أولى
لا فرق بين الموت والذل بل ان الموت أجدر بالحر من العيش الذليل •

١٠٩٠ ــ وما تَخفى الضغينةُ حيثُ كانتْ
ولا النظرُ الصّحيحُ منَ السقيمِ

لا يخفى الحقد في قلب الحقود ، ولا يخفى ظر الصديق ولا ظر العدو .

١٠٩١ ــ وما ثناكَ كلامُ الناسِ عن كَرَمٍ
ومن يَسُدُّ طريقَ العارضِ الهَطِلِ
ان كلام الناس ولومهم لك على كرمك لم يمنعك من الاستمرار في الجود ، وهل يستطيع أحد أن يوقف السيل والمطر ؟

١٠٩٢ ــ وما جهلتْ أياديكَ البوادي
ولكنْ رُبّما خَفِيَ الصوابُ
لقد عرفت البادية فضلك ، ولكنها أخطأت طريق الصواب عندما خالفتك .

١٠٩٣ ــ وكم ذَنْبٍ مُوَلِّدُهُ دلالٌ
وكم بُعْدٍ مُوَلِّدُهُ اقترابُ
رب ذنب جره الدلال ، ورب بعد جره القرب .

١٠٩٤ ــ وجرمٍ جَرَّهُ سُفهاءُ قومٍ
فحلَّ بغيرِ جارمِهِ العَذابُ
رب ذنب جناه جهال قوم فحل العقاب بغير الجاني .

١٠٩٥ ــ وما حُسْنُ الرجالِ لهمْ بحسنٍ
إذا لم يُسْعِدِ الحُسْنَ البيانُ
ليس جمال الرجل بشكله وانما جماله ببيانه وفصاحته .

١٠٩٦ ــ وما خضبَ الناسُ البياضَ لأنّه
قبيحٌ ولكنْ أحسنُ الشّعرِ فاحمُهُ
الناس عندما يشيب شعرهم ويصبح أبيض يخضبونه بالسواد ، وليس ذلك لأن لون البياض قبيح ولكن لأن أحسن الشعر ما كان أسود .

١٠٩٧ ــ وما ذاكَ بُخلاً بالنفوسِ على القنا
ولكنّ صدْمَ الشرِّ بالشرّ أحزَمُ
لم نلبس الدروع لأننا نخاف القتل . ولكنا رأينا أعداءنا يلبسون الدروع فلبسناها ، فان مقاومة القوة والعدة بالقوة والعدة أفضل .

١٠٩٨ ــ وما زلتُ أسمعُ أنَّ العقولَ
مصارعُها بين أيدي الطَمَعْ
مصارع العقول في الأطماع .

١٠٩٩ ــ وما شَكّي وإنْ أكثرتُ إلا
محاماةً عَنِ الشيءِ اليقينِ
أنا أشك لأصل الى اليقين .

١١٠٠ ــ وما صبابةُ مشتاقٍ على أملٍ
من اللقاءِ كمشتاقٍ بلا أمَلِ
ليس المشتاق الى الحبيب وهو على موعد بلقائه ، مثل المشتاق الى الحبيب وهو لا يرجو لقاءه .

١١٠١ ــ وما طلبُ المعيشةِ بالتمنّي
ولكنْ ألقِ دَلوكَ في الدِّلاءِ
لا تتمنَّ الشيء وتقعد عن طلبه ، لكن جرّب حظك ، وألق دلوك في البئر مع الناس الذين يلقون بدلائهم .

١١٠٢ ــ وما كلُّ ذي رأي بمؤتيك نصحه
ولا كلُّ مؤتٍ نُصْحَهُ بلبيب
ليس كل من ينصحك عاقلاً وليس كل صاحب عقل ينصحك .

١١٠٣ ــ وما كلُّ ماتهوى النفوسُ بنافعٍ
وما كلُّ ما تخشى النفوسُ بضرَّارِ
ليس كل ماتحبه نافعاً وليس كل ماتكرهه مضراً .

١١٠٤ ــ وما كلُّ مَن قالَ قولاً وَفى
ولا كلُّ مَن سِيمَ خَسْفاً أبى
ليس كل من قال وفياً ، وليس كل من سيم الضيم حراً يأبى الذل والظلم .

١١٠٥ ــ وما كلُّ هاوٍ للجميلِ بفاعلٍ
ولا كلُّ فعَّالٍ لهُ بمتمِّمٍ
ليس كل من يهوى فعل الجميل يفعله ، وليس كل من يفعل الجميل يتممه ويكمله .

١١٠٦ ــ وما كمَدُ الحسادُ شيءٌ قصدْتُهُ
ولكنَّهُ مَنْ يَزْحمِ البحرَ يَغْرَقِ
لقد أصاب الحزن والكمد حسادي ، ولم أرد ذلك ، ولكنهم هم الذين تعرضوا لي ، ومن يزاحم البحر لا بد أن يغرق فيه .

١١٠٧ ــ وما منزلُ اللذاتِ عندي بمنزلٍ
اذا لم أُبَجَّلْ عندَهُ وأُكرَّمِ
اني أرفض المنزل الذي أجد فيه لذتي ، ولا أحقق فيه كرامتي .

١١٠٨ ــ وما هداكَ الى أرضٍ كعالمِها
وما أعانكَ في حَزْمٍ كعزَّامِ
لا يهديك في أرض اذا نزلتها الا العارف بها ، ولا يعينك في أمرك الا الشجاع المقدام .

١١٠٩ ــ وما ينفعُ الأصلُ مِنْ هاشمٍ
اذا كانتِ النفسُ مِنْ باهلهْ
ماذا ينفع النسب اذا لم ينفع الأدب ؟

١١١٠ ــ وما يوجعُ الحِرمانُ من كفِّ حازمٍ
كما يوجعُ الحِرمانُ من كفِّ رازقِ
اذا حرمك من تعودت حرمانه لم تتألم ، ولكن الذي يؤلمك هو حرمان من تعودت عطاءه .

١١١١ ــ ومكائدُ السفهاءِ واقعةٌ بِهِمْ
وعداوةُ الشعراءِ بئسَ المُقْتَنَى
السفيه يقع في كيده ، وبئس ما يكسب الناس من عداوة الشعراء .

١١١٢ ــ ومن البَليةِ عَذْلُ مَن لا يَرْعوي
عن غَيِّه وخطابُ مَنْ لا يَفْهَمُ
لومك من لا يردعه اللوم ، وكلامك لمن لا يفهم الكلام ، بلاء ما بعده بلاء .

١١١٣ ــ ومَن تَعرَّضَ للغِربانِ يَزْجرُها
على سلامتِها لا بُدَّ مَشْؤومُ
الغربان مشؤومة فاذا تعرضت لها تطلب سلامتها ، كنت مشؤوما مثلها .

١١١٤ ــ ومَن تكنِ الأُسْدُ الضَّواري جدودَهُ
يكن ليلُه صُبْحاً ومَطعَمُهُ غَصْبا
من كان جده أسداً صار ليله صباحا وصار طعامه افتراسا .

١١١٥ ــ ومَن جَهِلَتْ نفسُه قَدْرَهُ
رأى غيرُهُ منه ما لا يَرى
من لم يعرف نفسه عرفه الناس .

١١١٦ ــ ومَن حضرَ السماعَ بغيرِ قلبٍ
ولم يَطْرَبْ فلا يَلُمِ المُغَنِّي
من سمع الغناء وهو مشغول القلب فلم يطرب فليلم نفسه ، ولا يلومنَّ المغني .

١١١٧ ــ ومَن دَعا الناسَ الى ذَمّه
ذَمّوهُ بالحقّ والباطلِ
من قام بالأفعال المعيبة فكأنه يدعو الناس الى ذمه ، فلا يلمهم ان ذمّوه بما هو حق وبما هو باطل •

١١١٨ ــ ومَن ذا الذي تُرْضى سجاياهُ كلُّها
كَفى المرءَ نُبْلاً أن تُعَدّ معايبه
مَنْ مِنَ الناس خال من العيوب ؟ حسب الانسان من النبل أن تعد هذه العيوب فيه •

١١١٩ ــ ومَنْ ركبَ الثورَ بعد الجوادِ
أنكرَ أظلافَهُ والغَبَبْ
من ركب الثور بعد الحصان عرف الفرق بينهما ، في الحوافر ولحم العنق •

١١٢٠ ــ ومنْ عادةِ الأيام أن صروفَها
إذا ساءَ منها جانبٌ سرَّ جانبُ
عادة الأيام أن تسوء حينا وتسر حينا •

١١٢١ ــ ومَن كلّفتْهُ النفسُ فوقَ كَفافها
فما ينقضي حتّى المماتِ عناؤهُ
من طمع بغير الكفاف تعب •

١١٢٢ ــ ومَن لم يُصانِعْ فيأمورٍ كثيرةٍ
يُضَرَّسْ بأنيابٍ ويوطَأْ بمَنْسِمِ
عليك أن تغض الطرف عن بعض الامور والا أكلك الناس بأضراسهم وداسوك بأقدامهم •

١١٢٣ ــ ومَن يوفِ لا يذْممْ ومن يُهدَ قلبُهُ
إلى مُطمئِنِّ البرِّ لا يتَجَمْجَمِ
الوافي بالعهود محمود ، والمهتدي الى الصواب فصيح ، لا يتردد في كلامه •

١١٢٤ ــ ومن يَجْعَلِ المعروفَ مِنْ دونِ عِرضه
يَفِرْهُ ومَن لا يتّقِ الشّتْمَ يُشتمِ
من قدم معروفه صان شرفه ومن فعل ما يستحق عليه الشتم شتمه الناس •

١١٢٥ ــ ومَن يكُ ذا فضلٍ فيبخلْ بفضلهِ
على قومهِ يُسْتَغْنَ عنهُ ويُذْمَمِ
من كان صاحب فضل فضن به على أهله استغنى أهله عنه وشتموه •

١١٢٦ ــ ومَن هابَ أسبابَ المنايا ينَلْنَهُ
وإنْ يرْقَ أسبابَ السّماءِ بِسُلّمِ
من خاف الموت مات ولو صعد الى السماء •

١١٢٧ ــ ومن لا يزلْ يستحملُ الناسَ نفسَه
ولا يُغْنِها يوماً منَ الدهرِ يُسأَمِ
من عاش عالة على الناس ولم يستغن عنهم سئموه وأبعدوه •

١١٢٨ ــ ومن يجعلِ المعروفَ في غيرِ أهلِه
يكنْ حمدُهُ ذماً عليه ويندمِ
من جعل المعروف في غير من يستحقه ندم •

١١٢٩ ــ ومن يعصِ أطرافَ الزّجاج فإنه
يطيعُ العوالي رُكّبَتْ كلَّ لَهْذَمِ
من ترك الشر القليل وقع في الشر الكثير ، مثل من يخاف قائم الرمح فيقع في سنانه •

١١٣٠ ــ ومن يغترِبْ يحْسَبْ عدوّاً صديقَه
ومن لا يُكرّمْ نفسَه لا يُكَرَّمِ
الغريب يظن صديقه عدوا له ، والرجل الذي لا يحرص على كرامته لا يكرمه الناس •

١١٣١ ـ ومهما تكنْ عند امرىءٍ من خليقةٍ
وإن خالها تَخْفى على الناسِ تَعْلَمِ
من ظن أنه يُخفي أخلاقه عن الناس فهو مخطىء ، فلا بد لهم من أن يكشفوها •

١١٣٢ ـ ومن لم يعْشَقِ الدنيا قليل"
ولكـنْ لا سبيلَ الى الوصالِ
كل الناس يحبون الدنيا ، ولكـن الذين يحصلون عليها أقـلاء •

١١٣٣ ومن لم يُغَمِّضْ عينَه عن صديقِه
وعن بعضِ ما فيه يَمُتْ وهو عاتبُ
اذا لم تغض النظر عن أصدقائك مت وأنت عليهم عاتب •

١١٣٤ ـ ومن مذهبي حُبُّ الديارِ لأهلِها
وللناسِ فيما يعشقونَ مذاهبُ
أحب الديار لأني أحب من يسكن الديار والحب فنون •

١١٣٥ ـ ومن نكدِ الدنيا على الحُرِّ أن يرى
عدوّاً له ما مِنْ صداقتِه بُدُّ
أصعب الامور على الحر أن يضطر الـى صداقة من هو له عـدو •

١١٣٦ ـ ومن يبغي الصديقَ بغيرِ عَيْبٍ
سيبقى الدهرَ ليسَ لهُ صَديقُ
مـن أراد صديقا بلا عيب عـاش دون صديـق •

١١٣٧ ـ ومن يتتبعْ جاهداً كلَّ عثرةٍ
يَجِدها ولا يَسْلَمْ له الدهرَ صاحبُ
مـن تتبع عثرات أصدقائه لم يبق لـه صديق •

١١٣٨ ـ ومن يَحْلُمْ وليسَ له سفيه"
يلاقِ المعضلاتِ منَ الرّجـالِ
من كان حليما وليس له سفيه يدافع عنـه لقي من الناس الدواهي والمشكلات •

١١٣٩ ـ ومن يكُ ذا فمٍ مرٍّ مريضٍ
يجِـدْ مرّاً به المـاءَ الزُّلالا
المـاء العذب مر في الفم المريض •

١١٤٠ ـ ومن ينفقِ الساعاتِ في جمْعِ مالِه
مخافةَ فقرٍ فالذي فَعَلَ الفَقْرُ
من أنفق عمره في جمع المال خوف الفقـر عاش في فقـره •

١١٤١ ـ وهل تَغْني الرّسائلُ في عدوّ
إذا ما لَمْ يَكُنَّ ظُبىً رقاقـا
لا تنفع الرسائل في رد عـدوان المعتدي ان لم تدعمها القوة من رماح وسيوف •

١١٤٢ ـ وهل يُنْبِتُ الخَطّيَّ الا وشيجُه
وتغرسُ إلا في منابِتِها النَّخْلُ
الرماح الخطية نبتت من الرماح الخطية والنخـل تغرس في مغارس النخل ، والرجـل الكريم يلد الكريم ، واللئيم يلد اللئيم •

١١٤٣ ـ وهم بدؤوا بالظلمِ في ذاتِ بَيْنِهم
ولا يَصْلَحُ المولى إذا كان ظالمـا
هـؤلاء الرؤساء هم الذين بدأوا بظـلم أهلهم وشعبهم ، ولا يصلح الرئيس اذا كـان ظالمـاً •

١١٤٤ ـ ووضعُ الندى في موضعِ السيف بالعلا
مُضِرٌ كوضعِ السيفِ في موضعِ الندى

المكافأة في موضع العقوبة مضرة ، مثل وضع العقوبة في موضع المكافأة ، فلكلٍ زمن ولكلٍ موضع .

□ □ □

حرف اللام الف

١١٤٥ ــ لا بُدَّ للانسانِ من ضَجْعَةٍ
لا تقلبُ الراقدَ عَنْ جَنْبِهِ

لا بد للانسان أن يموت ثم يرقد رقدة طويلة لا يتقلب فيها من جنب الى جنب .

١١٤٦ ــ لا تأمنِ الدهرَ مُمساهُ ومُصْبِحَه
فالدّهرُ يقعُدُ للأقوامِ بالرّصَدِ

لا تأمن دنياك لا في الصباح ، ولا في المساء ، فالدنيا ومصائبها تقف لك بالمرصاد .

١١٤٧ ــ لا تأسَ من دنيا على فائت
وعِندَكَ الإسلامُ والعافيه

لا تحزن على ما فاتك من الدنيا ما دمت تحتفظ بايمانك وصحتك .

١١٤٨ ــ لا تَجُدْ بالعطاءِ في غيرِ حقٍّ
ليسَ في مَنْعِ غيرِ ذي الحقِّ بُخْلُ

جد بعطائك على من يستحق ، فليس من البخل ألا تعطي من لا يستحق .

١١٤٩ ــ لا تجعل الهزلَ دَأباً فهو منْقصةٌ
والجدُّ تعلو به بينَ الورى القِيَم

لا تجعل المزاح من عادتك فهو نقص في المروءة ، والجد هو الذي يعلو بك .

١١٥٠ ــ لا تجعلَنَّ دليلَ المرءِ صورته
كم مَخْبَرٍ سمجٍ من منظرٍ حَسَنِ

لا تخدع نفسك بمنظر الناس فكم من جميل الصورة قبيح النفس .

١١٥١ ــ لاتحسَبوا منأسَرْتم كان ذا رمَقٍ
فليسَ تأكلُ إلا الميّتَ الضَّبُع

لقد كان الأسير الذي وقع في أيديكم ميتا ، وأنتم مثل الضبع لا تأكلون الا الميت .

١١٥٢ ــ لا تحمدَنَّ المرءَ ما لمْ تَبْلُهُ
فالمـرءُ كالصورةِ لولا عَقلُهُ

لا تحمد انسانا قبل تجربته ، فليس المرء بالصورة ولكنه بالعقل .

١١٥٣ ــ لا تزُرْ من تُحبّ في كلّ شهرٍ
غيرَ يومٍ ولا تَزِدْهُ عَليهِ

زر حبيبك مرة في كل شهر ولا تزد .

١١٥٤ ــ لا تسألِ المرءَ عن خَلائقِه
في وجهِهِ شاهدٌ عـن الخبَرِ

يكفيك لمعرفة صاحبك أن ترى وجهه فالوجه شاهد على الضمير .

١١٥٥ ــ لا تشترِ العبدَ إلا والعَصا معهُ
إنّ العبيدَ لأنجاسٌ مناكيدُ

اذا اشتريت العبد فهيىء له العصا ، فالعبد خبيث .

١١٥٦ ــ لا تضجرَنَّ ولا تدخلْكَ مَعجزَةٌ
فالنجحُ يذهبُ بين العجزِ والضَّجَرِ

اذا حاولت أمراً فلا تضجر ولا تعجز ، فان النجاح يضيع بين العجز والضجر .

١١٥٧ ــ لا تُطِلِ الحزنَ على فائتٍ
فقلّما يُجدي عليكَ الحَزَنُ

لا تحزن على ما فات ، فالحزن لا ينفعك شيئاً •

١١٥٨ ــ لا تظلمَنَّ اذا ماكنتَ مقتدراً
فالظلمُ آخرُه يأتيكَ بالنَّـدمِ
اذا كنت قويا فلا تظلم الناس ، فعاقبة الظـلم النـدم •

١١٥٩ ــ لا تُعجبَنَّ الجهولَ حُلَّتُه
فـذاكَ مَيْتٌ وثوبهُ كَفَنُ
الجاهل يعجب بثيابه ، وهو لا يدري أنه ميت وأن ثوبه هو كفنه •

١١٦٠ ــ لا تَعْجَلَنَّ فرُبَّمـا
عَجِـلَ الفتى فيما يَضُرُّهُ
لا تعجل ففي العجـلة الندامة والضرر •

١١٦١ ــ لا تقطعَنْ ذنَبَ الأفعى وترسلَها
إن كنتَ شهْماً فأتبعْ رأسَها الذَّنَبا
رأس الأفعى شـر من ذنبها ، فاذا قطعت ذنبها لم تفعل شيئا ، فأسرع وألحـق الرأس بالذنب •

١١٦٢ ــ لا تكتمَنَّ داءَكَ الطَّبيبـا
ولا الصـديقَ سِرَّكَ المَحْجوبا
لا تكتم عن الطبيب مرضك ، ولا عـن الصديق الوفي سـرك •

١١٦٣ ــ لا تلتمسْ من مساوي الناس ماستَروا
فيكشفَ اللهُ ستراً منْ مَساويكا
لا تكشف مساوىء النـاس المستورة ، فيكشف اللهمساوئك ويفضحك •

١١٦٤ ــ لا تمدحَنَّ امرأً حتى تجرِّبَهُ
ولا تَذُمَّنَّه من غـيرِ تجريبِ
لا تمدح أحـداً ولا تذم أحدا الا بعـد التجـربة •

١١٦٥ ــ لا تنتقمْ إن كنتَ ذا قدرةٍ
فالعفوُ من ذي قـدرةٍ أصلَحُ
اذا كنت قادرا فاعف ودع عنك الحقـد والانتقام ، فالعفو عند القدرة أحسن •

١١٦٦ ــ لا تنكِرَنَّ لذي النعماءِ نعمتَهُ
لا يشكرُ اللهُ من لا يشكرُ الناسا
لا تنكر احسان من أحسن اليك ، فالله لا يشكر من لا يشكر الناس •

١١٦٧ ــ لا تنكري عطَلَ الكريم من الغنى
فالسيلُ حَرْبٌ للمكانِ العالي
أيتهـا الصديقة ، لا تنكري أن يكـون الكريم فقيراً فالسيل يجرف تراب الجبل ليلقيه في الـوادي •

١١٦٨ ــ لا تنهَ عن خُلُقٍ وتأتيَ مثله
عارٌ عليكَ إذا فَعَلْتَ عظيمُ
اذا نهيت اخوانك عن خطـأ فلا تقـع في مثله ، والا فأنت مذنب ذنبا كبيراً •

١١٦٩ ــ لا تُهينَ الفقيرَ علَّكَ أن ترْ
كَعَ يوماً والدهرُ قَدْ رفَعَهْ
أحسن الى الفقير فربما أصبح الفقير غنياً وأصبحت فقيرا محتاجا اليه •

١١٧٠ ــ لا تيأَسنَّ مُضيقاً ان ترى فرَجاً
فربَّما اتسَعَ الأمرُ الذي ضَاقا

لا تيأس اذا أصابك ضيق فعقبى الضيق فرج •

١١٧١ ــ لا خيرَ في طمَعٍ يُدني الى طبَعٍ
وبُلْغةٌ من قِوامِ العيْشِ تكْفيني
الطمع شر ومهلكة ، وتكفيك لقمة عيشك •

١١٧٢ ــ لا خيرَ في غادرٍ مودّتُه
كالصابِ والقولُ منه كالعسَلِ
لا خير في رجل غادر لسانه كالعسل وفعله كالعلقم •

١١٧٣ ــ لا شيءَ أنفعُ للفتى من مالِه
يقضي حوائجَه ويَجْلبُ أُنسَهُ
المال أنفع شيء للفتى يقضي به حاجاته ولذاته •

١١٧٤ ــ لا يأكلُ الانسانُ إلا ما رُزِقْ
ما كلُّ أخلاقِ الرّجال تتّفِقْ
أيها الانسان أنت تأكل رزقك وحدك ، وأخلاق الناس متفاوتة •

١١٧٥ ــ لا يخْدَعنّكَ من عدوٍّ دمعُه
وارحَمْ شبابَكَ من عدوٍّ ترْحَمُ
اذا بكى عدوك فلا يخدعك بكاؤه ، وارحم نفسك •

١١٧٦ ــ لا يَصبرُ الحرُّ تحتَ ضيمٍ
وإنّما يَصْبِرُ الحمارُ
الحر لا يصبر على الذل ، وانما يصبر على الذل الحمار •

١١٧٧ ــ لا يصلحُ الناسُ فوضى لا سَراةَ لهم
ولا سَراةَ إذا جُهّالُهُمْ سادُوا
لا يفلح الناس ان لم تكن لهم رئاسة وزعامة ولا يفلحون كذلك اذا كان رؤساؤهم هم الجاهلين والمنحرفين •

١١٧٨ ــ لا تعجبَنّ مُضيماً حسنُ بِزّتِه
وهلْ يروقُ دَفيناً جَودَةُ الكفَنِ
لا يعجب الذليل بثيابه فإن الميت لا يعجبه كفنه ، مهما كان جميلا •

١١٧٨ ــ لا يغرّنّكَ ما ترى من رِجالٍ
إنّ تحتَ الضلوعِ داءً دَوِيّا
لا تغتر بهؤلاء الرجال الذين يحيطون بك ويحدثونك حديثا حلوا فلو كشفت عن قلوبهم لتبين لك فيها الداء والحقد •

١١٨٠ ــ لا يُقبَلُ الصدقُ من الكذابِ
وإن أتى بمنطقٍ عُجابِ
اذا عرف المرء بالكذب لا يصدق وان صدق •

١١٨١ ــ لا يَكذِبُ المرءُ إلا مِن مَهانته
أو عادةِ السوءِ أو من قلة الأدبِ
دوافع المرء الى الكذب ثلاثة : هوان نفسه عليه ، أو عادته السيئة ، أو قلة تهذيبه •

١١٨٢ ــ لا يكُنْ برقُك بَرْقاً خُلّبًا
إن خيرَ البَرْقِ ما الغيثُ مَعَهْ
لقد وعدتني فأنجز وعدك ، ولا تكن كالبرق الكاذب يلمع ولا يمطر فخير البرق ما صاحبه المطر •

١١٨٣ ــ لا يملأُ الأمرُ صَدْري قبلَ موقِعهِ
ولا يضيقُ به صَدْري إذا وقَعا

الحادثة من الحوادث لا تشغل بالي قبل أن تقع ، ولا يضيق بحملها صدري اذا وقعت.

١١٨٤ ــ لا ينفعُ الذكرُ قلباً قاسياً أبداً
وهل يَلينُ لضِرْسِ الماضغِ الحجَرُ

اذا حاولت بكلامك اصلاح قلب قاس أضعت وقتك فالحجر لا يكسر تحت الضرس .

حرف الياء

١٨٨٥ ــ يا أيُّها الرجُلُ المعلّمُ غيرَه
هلاّ لنفسِكَ كانَ ذا التعليمُ

ايها الرجل هلا علمت نفسك قبل أن تعلم الناس .

١١٨٦ ــ يا أيُّها اللاعبُ أينَ تذهبُ
جَدَّ بكَ الأمرُ وأنتَ تلعَبُ

أيها اللاعب ، ان الأمر جد وأنت لا تزال تعبث وتلعب فانتبه لنفسك .

١١٨٧ ــ يا أخا الخَفْضِ والدّعَهْ
نِمْتَ والأرضُ مُسْبِعَهْ

أيها الانسان السعيد أنت تنام وتغفل والارض التي تنام فيها ملأى بالسباع والوحوش.

١١٨٨ ــ يأبى الفتى إلا اتّباعَ الهوى
ومَنْهَجُ الحقِّ لهُ واضحُ

الانسان يتبع هواه ، ويترك طريق الحق والعقل .

١١٨٩ ــ يا رُبَّ احسانٍ يعودُ ذنباً
ورُبَّ سِلْمٍ سيَصيرُ حَرْبا

رب احسان ينقلب اساءة عند اللئام ، ورب سلم ينقلب حربا عند من لا يرعى العهود .

١١٩٠ ــ يا رُبَّ حُلوٍ سيصيرُ سُمّاً
ورُبَّ حَمْدٍ سَيَصيرُ ذَمّا

رب حلو صار سماً قاتلا ، ورب من حمدك اليوم ، وهو يذمك غدا .

١١٩١ ــ يا ربَّ هَزَلٍ كانَ منهُ الجِدُّ
وربَّ مزحٍ صارَ منهُ الحِقدُ

رب هزل انقلب جدا ورب مزح أورث حقدا .

١١٩٢ ــ يا رُبّما أورثَتِ اللجاجة
ما ليسَ للمرءِ إليهِ حاجَهْ

اللجاجة والإلحاح عاقبتهما الندامة والذم.

١١٩٣ ــ يا رُبما نالَ الغنيُّ رشدَهُ
وأخطأ السهمُ المصيبُ قصْدَهُ

ربما كان الغني عاقلاً وربما أخطأ السهم هدفه .

١١٩٤ ــ يا زائري مِنْ بعدِ يأسٍ رُبّما
تمَّ المُنى مِنْ بعدِ إرجاءِ الرّجا

لقد زرتني يا حبيبي بعد يأس من زيارتك وقد ينال الانسان أمله بعد قطع الرجاء .

١١٩٥ ــ يا عاقدَ العَقدِ جَهلا
هَلاّ تذكّرتَ حَلاّ

يا عاقد (الحبل) اذكر حله .

١١٩٦ ــ يا عَجَباً للدّهرِ
والدّهرُ ذو دَواهي

أعجب لمن يلهو ويغفل عما في الدهر من تقلبات ومصائب .

١١٩٧ — يا عجباً ممنْ يُحبُّ الدنيا
وليسَ للدنيا عليه بُقْيا
أعجب ممن يحب الدنيا وليس لها بقاء .

١١٩٨ — يا عجباً من نائمٍ ينامُ
وليسَ في الدنيا لهُ مقامُ
أعجب ممن ينام وهو يعرف أنه مسافر الى الموت .

١١٩٩ — يا قومُ أذني لبعضِ الحيِّ عاشقةٌ
والأُذْنُ تعشقُ قبلَ العينِ أحيانا
أنا أعمى ، ومع ذلك فقد سمعت صوت امرأة ناعماً فأحببتها ، وقد تعشق الأذن كما تعشق العين .

١٢٠٠ — يا واثقاً بزمانه
أخْطِرْ تَصَرُّفَهُ ببالِكْ
أيها الواثق من دهره تذكر أن الدهر ينقلب ويدور .

١٢٠١ — يَبكي على الذاهبِ من مالِه
وإنما يبقى الذي يَذْهَبُ
هذا الرجل يبكي على ما أنفق من ماله على الخير ، والحق أن ما أنفقه على الخير هو الذي يخلد ذكره ويبقى له .

١٢٠٢ — يبغي الحظوظَ أناسٌ من ظبىً وقناً
وآخرون بغوْها بالمشاريطِ
طلب الأرزاق مختلف فبعض الناس يطلبون الرزق والحظ بالحرب ، والسيوف والرماح ، وبعضهم يطلبونها بأدوات الحلاقة والصناعات .

١٢٠٣ — يجني الغِنى للئامِ لو عَقَلوا
ما ليسَ يجني عليهمُ العَدَمُ
ان الغنى يضر اللئام والاشرار أكثر مما يضرهم الفقر .

١٢٠٤ — يحبُّ الفتى طولَ البقاءِ وإنّه
على ثقةٍ أن البقاءَ فناءُ
كل انسان يحب الخلود وهو يعرف أن بقاءه هو طريق الفناء .

١٢٠٥ — يخفِي صنائعَها واللهُ يظهرُها
إن الجميلَ إذا أخفيتَه ظهَرا
الرجل الكريم يخفي عن الناس ما يفعله من خير ولكن فضله يظهر للناس ، والجميل يعرفه من يراه ، مهما أخفى نفسه .

١٢٠٦ — يخيبُ الفتى منحيثُ يُرزقُ غيره
ويُعطَى الفتى منحيثُ يُحرَمُ صاحبُه
الحياة على هذا الشكل : واحد يخيب سعيه وآخر يرزق وواحد محروم وآخر موهوب .

١٢٠٧ — يُرادُ من القلبِ نسيانُكم
وتأبى الطباعُ على النّاقلِ
يريد الناس أن ينساكم قلبي ، وقلبي لا ينسى حبه لكم .

١٢٠٨ — يرى الجبناءُ أن الجبنَ حزْمٌ
وتلكَ خديعةُ الطبعِ اللئيمِ
الجبان يرى الجبن حزما وعقلا ، ويخدع بذلك نفسه .

١٢٠٩ — يريدُ المرءُ أن يعطى مُناهُ
ويأبـى اللهُ إلاّ ما أرادا
كل انسان يريد أن يحقق آمالـه ولكـن القدر لا يعطيه كل ما يريد •

١٢١٠ — يريدُ المعالي عاطلٌ من أداتها
وهيهاتَ مِن مَقصوصةٍ طيرانُها
يريد أن يدرك المجد من لا يملك الشجاعة والارادة وكيف يطير الطير اذا كان مقصوص الجنـاح •

١٢١١ — يزدحمُ النـاس على بابـهِ
والمنهلُ العذبُ كثيرُ الزحامْ
هذا الرجل كريم يزدحم الناس على بابه يطلبون خـيره ، وكذلك النبـع الحلو يزدحم الناس حوله يطلبون ماءه •

١٢١٢ — يستصلحُ الناسَ وينسى نفسَهْ
وكلّما أصبحَ ينسى أمْسَهْ
هذا انسان يطلب صلاح الناس ويفعـل هـو الشـر وينسى عنـد الصباح ما قـاله أمس وما فعـله •

١٢١٣ — يسعى عليكَ كما يَسعى اليكَ فلا
تأمنْ غوائلَ ذي وجْهين كذّابِ
الكذاب ذو الوجهين لا يؤتمن فهو يحالفك على عدوك ويحالف عدوك عليك •

١٢١٤ — يسقطُ الطيرُ حيث يلتقطُ الحَـ
بَّ وتُغْشى منازلُ الكرَماءِ
يقصد الناس منزل الرجل الكريم كمـا تقصد العصافير بيادر الحب •

١٢١٥ — يَشتهي الانسانُ في الصيفِ الشّتا
فإذا جـاءَ الشّتا أنْكَرَهُ
ما أعجـب الانسان : اذا كـان الصيف اشتهى الشتاء ، واذا جاء الشتاء طلب الصيف •

١٢١٦ — يُعتبَرُ المُرْسِلُ بالرسولِ
وما عـلى الرسولِ من سَبيلِ
الرسول (المبعوث) لسان من أرسـله اليك ، فاذا أخطأ أو أصاب فليس لك عليـه عتاب ، لأنه ينطق باسم صاحبه •

١٢١٧ — يَعْقُبُ الصبرَ نجاحٌ وغنى
ووراءُ الفقر من نَسْجِ الكسَلْ
عاقبة الصبر النجاح وعاقبة الكسل الفقر •

١٢١٨ — يفدي بَنيكَ عُبيدَ اللهِ حاسدُهم
بجبهةِ العَيْرِ يُفدى حافرُ الفرَسِ
الحاسدون فداء لأولادك العظماء وحافر الفرس الأصيل يفدى بجبهة الحمار •

١٢١٩ — يقرِّبُ الشوقَ داراً وهْيَ نازحةٌ
من عالجَ الشوقَ لم يَسْتبعِدِ الدارا
شوقي الى الأحباب والأهـل يقرب عليَّ دارهم ، وان كانت بعيدة ، والمحب لا يستبعد دار الحبيب •

١٢٢٠ — يقولُ المرءُ : راحلتي وزادي
وتقوى اللهِ أحسنُ ما استزادا
يحرص الانسان على بيته وطعامه ، وخير الزاد تقوى الله وخوف الشر •

١٢٢١ — يقولونَ — الزمانُ بـه فسادٌ
وهُم فسَدوا وما فسَدَ الزمانُ

قال بعض الناس : لقد فسد الزمان ، والزمان لا يفسد ، فهو ليل ونهار وقمر وشمس ، ولكن الناس هم الذين يصلحون أو يفسدون .

١٢٢٢ ــ يقولون : إنَّ العامَ أخلفَ نوءُه
وما كلُّ عامٍ روْضةٌ وغديرُ

يقولون : المطر قليل في هذا العام ، وليست الاعوام كلها خصيبة بل منها الخصيب ومنها الجديب .

١٢٢٣ ــ يقولونَ : أخبرْنا فأنتَ أمينُها
وما أنا إن أخبرتُهُمْ بأمينِ

يقول لي أصدقائي : أخبرنا أخبار حبيبتك فأنت أمين عندها تطلع لكعلى أسرارها ، ولكني أكتم أخبارها لأني لو أخبرتهم كنت خائنا ولم أكن أمينا .

١٢٢٤ ــ يقولون : لا تَنْظُرْ وتلكَ بليّةٌ
ألا كلُّ ذي عَيْنينِ لا بُدَّ ناظرُ

مرت بي امرأة جميلة فقال لي أصحابي لا تنظر اليها وكيف ذلك وكل من يملك عينين لا بد له من أن ينظر ويرى بعينيه .

١٢٢٥ ــ يَقي الكريمُ عِرضَه بمالِه
وعِرْضُ ذي اللؤمِ وقاءُ مالِه

الكريم يصون عرضه بماله ، واللئيم يصون ماله بعرضه .

١٢٢٦ ــ يموتُ الفتى منْ عثْرةٍ بلسانه
وليسَ يموتُ المرءُ منْ عثْرةِ الرِّجْلِ

قد يخطىء لسان المرء خطيئة تقتله ، وقل أن يموت اذا تعثرت رجله .

١٢٢٧ ــ يموتُ راعي الضّأنِ في جهلِه
ميتَةَ جالينوسَ في طِبّهِ

راعي الغنم الجاهل يموت مثل الطبيب العالم .

١٢٢٨ ــ ينسى مَضَرّتَهُ لنفعِ صديقِه
لا خيرَ في شرَفٍ إذا لمْ ينْفَعِ

هذا صديق مخلص ينفع صديقه ، وان أضر بنفسه ، ولا خير في صديق لا ينفع .

١٢٢٩ ــ يَنشا الصّغيرُ على ما كانَ أوّلُهُ
إنّ العروقَ عليها يَنبُتُ الشّجَرُ

الصبي ينشأ على أخلاق أهله ، كما تتفرع الأغصان من الأشجار .

١٢٣٠ ــ يَهوى البقاءَ خَشْيةَ الفَناءِ
وإنما يَفْنى مِنَ البقاءِ

فلان يحب البقاء خشية الموت ، وإنما يموت لأنه يعيش .

١٢٣١ ــ يوَدُّ الفتى طولَ السلامةِ جاهداً
فكيفَ ترى طولَ السّلامةِ يفعَلُ

يريد المرء أن يبقى سالما طول حياته ، والصحة طريق المرض ، والسلامة طريق الهلاك .

١٢٣٢ ــ يوَدُّ المرءُ أن يَحيْا سَليما
وما يَأتي لَهُ يَأتِي عَليه

يريد المرء أن يبقى سالما ، ولكن الأيام التي هي له الآن سوف تقضي عليه غدا .

النموذج التعاطفي في كتابة التراجم

سهيل عثمان

آمل أن يتضح هذا النموذج ويتبلور مفهومه من خلال دراسة مثال عليه من تراثنا وهو أسلوب ابن أبي أصيبعة في كتابه العلمي المسمى (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) وابن أبي أصيبعة هو أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي الدمشقي المولد · قيل انه ولد عام ٦٠٠ للهجرة وقيل بل ٥٩٦ من أسرة أطباء عرفت بالعلم والأدب ، فتزود بالثقافتين العامة والاختصاصية وغدا كحالاً أي طبيب عيون · وقد سافر في منتصف عمره الى مصر وعمل فيها وعاد الى دمشق بعد سنة ، ثم دعاه أمير صرخد للاقامة بقربه فلبى وأطال المكث في البلدة التي أعجبه هواؤها الى أن توفي فيها سنة ٦٦٨ هجرية (١٢٧٠ م) · وقد أسعفته ثقافته في تصنيف كتب عديدة كان عيون الأنباء ولم يزل أشهرها · يتألف الكتاب من أبواب متعددة تترجم للأطباء في مختلف العصور والأقطار وعند الأمم المختلفة فمن أطباء اليونان الأوائل الى تلاميذهم ، ومن أطباء العراق الى أطباء الشام ومصر ، ومن أطباء بلاد العجم الى أطباء الهند ، ومن أطباء العرب أثناء ظهور الاسلام الى الأطباء النقلة الذين أطلعوا أبناء العربية على طب السابقين ···

وبما أن كثيراً من فلاسفة الأزمنة القديمة كانوا من الأطباء أو على الأقل من الدارسين للعلوم الطبية فقد احتوى« العيون » على ترجمة العديد منهم ، وأصبح من المراجع الهامة المعينة في التعرف على الفلاسفة الاغريق والعرب وحكماء سائر الأمم· وقد أعجب المستشرق اوغست مولر بالكتاب ، فتتبع

مخطوطاته حتى حققه ودفعه الى مصطفى وهبة وكيل دار الكتب المصرية فطبعه في المطبعة الوهبية عام ١٨٨٢ م · وجاءت الطبعة في مجلدين ، وهي تدل على الجهد الذي بذله كل من أسهم فيها ·

ومن أجل التعرف على المنهج التعاطفي الذي اتبعه المؤلف في ترجمته شخصياته سنقوم بتحليل ترجمته لاحدى الشخصيات الأسطورية اليونانية القديمة ولفيلسوف يوناني ولطبيب عربي مخضرم ولفيلسوفين عربيين ·

أما الشخصية الميتولوجية اليونانية فهي شخصية اسقولاب اله الطب حسب معتقد الاغريق الوثنيين القدماء حيث نجد الكتاب يذكر اسمه وهو اسقلبيوس، ويذكر مختلف الروايات في اسم أبيه مع تعيين مراجعه أو كتابها على الأقل · فمن السجستاني المنطقي أنه ابن زيوس وعن جالينوس أنه قد قيل في أبيه انه أفولن (أبولون) وأنه فلاغواس · ويفسر تسميته فأسقلبيوس معناها في اليونانية مانع اليبس أي حافظ الصحة لأن الصحة في دوام الرطوبة الحية والموت في اليبوسة ، كما يروى أن بعضهم يرى في أصل التسمية اشتقاقها من البهاء والنور · وذكر أن أفلاطون قد ذكره في كتاب النواميس والسياسة · وينقل عن أخبار الجبابرة بالسريانية سمو ذكائه وعلمه · ويأخذ عن أبقراط وعن كتاب لجالينوس عن أبقراط هو كتاب (ايمان أبقراط وعهده) كما يورد القول لجالينوس ويتبعه بتفسير حنين بن اسحق له أو تعليله ··· وخلاصة صورة أسقولاب في نظر ابن أبي أصيبعة أنه انسان صالح موهوب ألهمه الله الطب ورفعه مكاناً علياً بعد موته وأنه تلميذ هرمس الملقب بعطارد والذي يقابل ادريس نبي الله وأنه جد أغلب الأطباء والفلاسفة اليونان · ويشير الى مسألة تأليهه اشارة سريعة واصفاً اياها بأنها احدى الخرافات · ويحاول تعليل كل ظاهرة من الظواهر المتعلقة به ، فقد عد ابن أبولون لأن الطبيب يحتاج الى شيء من العرافة ، وأما الذين عدوه ابن فلاغواس فلأن هذا الاسم مشتق من اللهيب فهو بذلك ابن القوة الملهبة الحيوانية لأن الحياة لا تكون الا بالحرارة، وقد اعتبرت فورونس (كورونيس) والدته لأن اسمها مشتق من الشبع واستفادة الصحة · ويتعرض لصورته مفسراً كل جانب من جوانبها ، فهو رجل ملتح جمته ذات ذوائب ، وقد اختلف الباحثون في سبب تصويره ملتحياً، فمنهم

من اعتقد أن هيئته كانت على هذا الشكل عندما انتهت حياته الأرضية ، ومنهم من ذهب الى أن صناعة الطب التي نسب اليها ونسبت اليه تحتاج الى الشيخوخة والعفة ، ورأى آخرون أنه صور ملتحياً على حين صور أبوه أمرد بسبب تفوقه في صناعة الطب على أبيه ثم يفسر تصويره حاملا عصا من شجرة نبات طبي ولماذا يرسم التنين[1] على تلك العصا ...

ويروي بعدئذ أنه علّم الطب ابنيه اللذين رافقا أغاممنون عند ذهابه الى فتح طرياس (طروادة) . وأخيراً نجد المؤلف ينقل عن كتاب الأمير أبي الوفاء مبشر بن فاتك في كتاب (مختار الحكم ومحاسن الكلم) باقة من حكم منسوبة الى أسقلبيوس مثل « كم دهر ذممتموه فلما صرتم الى غيره حمدتموه، وكم من أمر أبغضت أوائله وبكي عند أواخره عليه » ومثل : « اني لأعجب ممن يحتمي من المآكل الرديئة مخافة الضرر ولا يدع الذنوب مخافة الآخرة » وقيل له : صف لنا الدنيا فقال : « أمس أجل واليوم عمل وغداً أمل » وقال : « المتعبد بغير معرفة كحمار الطاحون يدور ولا يبرح ولا يدري ما هو فاعل » الى غير ذلك من الحكم التي تجعله مألوفاً عند قارئي كتاب عيون الأنباء غير غريب في نظرهم .

وملاحظتنا الأخيرة السابقة هي التي قادتنا الى التوقف عند الظاهرة التعاطفية في منهج ابن أبي أصيبعة ، فهو عندما يرى الباحثين مختلفين حول أمر من الأمور أو يجد أن الأمر يحتمل الاجتهاد يميل الى تبني الاجتهاد الايجابي الذي يعطي لمترجمه صورة مقبولة في نظر قرائه ، ويسمح بتقريب العقول بعضها الى بعض ، ويجعل نظرات الماضين معقولة في نظر اللاحقين . وقد رأيناه يعتقد في أسقولاب أنه رجل صالح موهوب ملهم وليس الهاً للطب وهو بذلك قد عاد الى أصل هذه الشخصية التي أدت المبالغة في شأنها الى تكون المعتقد الأسطوري عنها ، كما عبر عن تقدير القدماء لها بلغة التقدير التي يعرفها أبناء عصره فاستأنسوا بدلا من أن ينفروا . وقد ذكر أثناء البحث عدداً من آلهة يونان وأبطالها مثل زوس وديونيزوس وديمترا وهيبايستوس وهرقل واعتبرهم جميعاً ـ كما يرجح أن يكونوا عليه في الأصل ـ أناساً نابهين تمتعوا بالمواهب وقدموا العطاء .

١ ـ لعل المقصود بالتنين : الحية التي ترافق اسقولاب . فمن معاني التنين انه الأفعى العظيمة .

وينظر صاحب العيون بعين الفهم الى الفن الاغريقي القديم فأجزاء صورة أسقولاب المرسومة أو المنحوتة لم تأت عبثاً بل عن حكمة رمزية تناسب ما اشتهر به مؤسس الطب فكأنه يريد أن يقنع الناطقين بلغته أن أبناء الحضارات الأخرى يفكرون ويجتهدون ويحاولون أن يعملوا بمقتضى الحكمة ومن المناسب للمرء أن يطلع على محاولاتهم ويتفهمها ويقدرها حق قدرها ٠

فاذا ماتركنا أسقليبيوس الذي يعتبر أدخل في باب الشخصيات الأسطورية منه في مجال التاريخ وانتقينا فيلسوفاً عاش تاريخياً بشكل أكيد ودقق في أمره القدماء والمحدثون وهو أرسطوطاليس بن نيقوماخوس نجد صاحب العيون يفسر الأسماء اليونانية ٠ أرسطوطاليس هو تام الفضيلة وتفسير اسم نيقوماخوس هو قاهر الخصم وكأن هذه التفسيرات اللغوية وايحاءاتها تخدم منهجه التعاطفي ٠ ثم يرجع نسبه الى أسقليبيوس رأس الأطباء ٠ عن طريق أبيه الطبيب وأمه ٠ وبعد أن يذكر مكان ولادته المعروف يروي قصة تعلمه في أقاديميا فلاطن (أكاديمية أفلاطون) وهي أيضاً معروفة ولكن صاحب العيون ينقل عن مراجعه ما يجعل لها هالة خاصة،فقد ذكر قوم أن تسليم أرسطو الى أفلاطون لتعليمه تم بوحي من الله في هيكل بوثيون وكأنه ينبه قارئه الى ألا يأخذ الأمور بضيق الأفق بل عليه أن يوسع نظرته فكل الهياكل يقصد بها الله وان اختلفت المظاهر والتسميات ٠

ويتم قصة حياته وتعليمه باللوقيون ثم تأديبه الاسكندر المقدوني ورحلاته بين أثينا وسواها الى خروجه الأخير عند شروع أحد الكهنة في تأليب الرأي العام وتحريك الدعوى ضده بتهمة الخروج على الدين ، وقد استطاع الرحيل قبل أن يناله أحد بسوء وقبل أن يضطر الى تقديم الاعتذار الذي نسبه بعضهم اليه ٠٠٠ ثم يذكر تقدير أهل مدينته اسطاغيرا له في حياته وبعد موته لأنه واضع سننهم أو دستورهم وتقدير الآثينيين له ومقاومتهم من خالف ذلك ويذكر فضله ومروءته واحسانه الى الناس والتوسط لغيرهم لدى الملوك الذين قدروه حق قدره ٠ ويذكر أن أفلاطون كان يلقبه العقل وكان لا يشرع في الدرس حتى يأتي وقد ولاه ادارة الأكاديمية أثناء سفره الثاني الى صقلية ٠ ويروي عن المسعودي من غير تعليق أنه رأى في مكان الهيكل القديم في باليرمو بصقلية خشبة عظيمة معلقة في الهواء قيل له إن الروم ــ وهم اليونان

والرومان هنا ــ وضعت جثمان الحكيم أرسطو فيها لكي تدعو به الله لأغراضها.. ويصف أوضاعه العائلية وهيئته الجسمية وطريقته في الحياة وهي طريقة الفيلسوف الجاد في البحث مع حب الفن ··· ويذكر اختلاف الباحثين في مدة عمره وهل كان ٦٦ عاماً أو ٦٧ أو ٦٨ عاماً ؟ بل ان منهم من يجعله قد عمر طويلا · ثم يذكر قائمة بأسماء كتبه مصنفة بحسب عدة محاور للتصنيف ·

وينقل عن حنين بن اسحق قصة أرسطو الغلام اليتيم الذي كان يخدم أفلاطون أثناء تعليمه لابن الملك الحاكم في زمانه فكانت النتيجة أن ابن الملك استخف بما ألقى اليه الفيلسوف من الحكم فلم يستطع أن يتحدث بشيء حين اجتمع كبار المملكة لامتحانه والابتهاج به وتقدم أرسطو فنطق بما ملأ الجمع بالاعجاب وبما أثلج صدر أستاذه فكان محل انعام الملك · ثم يذكر طرفاً من الحكم التي فاه بها مثل « باصابة المنطق يعظم القدر ··· وبالحلم تكثر الأنصار ·· » الى غير ذلك من الحكم المألوفة · الا أن ما يلفت النظر في هذه القصة أن أرسطو يسمي نفسه أرسطوطاليس بن يولمبيس وليس ابن نيقوماخوس· ثم يعود الى ذكر حكم أرسطو منقولة عن مبشر بن فاتك مثل (اعلم أنه ليس شيء أصلح للناس من أولي الأمر اذا صلحوا ولا أفسد لهم ولأنفسهم منهم اذا فسدوا··· اذا فكرت في الدنيا لم تجدها أهلا لأن تكرمها بهوان الآخرة لأن الدنيا دار بلاء ومنزل بلغة ··· اذا أردت الغنى فاطلبه بالقناعة ان كان لا بد لك من اشغال نفسك بلذة فليكن بمحادثة العلماء ودرس كتب الحكمة ··· اعلم أن كثرة أعوان السوء أضر عليك من فقدان أعوان الصدق··· أي ملك نازع السوقة هتك شرفه··· ليكن غضبك بين المنزلتين لا شديداً قاسياً ولا فاترا ضعيفاً فان ذلك من أخلاق السباع وهذا من أخلاق الصبيان ··· انا لنحب الحق ونحب أفلاطون فاذا افترقا فالحق أولى بالمحبة ·· ليس زيادة القوة بكثرة ما يرد البدن من الغذاء بل ولكن بكثرة ما يقبل منه ···) ويروى بعض ما ينسب اليه من وصايا لتلميذه الاسكندر وبعض حكاياته معه وقصة أمره ببناء مثمن على قبره تنقش عليه ثماني جمل فيها جماع مصلحة الناس تتعلق بالسياسة وتبين قيمة القوة والمال والعدل والدستور في ثبات الحكم وتأديته مهمته ، وقد رسم صاحب العيون مخططاً للمثمن وعلى كل ضلع جمله ·

ثم يعود الى التوسع في ذكر كتب أرسطو ناقلا عن بطليموس الذي يسميه بطلميوس وعن أندرونيقوس، كما يذكر الكتب التي شاهدها بنفسه دون أن ترد عند هذين ومن الجملة رسالة في التوحيد على مذهب سقراط وكتاب القول على الربوبية وأعتقد أن هذا الكتاب الأخير هو الذي نسب خطأ الى أرسطو وهو في الأصل من تاسوعات أفلوطين ومصدر الخطأ هو عبد المسيح ابن عبدالله بن ناعمة المترجم[1] • وهذه القوائم لكتب أرسطو احتوت على كتبه المعروفة في التعاليم (الرياضيات)والهيئة (الفلك) والمنطق والطبيعة وما وراء الطبيعة والنبات والحيوان والطب والنفس والسياسة والأخلاق •• ومن أبرز مراجعه عن أرسطو كتاب (المسالك والممالك للمسعودي ، وكتاب ابن جلجل عن أرسطو وكتاب (مختار الحكم ومحاسن الكلم) لمبشر بن فاتك ، وكتاب (نوادر الفلاسفة) لحنين بن اسحق ، والفهرست لابن النديم ، كما يستعين ببطليموس والفارابي والقاضي صاعد في كتابه (التعريف بطبقات الأمم).

وقد لاحظت أن العيون لم يعرض فلسفة أرسطو كمذهب متكامل يشمل بشكل متسلسل آراءه في العالم والمحرك الأول والصورة والمادة وأنواع النفوس ونظرياته في الفضيلة وأنواع الحكومات ومنطقه وما يحتوي عليه من نظريات في المقولات والأقيسة والبراهين ثم نظرياته الفنية وان عدّد الكتب التي تحتوي على كل هذه المضمونات فكأن الكتاب مؤلف لغير المختصين موجه الى طلاب الثقافة العامة الذين يريدون أن يأخذوا فكرة عن كبار رجال الفكر الأطباء • والمؤلف يعاملهم بذكاء فهو يعرض لهم رجل الفكر عرضاً حياً تختلط فيه السيرة بالفكرة بالحكاية بالقائمة المكتبية حتى يدفعهم الى متابعة الاطلاع والرغبة فيه فيجدون مراجعهم للتوسع مسرودة أمامهم • ولعله من أجل هذه الغاية لم يخض في مسائل الخلاف حول أرسطو وعقيدته وما دار من جدل حولها وبشكل خاص فيما يتعلق بقدم العالم ومصير النفوس الفردية بعد الموت والصفات الالهية عنده • وينتهي القارىء من قراءة ترجمة أرسطو في العيون محباً له باعتباره حكيماً نبيلاً علامة داعية اعتدال وعدل وتوازن وعقيدته لا غبار عليها •

١ ـ عن كتاب افلوطين عند العرب • تحقيق وتقديم عبد الرحمن بدوي • بداية كتاب : القول على الربوبية بعد التصدير العام •

فاذا ما تركنا الفيلسوف اليوناني الموسوعي وعدنا الى البلاد العربية نجد طبيباً مخضرماً عاش بين الجاهلية والاسلام هو الحارث بن كلدة الثقفي • ويذكر صاحب العيون أنه طاف في البلاد وتعلم الطب في فارس وينوه بتعلمه ضرب العود وعاش حتى خلافة معاوية • وقد سأله معاوية : ما الطب يا حارث ؟ فقال : الأزم يعني الجوع (وللأزم عدة معان لعل أقواها في هذا المقام هو الحمية والامتناع عما يضر) وقد أعطى الجواب نفسه حين سأله عمر بن الخطاب عن الدواء • ويروى أنه قابل كسرى أنوشروان وجرت بينهما محاورة دافع فيها الحارث عن العرب وبيّن فضائلهم ، وأجاب عن عدد من الأسئلة الصحية تدل على استمداده طبه من التجارب الشخصية والشعبية فالداء الدوي هو ادخال الطعام على الطعام • وذم التخمة ، ودعا الانسان الى ألا يدخل الحمام وهو شبعان • (وموضوع الحمام هنا يثير اشكالا لأن الحمام لم تكن موجودة في مواطن العرب الأساسية أو تكون قسماً هاماً من حياتهم فاما أن يكون الحارث ملماً بالحمام وما يتعلق بها أثناء جولاته أو تكون القصة أو هذا الجزء من الحوار قد وضع في عصر متأخر ثم تسرب الى عيون الأنباء)وفاضل بين الفواكه كما فاضل بين الأزهار واعتبر الهندباء والخس أفضل البقول •

وفي الحوار ما يدل على أن الطب المنسوب للحارث بن كلدة متأثر بالطب اليوناني القائم على نظرية الطبائع والأمزجة الأربعة ، يتبين ذلك من هذا القسم من الحوار (قال فعلى كم جبل وطبع هذا البدن ؟ قال على أربع طبائع، المرة السوداء وهي باردة يابسة والمرة الصفراء وهي حارة يابسة ، والدم وهو حار رطب والبلغم وهو بارد رطب) ، ونصح بالحقنة وفاضل بين معاشرة العجوز ومعاشرة الشابة من الناحية الصحية••• وفي البحث يستخدم المؤلف الرواية الشفهية أحياناً حين يذكر مثلا أن شخصاً يسمى حرب بن محمد قال : قال أبي••• وقال داود بن رشيد عن عمرو بن عوف ••• ويروي قصة الأخوين الثقفيين ومرض أحدهما واستخدام الحارث النبيذ لمعرفة دخيلته واكتشاف الهوى الذي أمرضه ، وهذا اهتمام بالآثار النفسية على صحة الجسم ومرضه • ويذكر اعجاب الرسول سلام الله عليه بطبه وثقته به حين أمر أن يكلف بمعالجة سعد بن

أبي وقاص · ومن المراجع التي يذكرها ابن جلجل · وينسب الى الحارث كتاب المحاورة في الطب بينه وبين كسرى أنوشروان ·

وهكذا تتجلى طبيعة المنهج التعاطفي الذي اتبعه ابن أبي أصيبعة فالترجمة متعاطفة مع المترجم له ، تعتز بقومه وبقوم المؤلف وهم العرب ، ولا تأنف مع ذلك من التعلم في فارس ومن الأخذ عن الطب اليوناني القديم ولا تتشنج تجاه الضرب بالعود والاستفادة من النبيذ وتداخل قضايا القلب الدموي بقضايا القلب العاطفي ·

فاذا ما انتقلنا الى تحليل ترجمة العيون لابن سينا نجده يذكر اسمه ولقبه وشيئاً من نسبه فهو الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي ابن سينا · ثم يبين منهجه في التعريف به وهو منهج قائم على الأخذ عن وصف ابن سينا نفسه بنفسه وما وصفه به تلميذه المباشر الملازم له أبو عبيد الجوزجاني ، ويلتزم بهذين المصدرين في أغلب البحث وهكذا يروي لنا العيون تاريخ حياة ابن سينا وضمنها موطن أهله وأين ولد ومن هم شيوخه وتعلمه المبكر وتنوع علومه ، والمناصب التي تقلدها والحكام الذين عمل عندهم طبيباً ووزيراً ، والحكام الذين لم ينسجم معهم وسجنه ، وثورة العسكر به وتنقله في البلاد ومؤلفاته ومناظراته ، وطباعه وأخلاقه مثل انكبابه على البحث واللذة ، وقصة مرضه الأخير وكيف تآمر عليه غلمانه عند مزج الدواء الى موته في همذان ــ وقد وردت في العيون همدان ــ سنة ٤٢٨ للهجرة وكانت ولادته سنة ٣٧٥ في أفشنة من ضياع بخارى ·

وليس من مهام بحثنا أن يعيد ذكر كل جوانب حياة ابن سينا الحافلة فهي متوفرة في عدة مراجع قديمة وحديثة ولكن تهمنا بعض الاستخلاصات التي تلقي أضواء مفيدة على عصر ابن سينا وشخصيته ومنهج صاحب العيون · فمن هذه الاستخلاصات قيمة الطب في عصر ابن سينا عند كبار القوم الذين يشعرون بأنه وسيلة لابقاء قوتهم وقدرتهم على الحكم والتغلب وتحقيق الأهداف ومن الأدلة على ذلك أن سبب دخوله دار كتب نوح بن منصور سلطان بخارى الساماني هو مرض هذا السلطان وعلاج ابن سينا له فأصبح من المقربين والطب أيضاً هو سبب تقريبه من مجد الدولة ثم من شمس الدولة ·

ومن ملاحظاتنا اهتمام الدول يومئذ بأمر الثقافة والكتب اذ يصف ابن سينا دار كتب السامانيين في بخارى قائلا : (٠٠ فدخلت داراً ذات بيوت كثيرة ، في كل بيت صناديق كتب منضدة بعضها على بعض ٠ في بيت منها كتب العربية والشعر ، وفي آخر الفقه ، وكذلك في كل بيت كتب علم مفرد ، فطالعت فهرست كتب الأوائل وطلبت ما احتجت اليه منها ٠٠٠)

وفي أيامه كانت أنوار الحضارة العربية الاسلامية شديدة السطوع في بلاد فارس وما وراء النهر ، وكانت لغة الثقافة هي العربية في الغالب وان تشمر لها قوم ليسوا من أصول عربية ٠ كان الملوك يتنافسون في ضم العلماء الى بلاطاتهم، وحين ظفر علاء الدولة بوفود ابن سينا عليه رتب مجلساً أسبوعياً للعلم والمناظرة يجول فيه الفيلسوف ويصول ٠ وكانت التساؤلات كثيرة حتى ان بعض كتب ابن سينا ألفت لبعض جيرانه وأصدقائه مثل أبي حسين العروضي الذي ألف له كتاب المجموع ومثل الفقيه البرقي الذي ألف له كتاباً آخر ، وكانت ترده تعليقات على مؤلفاته ومطالبات بالايضاح وتجرى مباحثات بينه وبين علماء عصره مثل أبي الريحان البيروني الذي التحق بالغزنويين بينما انضم ابن سينا الى البويهيين بعد انطفاء أمر السامانيين وقد تعلم ابن سينا مبادىء حساب الهند على يد بقال ٠ وقد يجري السؤال والجواب الطبيان على شكل حوار شعري ٠ فقد أرسل مثلا الوزير أبو طالب العلوي الى ابن سينا الاستشارة الطبية التالية عن بثر في جبهته ٠

صنيعة الشيخ مولانا وصاحبه — وغرس انعامه بل نشء نعمته
يشكو اليه أدام الله مدته — آثار بثر تبدى فوق جبهته
فامنن عليه بحسم الداء مغتنماً — شكر النبي له مع شكر عترته

فأجابه الشيخ الرئيس بمقطوعة شعرية منها :

الله يشفي وينفي ما بجبهته — من الأذى ويعافيه برحمته
أما العلاج فاسهال يقدمه — ختمت آخر أبياتي بنسخته
وليرسل العلق المصاص يرشف من — دم القذال ويغني عن حجامته
واللحم يهجره الا الخفيف ولا — يدني اليه شراباً من مدامته ٠٠٠

وقد كان ابن سينا ابن عصره الشرعي فهو شخصية متعددة الجوانب ، انه طبيب فيلسوف سياسي شاعر نديم مغامر فلكي لغوي ، يؤلف الكتب بالعربية غالباً وبالفارسية قليلا ، ممتلىء حيوية ونشاطاً لا يثنيه سفر ولا سجن عن متابعة مشروعاته فقد ألف رسالة حي بن يقظان التي كنى بها عن العقل الفعال وهو سجين في قلعة فردجان ، وفي مرة أخرى تابع التأليف وهو متوار حذر الاعتقال أو القتل تطيب له الخمر وأن عدها تداوياً لا تلهياً كما حببت اليه المرأة · يدل شعره على غنى شخصيته مع وحدتها القائمة على نور الثقافة فهو صاحب قصيدة النفس الشهيرة التي مطلعها :

هبطت اليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

وعدتها في العيون عشرن بيتاً وقد وردت دون تعليق وله شعر في الزهد مثبت في العيون وفي الحنين الى الديار والشباب وفي الغزل وفي تصوير أوضاع حياته · وتظهر ثقافته الفلسفية من هذا البيت الذي قاله عندما كان سجينا :

دخولي باليقين كما تراه وكل الشك في أمر الخروج

ويقول التشبيه في هذين البيتين على فكرة علمية في زمانه :

أوليتني نعمة مذ كنت تلحظني كأني الكفاة بعيني مجمل النظر
ان اليواقيت ـ فيما قيل ـ نشانها من حسن تاثير عين الشمس في القمر

ويظهر العلم أيضا في هذين البيتين :

أشكو الى الله الزمان فصرفه أبلى جديد قواي وهو جديد
محن الي توجهت فكأنني قد صرت مغناطيس وهي حديد

ويذكر له بعض القطعات الخمرية ومن عادة ابن أبي أصيبعة أن يثبت بحر كل قصيدة أو قطعة يذكرها فهذه من البسيط وتلك من الكامل ··· ثم يروي له أبياتاً يقول بتشكك انها اذا أنشدت أثناء تألق كوكب عطارد أفادت خيراً وعلماً ·

ثم يروي قصيدة تنبؤية توقع ناظمها حوادث المستقبل حتى اجتياح التتار البلاد وردهم على يد الملك المظفر قطز وهي حوادث جرت في زمان

ابن أبي أصيبعة الذي يثبت سنواتها بالمناسبة ولكنه يشك في نسبة القصيدة الى ابن سينا وان أوردها في ترجمته .

وعلى عادة العيون فان مذهب ابن سينا الفلسفي لا يشرح ولا يلخص بل يكتفى بما أشرنا اليه من ترجمة حياة ومؤلفات وأشعار فضلا عن بعض الأقوال الحكمية التي تصوره معتدلا فمن كلامه وصية أوصى بها أحد أصدقائه وهو أبو سعيد ابن أبي الخير الصوفي : « ليكن الله تعالى أول فكر له وآخره وباطن كل اعتبار وظاهره ... مسافراً بعقله في الملكوت الأعلى وما فيه من آيات ربه الكبرى ...

ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

وليعلم أن أفضل الحركات الصلاة وأمثل السكنات الصيام وأنفع البر الصدقة .. والحكمة أم الفضائل أما اللذات فيستعملها على اصلاح الطبيعة وبقاء الشخص أو النوع أو السياسة، أما المشروب فان يهجر شربه لا تلهياً بل تشفياً وتداوياً ... ويعظم السنن الالهية ويواظب على التعبدات البدنية .. »

وتظل سيرة ابن سينا شاهدة على نبوغه مثيرة للتعاطف معه وان ذكرت له بعض المقطوعات الخمرية ، فقد أورد له قوله انه يرضى بالخمر تشفياً لا تلهياً . ومع أن المؤلف جاء في عصر ما بعد الغزالي فانه لم يثر المسائل التي أثارها الغزالي حول عقيدة الفلاسفة ومنهم ابن سينا كالقول بقدم العالم وأن البعث يكون بالأرواح دون الأجساد وأن علم الله يتناول الكليات دون الجزئيات ولا أفسر ذلك بعدم اطلاعه عليها لأن الجو العلمي كان يتداول أمثال هذه المسائل تحريرياً وشفهياً ، وابن أبي أصيبعة يعرف أن لابن رشد كتاباً في الرد على الغزالي[1]، والسبب الذي أرجحه لعدم الخوض في قضية صحة عقيدة ابن سينا هو ارادته الواعية التي ارتضت المنهج التعاطفي الايجابي المشجع على احترام أولئك المفكرين الذين يترجم لهم فضلا عن أنه ينظر الى العقيدة السليمة بمنظار واسع غير ضيق .

---

١ ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء ـ الجزء الثاني صفحة ٧٧ ـ القاهرة ١٨٨٢ .

وحين يترجم لأبي الوليد ابن رشد يذكر اسمه القاضي أبو الوليد محمد ابن أحمد بن محمد بن رشد ولد بقرطبة ونشأ بها • ثم يذكر فضله وذكاءه وعنايته بالعلوم المختلفة واشتغاله بالتأليف فيها • ويعدد بعض كتبه في الفقه والطب والفلسفة كشروحه على أرسطو وتعليقاته على الفارابي وابن سينا وكتاب تهافت التهافت ، ويبدو أنه اعتنى في الطب بشرح جالينوس كما اعتنى في الفلسفة بشرح أرسطو • ويتتبع مناصب القضاء التي وليها ثم تقريب ملك الموحدين الناصر له ثم امعان ابنه المنصور في تقريبه حتى أن ابن رشد تشاءم من شدة التكريم • ويتعرض لنكبته من عزل ونفي واضطهاد للتلاميذ والأنصار • ويقول المؤلف أن الملك أظهر أنه فعل ذلك بهم لاشتغالهم بعلوم الأوائل • ولا يتعاطف العيون مع ناكبي ابن رشد باسم العقيدة ، والدليل على ذلك أنه لا يذكر شيئاً من التهم التي وجهت الى معتقده ولا يدل على مطعن فيه • وكل ما يذكره هو أمور دنيوية مما يهم الملوك والحكام مثل مخاطبة ابن رشد للملك بعبارة « بتسمع يا أخي » ومثل اتهامه اياه بأنه لقبه بملك البربر ودفاع الفيلسوف بأن قصده ملك البرين والذنب ذنب النسخ • ويروى أن السبب المباشر للعفو عنه كان شهادة وفد من أعيان اشبيلية بحسن عقيدته • وينسب اليه القول الشهير « من اشتغل بعلم التشريح ازداد ايماناً بالله » •

ويستخدم المؤلف الرواية الشفهية أثناء ترجمة ابن رشد اذ يقول (حدثني القاضي مروان الباجي قال : « كان القاضي أبو الوليد ابن رشد حسن الرأي ذكياً رث البزة قوي النفس ••• ») • وعلى كل حال فان ترجمة ابن رشد لم تكن من الاتساع والتنوع اللذين عرفتهما كل من ترجمة ابن سينا وأرسطو ، ولعل السبب هو أن البعد الزمني الفاصل بين صاحب العيون وبين هذين الفيلسوفين كان ممتداً بشكل يكفي لتداول سيرتهما وانتشار الحكايات عنهما وتردد أقوالهما على أن ابن رشد توفي تقريباً عند ولادة ابن أبي أصيبعة •

ويظل المنهج التعاطفي واضحاً في الصفحات القليلة التي خص بها ابن رشد ولعل ما أوردناه منذ قليل يكفي دليلا على ذلك •

وهذا المنهج التعاطفي الذي اتبعه صاحب العيون ان دل على شيء فانما

يدل على سعة أفق هذا الطبيب الباحث واحترامه العميق للثقافة والمسهمين في اغنائها • ومن أكبر مظاهر احترامه الثقافة هو تمجيده للفلسفة والفلاسفة على خلاف ما كان يفعله كثير من متعلمي عصره والعصور التالية له • ان عبدالرحمن بن خلدون نفسه قد هاجم الفلسفة من وجهة نظر قريبة من وجهة نظر الغزالي غالباً مع أنه يعد من مفاخر الفلسفة العربية ومع أنه استفاد كثيراً من آراء الفلاسفة السابقين عليه • وأما ابن أبي أصيبعة فانه يقول في وصف أحد أبناء عائلة ابن خلدون السابقين على عبدالرحمن (••• وكان متصرفاً بعلوم الفلسفة مشهوراً بعلم الهندسة والنجوم والطب مشبهاً بالفلاسفة في اصلاح أخلاقه وتعديل سيرته وتقويم طريقته •••) وهذا الخلدوني الذي وصفه صاحب العيون هكذا هو أبو مسلم عمر بن أحمد ابن خلدون الحضرمي من أشراف أهل اشبيلية التي توفي فيها عام ٤٤٩ للهجرة • والنتيجة التي نتوصل اليها من خلال كل هذه الأمثلة والتعليقات أن كتاب عيون الأنباء كتاب يحقق أهم شروط الأدب العلمي وهو استثارة حماسة القارىء وتجاوبه مع المفكرين ومعاناتهم الفكرية لكي تقبل نفسه على خوض غمار العلم والبحث فاما أن يصل الى مرحلة التدقيق والتأمل العميق ، واما أن يظل على الشاطىء ينظر الى بحر الفكر باعجاب ويعتز بما يلقي اليه من لآلىء ويمد اليها يده بالصقل والصيانة ويعمل على نشر فضلها بدلا من سحقها أو نبذها • وليس ابن أبي أصيبعة وحيداً في هذا المنهج عبر تاريخنا الفكري كما نأمل أن نبين في المستقبل •

سهيل عثمان ١٩٧٩/٧/١

★ ★ ★

الاستشراق

تقديم : عبدالنبي اصطيف

« الاستشراق » Orientalism لادوارد سعيد ، كتاب جديد صدر في أواخر العام الماضي ، وغدا الشغل الشاغل لدوائر الاستشراق في المملكة المتحدة وامريكا ، يناقشه المستشرقون ويحللونه ، يتدارسون افكاره حائرين ماذا يفعلون ، يهاجمون بعضها ويقرون ببعض ، وحالهم كحال الذين شغلوا بشعر المتنبي • لقد فتح الكتاب اعينهم على حقيقة مريرة ، وفاتحهم بواقعهم الذي يعيشون فيه : ان الشرق الذي تدرسونه ، وتكتبون حوله ، وتناقشون شؤون اهله ، بعيد جدا عن الشرق الحقيقي ، انه مجرد تصور خلقتموه ، وعشتم معه وصحبتموه طويلا ، وان الطريق التي سلكتموها منذ ان خلق الاستشراق لن تقودكم الى شيء ، تلك هي رسالة الكتاب اليهم •

والأستاذ الدكتور ادوارد سعيد ، هو عربي فلسطيني يدرس في جامعة كولومبيا ، وهو برفيسور بار Parr للأدبين الانكليزي والمقارن فيها ، كان أستاذا زائرا للأدب المقارن في جامعة هارفارد ، وزميلا في « مركز الدراسة المتطورة في العلوم السلوكية « Center for Advance Study in the Behavioral Sciences » في ستانفورد • كما والقى محاضرات Gauss في النقد في جامعة برنستون عام ١٩٧٧ • وقد نال كتابه (بدايات : قصد ومنهج) Beginning : Intention and Method جائزة اليونيل تريللنغ Lionel Trilling من جامعة كولومبيا • وهو واحد من ابرز نقاد الأدب في الولايات المتحدة الأمريكية •

وقد ظفر كتابه الأخير « الاستشراق » باهتمام قل ان يحظى به كتاب حديث ، فقد ظهرت عنه عشرات المراجعات التي كتبها ابرز اعلام المستشرقين في مختلف الصحف والمجلات ، في أوربا وامريكا ، والقيت فيه العديد من المحاضرات ، ونوقش في مختلف الدوائر الثقافية في ندوات خاصة وعامة •وكان من ابرز من كتب عنه الأستاذ البرت حوراني الزميل في كليه سانت انتوني واستاذ تاريخ الشرق الأوسط الحديث في كلية الدراسات الشرقية بجامعة اكسفورد ، وصاحب مؤلفات عديدة ، ربما كان من ابرزها « الفكر العربي في عصر النهضة » الذي ترجم الى العربية • وقد استاذن صاحب هذه السطور الأستاذ حوراني في ترجمة مقالته فوافق مرحبا ، وتفضل فنظر في الترجمة بعد الانتهاء منها •

وبالطبع فاني اود أن الفت انتباه القارىء الى ان ترجمة مقالة الأستاذ حوراني لا تعني موافقته على جميع آرائه في الكتاب فرغم ان مقالته تمثل وجهة نظر جادة ينبغي ان تؤخذ بعين الاعتبار ، لأنها تصدر عن مستعرب عربي ذي خبرة واسعة بشؤون الاستشراق والدراسات الاستشراقية ، الا أنها من جهة اخرى غير بعيدة عن متناول النقد ، واخيرا اود الاشارة الى انها كتبت باسلوب متميز حقا • ويبدو لي ان ذلك عائد الى تاثير غير مباشر لاسلوب كتاب « الاستشراق » في اسلوب مراجعه • وقد حاولت ما امكنني ان انقل شيئا من هذا الأسلوب في ترجمتي للمقالة التي كادت ان تكون في فقرات منها قطعة ادبية رائعة •

آب ١٩٧٩
كلية سانت انتوني اكسفورد

الطّريق إلى المغرب [1]

قــــراءة في الاستشــراق [2]

بقلم: ألبرت حوراني
ترجمة: عبدالنبي اصطيف

ان موضوع هذا الكتاب القوي المقلقل هو الطريقة التي تخلق بها التقاليد الفكرية وتنقل • انها ـ كما يحاج ادوارد سعيد ـ لا تنهض ببساطة في عزلة من عقل المفكر أو الباحث • ولربما يحاول « الباحث أن يصل الى مستوى من الحرية النسبية من الواقع اليومي والمر » ولكنه لن يستطيع أن يهرب أو يتجاهل تماما « ارتباطه كموضوع انساني بظروفه المحيطة » •

••• ان الامكانيات من اجل عمل ماثل في الثقافة هي بالنسبة الى عقل عظيم واصيل غير محدودة اطلاقا •• فعمل السابقين ، والحياة المؤسسية للحقل الدراسي ، والطبيعة الجماعية لأية منشأة تعليمية ، كل هذه ـ فضلا عن الحديث عن الظروف الاجتماعية والاقتصادية ـ تميل الى الحد من تأثيرات نتاج الباحث الفرد • ان حقلا كالاستشراق له ذات تراكمية ونقابية ••• وقد كانت النتيجة اجماعا معينا : اشياء معينة ، انواعا معينة من البيانات ، وانواعا معينة من العمل بدت للمستشرقين انها صحيحة » •

ان « **الاستشراق** » هو المثال الذي يستخدمه سعيد ليوضح موضوعه ، وهو يعني به شيئا دقيقا : الباحث الذي يدرس الشرق (وبالتحديد الشرق المسلم) ؛ والكاتب الخيالي الذي يتخذه موضوعا له ؛ والمؤسسات المعنية « بتعليمه ، وتهدئته ، وحكمه » ، كلهم يشتركون في أشياء : تمثيل معين له ، أو فكرة أن « الشرق » يعرف بأنه غير « الغرب » ، غامض ، غير متغير ، وفي النهاية ، أدنى منزلة •

١ ـ انظر Albert Hourani,
« The Road to Morocco », **The New York Review,** March 8, 1979, PP. 27-30.

٢ ـ انظر **Edward Said,**
Orientalism, Routledge & Kegan Paul, London, 1978, 368 PP.

ان تمثيل الشرق هذا قد خلقه العقل الغربي بحرية تامة نسبيا ، لأن الشرق كقوة ـ شُعر بها وتم اختيارهـا بصدق ـ غائبـة تماما عن الثقافة الغربية تقريبا. فقد طورت وحفظت بنوع من الشراكـة الضمنية بـين الباحثين والكتاب وبين أولئك الذين ظفروا بالامبراطوريات وحكموها . وكان الباحثون والكتـاب علـى وعـي بالقـوة الغـربيـة كحقيقة مطلقة في شرق سلبي لا حول له ينتظر أن يحكم ويحتكر ، وقـد استنتـج الحكـام مسوغات أخلاقية وبالتالي نوعا من القوة من الفكرة الغربيـة عن الشـرق . وقد تمـت الوساطة في هذه الشراكة عن طريق المؤسسات ـ طرق رسمية معنية للتعليم والكتابة ـ التي حددت ماذا يمكن أن يدرس أو يقال عن الشرق .

وطريقة التفكير التراكمية هذه عن الشرق ، والتصرف تجاهه ، هي ما يدعوه ادوارد سعيد **بالاستشراق** . وبالطبع فان أي نوع من الفكـر يقتضي اقامة التمييـزات ، وتقيـم الحدود ، ولكن هـذا النوع من التحـديد في رأيه هو الذي كان ضارا بشـكل خـاص . وربما قام بدور الحافز للخيال الأوربـي ، وساعد على تشكيل الحس الغربي بالهوية ، ولكنه ما دام قد اعتمد في النهاية على اختلافات دينية وثقافية ، فانه قاد الى سوء فهـم للعمليات التاريخية . لقد جعل أمر رؤيـة الشرقيين ككائنات بشرية فردية أمرا غـير ممكن ، ما دامت ذواتهم قد استغرقت بفكرة « المسلم » « العربي » أو « الشرقي » ، وأدت ـ كجميع المقابلات الثنائية البسيطة لـ « نحن » و « هم » ـ الى اثارة محاكمات قيمة أخلاقية . ان الشرق يرى غريبا ، بعيدا ، مؤذيا ميتـا ما لم نُعِد اليـه الحياة ، ومـأوى « للهولات والشرور والارهاب والمسرات والرغبات » .

ويجد السيد سعيد نواة هذه الرؤية للشرق في المواجهات الأولى لأوربـا الغربية مـع الاسلام . فالصراع من أجل التحكـم بحوض المتوسط سبب صدمة نفسية متكررة للعقل الأوربي ، لا يمكن التحكم بها الا من خـلال محاولة شرح الاسلام بكلمات مألوفة ، كوحي كاذب ، أو بدعة مسيحية . وعندئـذ ، وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، عُلمِنت بنى الفكر الموروثـة عن المـاضي ، وأعيـد توزيعها وأصلحت ، وتحت تأثير النوع الجديد من الفضول الفكري وتوسع القوة الأوربية تم تحويل صورة العدو المسلم الى الصورة الحديثة للشرقي . عندها ظهـر أوائل المستشرقـين المحدثـين : الفـرنسي Anquetil-Duperron الذي اكتشف النصوص الأفستية Avestan texts وترجمها ، والانكليزي السير ويليام جونـز Sir William Jones الـذي ترجم الشـعـر السنسكريتي ، والقوانين الهندية ، والـذي كان متمكنـا لتـوه من العربيـة والعبريـة والفارسية قبل أن يغادر انكلترا الى الهنـد عام ١٧٨٣ . وقد كان جونز هاما على نحـو خاص ، لأن مهنته كانت وثيقة الصلة بالدور الأول والفعال والدائم للأوربيين في مجتمع شرقي : مجتمع شركـة الهنـد الشرقيـة في البنغال . وفي حياته وآثاره تغدو الصلة بين السيطرة السياسية والحاجة الى الفهم جلية .

وبعد جيل جاء غزو أوربي لقلب الشرق المسلم . ان الاحتلال الفرنسي لمصر عام ١٧٩٨ لم يكن حادثا من حوادث حروب الثورة فقط ، ولكنه كان حركة من حركات الخيال أيضا ؛

فقد قرأ بونابرت كتاب الكونت دوفولني Comte de Volney « **رحلة في مصر وسورية** » Voyage en Egypte et en Syrie وكتابات أخرى عن مصر ، وساعده ذلك على تكوين تصرفاته هناك : لقد كان على وعي بأن أربعين قرنا كانت تزدريه وجنوده معا : ظن في نفسه أنه أتى ليعيد الحياة الى عالم ميت • وقد قام الباحثون والعلماء الذين صاحبوه بأول عملية تخصيص لمجتمع وثقافة شرقيين •

وربما أفادت الحملة الفرنسية « الجغرافية الخيالية » أكثر مما أفادت مصر الحقيقية • فتمثيل الشرق فكريا وخياليا ، والسيطرة عليه واعادة الحياة اليه ، كل هذه المساعي ما كانت الا لتخلق « حقل » المستشرق خلال السبعين سنة ــ أو ما يقاربها ــ التي تلت • لقد اكتشف الباحثون النصوص وحققوها واقتطفوا منها ، وترجموها ، وفسروها : في البداية كجهد فردي • وبعد ذلك قنّن عملهم وتجسد في مؤسسات وتقاليد • والسيد سعيد معني أساسا باثنين من هذه التقاليد : التقليد الفرنسي الذي يبدأ ب س ، دو ساسي Silvestre de Sacy صاحب كتب في النحو ، ومختارات عربية ؛ والتقليد الانكليزي الذي يرجع الى ادوارد ويليام لين Edward William Lane المعجمي ومترجم الليالي العربية ، ومؤلف كتابا يزال مقروءا على نحو واسع هو : « **وصف لسلوك المصريين المحدثين وعاداتهم** » **An Account of the Manners and Customs of the Modern Egyptian**

وقد أغني هذان التقليدان بأفكار مستمدة من ثقافة العصر العامة • وادوارد سعيد محق في تأكيده على فقه اللغة ، وخاصة على ارنست رينان ، الذي طبَّق مناهجه في دراسة اللغات السامية • لقد كان فقه اللغة أحد الدراسات الأساسية في القرن التاسع عشر ، بل كاد يكون ديانة معلمنة • وقد دعاها رينان « العلم الدقيق لموضوعات عقلية » • ويبدو أنها تقدم طريقة لا لفهم اللغات فحسب وانما لفهم طبيعة الجنس البشري وتاريخه أيضا • وباعادة اللغات الى جذورها ، استطاعت فرزها الى أسر ، واقترحت أن أسر اللغات يمكن أن تكون أسرا للذوات التي تعبر باللغة عن نفسها أيضا : الديانات والأساطير ، الثقافات والعروق •

ويمكن ترتيب اللغات ضمن العائلة نفسها في نظام أجيال • وهكذا فان تصنيف اللغات والثقافات يمكن أن يؤدي الى تاريخها ، والى تاريخ انساني صرف لا تلعب فيه الميتافيزياء أي دور • ولكن السيد سعيد يؤكد أن فقه اللغة نفسه ــ كما استخدم في الحقل الاستشراقي ــ كان مقصورا على الاطار الاستشراقي ، وكان يستخدم ليعطي قاعدة علمية للقضاء الثنائي الموجود لتوه • ان اللغات السامية بالنسبة الى رينان هي أساسا أدنى من اللغات الآرية ، وغير قادرة على تجاوز نقطة معينة في تطورها : « اننا نرفض بأن نسلم بأن للغات السامية القدرة على تجديد أنفسها » • ويقترح السيد سعيد في فقرة رائعة على نحو خاص أن هذه الفكرة أتت من تطبيق أفكار معينة ، كانت سائدة في علم التشريح في ذلك العصر ، على فقه اللغة : ان الساميات بالنسبة الى رينان هي ما كان بالنسبة الى اتين سانت ايلير Etienne Saint-Hilaire مسخا تشريحيا ، ليست استثناء بل هي شذوذ ، أو ظاهرة ذات تطور مغلط أو مقيد •

وقد سارت عملية الاكتشاف جنبا الى جنب مع عملية التفحص العلمي · وذهب بعض الرحالة الى الشرق كباحثين ـ مثل لين Lane ـ لجمع المواد ، ومضى بعضهم ـ كشاتوبريان Chateaubriand ـ ليكتشف ذاته أو يقبض عليها ، وذهب آخرون ـ كبيرتن Burton ـ لخليط من الدوافع · وفي تحليل دقيق ليس فقط لما قالوه وانما للطرق التي قالوه بها ـ الترتيب ، الأسلوب، اللهجة ـ يميط السيد سعيد اللثام عن الاستشراق المستتر وراء اختلافاتهم في المنهج· لقد كانت حقيقة السيطرة ، توكيد سيادة أوربا ، الواقع الماثل ، وبدا الشرق ككائن ساقط ، جذاب ، ولكنه مليء بالمخاطر وخاصة الخطر الجنسي ·

لم يكن الشرق الحديث الذي وجدوه هو الشرق الحقيقي ، وانما كان صدفة ميتة ، لا ينفث الحياة فيها من جديد الا أوربا : كان السفر الى الشرق نوعا من الحج ، لا يثمر الا عندما يواجه المسافر الأخطار ويتغلب عليها ، أو عندما يرى أماكن غريبة يدير ظهره لها ويعود الى نفسه مغتنيا· وعلى الرغم من المشابهات بين الموقفين الفرنسي والانكليزي ، فان السيد سعيد مدرك لاختلافهما ، وربما هو يغالي في ذلك · فهو يقول ان الشرق المسلم بالنسبة الى البريطانيين ـ الذين أقاموا آمنين في الهند ـ منطقة للسيطرة الممكنة ـ الموجودة بالقوة ـ وأما بالنسبة الى الفرنسيين فقد كانوا مسكونين باحساس الخسارة الفادحة · ولكن الفرنسيين في تلك الفترة لم يخسروا الشرق الأوسط على نحو لا يمكن استعادته فيه ، وقد كسبوا لأنفسهم مقاطعة جديدة للخيال في الجزائر ·

وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر يبدأ طور جديد · فالحكومات الامبريالية تأخذ على عاتقها مسؤوليات جديدة : البريطانيون في مصر ، والفرنسيون في تونس · وبعدها يتم تقسيم الامبراطورية العثمانية ـ الذي أنذر بالحرب العالمية الأولى ـ في نهايته ، وتسقط المقاطعات الناطقة بالعربية في أيدي البريطانيين والفرنسيين ، وتصبح العلاقة بين العمل العلمي والعمل السياسي أوثق وأكثر تعقيدا، وتغدو المؤسسات ـ التي يتم من خلالها بث التقليد الاستشراقي ـ أكبر وتنظم بشكل أكثر رسمية ، وتوثق صلاتها بالحكومات · وضمن هذا التقليد تنبثق نماذج انسانية جديدة من المستشرقين· وعندها يظهر في الجيل الذي سبق عام ١٩١٤، عصر التوسع الجذل المولع بالقتال والواثق من نفسه ، « العميل الامبريالي » الرجل الذي يضع معرفته وأفكاره ، شعوره ودوافعه في خدمة الامبراطورية ·

ان السيد سعيد ـ كدارس لجوزيف كونراد Joseph Conrad ـ يتعامل باطمئنان مع هذا النوع من الشخصية الغامضة والخفية والتي لا يمكن معرفتها في النهاية ، والباحثة عن خلاص شخصي عن طريق مهمة سرية أو صعبة · والمثل النمطي هو ت ، ا ، لورنس T. E. Lawrence ولدى السيد سعيد أشياء جديدة ونافذة ليقولها عن الدوافع المتشابكة والمعقدة في حياة لورنس النشطة ، وعن السرد والرؤية الشخصية في « **أعمدة الحكمة السبعة** » **Seven Pillars of Wisdom** · وكما هو

الشأن بالنسبة الى بونابرت ، فانه بالنسبة الى لورنس ـ وبواسطة رؤية خيالية ملحمة، تعاش أولا ثم تكتب ، ـ « طوى هذه الأمواج من الرجال في يدي » . لقد أعيدت صياغة أعماله اذن في الرؤية التي نجدها في رائعته المصدوعة ، ولكن من الصعب تحديد أين ينتهي السرد وأين تبدأ الرؤية ، وفيما اذا كان غرض لورنس « أن يصنع أمة جديدة ، ويستعيد نفوذا مفقودا » أو يصنع نفسه ويكتشفها . انه يصبح هو نفسه الشرق ، رجل واحد يصبح التاريخ برمته .

وتتغير الرؤية الاستشراقية في السنوات التي تلي عام ١٩١٨ ، فأوربا متحكمة بالشرق ، وقوتها النهائية لا يمكن زعزعتها ، وحقها في أن تحكم لم يشكك به الا نادرا . ولكن نهوض شعوب آسيا أصبح يرى تحديا ، ومستشرق العصر هو المستشار الذي ـ في حين يقبل الواقع النهائي للسيادة الغربية ـ يحاول أن يُري الطريق الى حل سلمي للخلافات ، الى نوع من القبول المتبادل . وقد تتوج التقليدان الانكليزي والفرنسي بشخصيتين اثنتين يبدو أنهما تمثلان عصارتيهما : الأول هو الفرنسي لوي ماسينيون Louis Massignon الذي كانت اثارته للكاتب والشهيد الصوفي منصور الحلاج قد تشكلت ليس عن طريق التقليد الأوربي في الدراسات الاسلامية وحسب ، وانما عن طريق حساسية جمالي ووعي كاثوليكي كان مما يميز الفرنسي في ذلك الوقت ؛ والثاني هو الأوسكوتلاندي هاملتون غيب Hamilton Gibb الذي ترجع صلته الى الأصول نفسها مارة بتوماس أرنولد Thomas Arnold وروبرتسون سميث Robertson Smith ، والذي تستدعي رؤيته في استمرارية الجماعة الاسلامية وتطورها عبر التاريخ بسهولة الى الذهن الواعي بالمسؤوليات الامبريالية والمعتنق لرأي بروتستانتي معين للكنيسة .

ان السيد سعيد يكتب عن كليهما باحترام لثقافتيهما، ولنوعية فكريهما، ولشجاعتهما، ولكنه يعتقد أنهما قد وقعا في شرك قالب العقل الاستشراقي : فالدراسات الشرقية لم تعد على تقليدها بالنظرة النقدية ، كما كانت العلوم الانسانية تفعل في ذاك الوقت . وكانت الحقيقة النهائية بالنسبة الى ماسينيون وغيب كليهما شيئا ما يسمى « الاسلام » ماثلا الى الأبد ، ومختلفا دائما عن الغرب ، حيث ذابت فردية الكائنات البشرية وفروقات الأزمنة والأمكنة .

لقد توفي ماسينيون عام ١٩٦٢ ، وغيب عام ١٩٧١ ، وبالنسبة الى أولئك الذين عرفوهما منا ، ويمكن لهم أن يقارنوا ذكرياتهم بما يكتبه السيد سعيد عنهما ، فان شكوكا وتساؤلات يمكن أن تثار . ان كتابته قوية ورائعة (هي أحيانا قوية الى درجة القلقة ، ورائعة أحيانا أخرى الى درجة عدم الوضوح) ولديه براعة النفاذ الى الارادة الانسانية وتصوير بنية الرؤى الانسانية ، ولكن أليس من الممكن أن يكون هو نفسه قد سقط في الشرك الذي قدمه ، وأنه قد أغرق الفروقات الانسانية في مفهوم مجرد اسمه « الاستشراق » ؟ ما هي منزلة هذا المفهوم ؟ وما هو نوع الصلاحية التي يمكن أن يزعمها للبيانات العامة التي يدلي بها ، بيانات كـ : « **المستشرقون ليسوا مهتمين بمناقشة الأفراد**

ولا قادرين عليهـا » ، ان المستشرق متميـز « **بغياب تعاطف مقنع بمعرفة محترفـة** » ٠ بمعنى ما ، ان الجـواب سهل ، فما قام بـه السيدسعيد هو انشاء نمط نموذجي للمستشرق؛ مصنوع من عدد من العناصر المتصلة ببعضها البعض منطقيـا ، والبعيـدة عن تأثير آيـة عناصـر خارجية أو عارضـة ٠ ولكن هـذه الأنماط النموذجية ، وكما يعرف كل عالـم اجتماع ، ينبغي أن تستخدم بعناية وحـذر حتى يمكن لها أن تفسر الوقائع الخاصة ، أو الكائنات البشرية ٠ فليس هنالك من شخص يمثل بشكل كامل نمطا واحدا ، ان كل فرد ينبغي أن يُرى على ضوء عدة أنماط ٠ ان نمطا واحدا من هذه الأنماط يمكن أن يشرحه أكثر من الأنمـاط الأخـرى ، ولكـن بعض النكبة الفردية التي لا يمكن أن تعزى سيبقى في النهاية ٠ اننا ، اذ نبدي اعجابنا بأناقـة هيكل السيد سعيد ، ينبغي أن نظل نسأل الى أي مدى يمكـن أن يخدم كمبـدأ في شـرح الكائنـات البشـريـة التـي يكتب عنهـا ٠ السياسيون وخدمة المستعمـر ؟ على وجـه الاجمال ، نعم ٠ ان استشهاداته من اللـورد كـرومـر Lord Cromer (الحاكم البريطاني لمصر بعد ١٨٨٣) وآخرين مناسبة ، وكـان بامكانه أن يجد الكثير مما يبرهـن علـى نقطته : التضاد الواعي « للشرق والغرب » وأفكار كـ « الاستبداد الشرقي » و « الركـود الشرقي » وفكرة أن الشرقيين لا يفهمون غير لغة القوة، أعطت بالفعل الانكليز والفرنسيين ضمانة أن حكمهم للشعوب الشـرقية كـان طبيعيا وصحيحا ٠ والكتّاب الخياليون يمكن أن يفهموا أيضا على أنهم يعملون ضمن هذه الافتراضات، وخاصة كتاب العصر الرومانتي، شاتوبريان لامارتين Lamartine فلـوبـيـر Flaubert دونـرفـــال De Nerval فشرقهم كان حصيلة الخيال ، ومناهج السيد سعيد المصقولة والدقيقة في التحليل ، أدوات جيدة في تعرية بنيـة الخيال الأدبي ٠

ولكنه ، ربما كان لا يسير علـى أرض راسخة كهذه ، عندما يكتب عن الباحثين ٠ وقد وجدهنا أيضا استشهادات مخبرة : قول تيـودور نولـدكـه Theodor Nöldeke ان عمل حياتـه قد أكد فقط رأيه السيىء في الشعوب الشرقيـة ، أو زعـم غيب Gibb أن العقل العـربي غير قـادر على التفكـير العقلي ٠ ان بعض عناصـر « الاستشـراق المستتر » كانت ماثلة حقا في عقول غالبيـة باحثي الاستشراق في الفترة التي يعالجها ٠ واذا لم تكن ازدراءً خاصا لهـؤلاء الذيـن يكتبون عنهم ، فقد كانت على الأقل اعتقادا بأنهم فهموا هؤلاء النـاس وعرفوا لغاتهـم ومعتقداتهم أكثر منهم ٠ ولكننـا ينبغي أن نظل نسأل الى أي حد دخل هذا الاعتقاد الى عملهم ورسم اتجاهه وحدوده ٠ وحتى نجيب على هذا فاننـا ينبغي أن نمضي الى ما وراء الملاحظة العابـرة Obiter dicta الى عملهـم الجدي المحترف ، وأن نسأل فيما اذا شُكـل وشوه عن طريق هذا التضاد الفج بين الشرق والغرب ، أكثر مما شكل عن طريق مفاهيـم أكثر ملاءمة لموضوعها ، والى أي مدى قامت نتاجاته بتثبيت هذا التضاد وتعزيزه ٠

ليس من الضروري أن تكون ذكيا حتى تصبح باحثا ، وقد كان هنـاك الكثير مـن الباحثين الذين لم يظهروا حتى في أكثر أعمالهم وزنا أية براعة باستثناء براعات اللغة ، ولم يستخدموا أية أفكار باستثناء تلك التي كانت معروفة في العصر بشكل عام ٠ وحتـى

المستشرقون العظام وجدوا أنفسهم مكرهين بسبب الظروف أن يتحدثوا ويكتبوا في أشياء تتجاوز الى حد بعيد حدود كفاءاتهم الحقيقية • وقد أفادوا في ذلك من الأفكار الملتقطة من الجو المحيط • وعندما كتب أغلبهم عن السياسة، أو علم الاجتماع، أو الشخصية القومية، أو التاريخ ، أو الأدب ، فانهم كتبوا ذلك كهواة على وجه الاجمال •

ان هناك على أي حال خيطا مركزيا واحد من الاهتمام ــ يسري في نتاج الباحثين الاسلاميين العظام ــ بأصل جميع أنظمة الفكر التي حاولت الابانة عما يعتقد المسلمون أنه الوحي الذي منح للنوع الانساني من خلال النبي محمد : الحديث، القانون ، علم الكلام، والفكر الصوفي • ان قرنا كاملا من الدراسة لهذه الأمور قد أنتج عملا لا يمكن اعتباره مؤدى على نحو سيىء • ففي هذا العمل استعمال حذر ومتأن للمصادر الأصلية،وتجنب للتعميمات التي لا أساس لها ، واحساس بالصلات المتبادلة بين الحركات الفكرية والوقائع السياسية والاجتماعية ، وشعور بنوعية المفكرين الأفراد كما تفصح عنها أعمالهم أيضا • ان الفرد لم يُستغرق في مفهوم عام في اكتشافات تفصيلية لعوالم الفكر الشخصية ، كما هو الشأن في دراسة ماسينيون للحلاج، ولاوست Laoust لابن تيمية، وريتر Ritter لفريد الدين العطار • صحيح أن مفهوما عاما قد كون عملا كهذا : انه الاسلام كنظام فكر ، تم النظر اليه من حيث صلته بالأنظمة السابقة : الاغريقية ، المسيحية واليهودية • ولكن هذا المفهوم ليس شكلاآخر لفكرة « الشرق » كما وصفها السيد سعيد • انه الاسلام مرئيا ليس كوجه معكوس من شيء آخر ، ولكن ضمن طبيعته الخاصة • ومن المؤكد أن هذا مفهوم ملائم لموضوعه • وفي حدود هذا العمل ، فان هؤلاء الذين دعاهم العالم بالمستشرقين ليسوا مرتكبين لما يسميه السيد سعيد « بالاستشراق » •

ان السيد سعيد يعرف أساسا هذا وهو يعترف «بعمل الكثيرين من الباحثين المخلصين» ولكنه في الحقيقة لا يتعامل معه في كتابه • وربما كان وراء ذلك سببان ؛ أحدهما أنه حذف من مسحه الباحثين الذين كتبوا بالألمانية • وقد فعل ذلك لأنه في ألمانيا « لم تكن لأية شراكة وثيقة بين المستشرقين والمصالح القومية الدائمة والمرسومة في الشرق أن تتطور في أي وقت من الأوقات » • وهذا سبب وجيه اذا ما أعطي شروطه الخاصة في الاشارة، ولكنه قاده الى اهمال شيء هام • وثانيها أن العمل في ميدان التاريخ الديني والثقافي ــ بسبب كونه مجهدا وصلدا كما هو الشأن فيه ــ كان في غالبه مملا ، وكانت تعوزه الومضة التي يمكن أن تستهوي ذهن السيد سعيد •

ولكن كان هناك رجل مثير ذو عبقرية بينهم • وقد استدعى جميع قوى ذهن سعيد، انه الفرنسي لوي ماسينيون • ان صفحاته عن ماسينيون هي من بين أفضل صفحات الكتاب • ولكنها بمعنى ما ، تُري كم هو قليل ذاك الذي يمكن أن يقدمه نمط نموذجي « للمستشرق » من مساعدة في فهمه • ان السيد سعيد يدعي أن ماسينيون « في اتجاه واحد ، تبقى أفكاره عن الشرق تماما تقليدية وشرقية Oriental • ولكن الذي يقوله فيه ربما يتركنا مع الانطباع المعاكس• فهو يكتب عن « الذكاء الطاغي ، والعبقرية

الصافية ، وعن جدة عقل ماسينيون » ؛« الكياسة ، والأسلوب الشخصي ، وعبقرية الفرد ، ربما تتخطى في النهاية الكوابح السياسية التي تعمل بشكل غير شخصي من خلال التقليد والمحيط القومي » ٠

ان العالم المسلم ، لم يكن في الحقيقة بالنسبة الى ماسينيون بالمعنى الأكثر عمقاً ، منطقة يلاحق فيها بلده أهدافا سياسية ٠ لقدكان مليئا بالرجال والنساء الافراد، المحبوبين، المفهومين ، المدركين في طبيعتهم الفردية ، ولم تكن الصلة بين المسيحية والاسلام صلة وجود وعدم وجود ، ولكنها كانت صلة تبادل واستبدال ٠ وكما قال الباحث الفرنسي جاك بيرك Jacques Berque لأولئك الذين عرفوه ان هنالك أماكن ـ كنيسة معينة في القاهرة وشارعا معينا ـ سيكون فيها حاضرا على الدوام ٠

أسئلة كهذه يثيرها أيضا القسم الأخير من الكتاب : « الطور الأخير » ٠ وأطروحة السيد سعيد هي أن تراث الاستشراق الأوربي قد نقل الى الولايات المتحدة ، وتم التعبير عنه بلغة العلوم الاجتماعية ، وتجسيده في مؤسسات ربطت بشكل وثيق بالمصالح والسياسات الأمريكية في الشرق الأوسط ،واستخدمت كسلاح في الصراع بين اسرائيل والفلسطينيين ٠ وثانية ٠ من المحتمل أن يكون محقا فيما يتعلق بالصور الشعبية ٠فالعرب بالنسبة الى الأفلام والسياسيين وجزء كبير من الصحافة هم الظل الشرقي البغيض ، الغامض ، الجبان ٠ ولكن مرة أخرى ان شكوكا أكبر تثار عندما يكتب عن الباحثين ٠

ان هذه الشكوك نوعان : أولهما أن السيد سعيد يختار أسلوبا أو لهجة معينة تجعل القارىء مقلقلا ٠ ان وعيه بأسلوب الكتاب الآخرين يجعلنا أكثر وعيا بأسلوبه ٠ لقد أخبرنا في بداية الكتاب بطريقة صريحة ومحركة بالدافع الشخصي الذي قاد جزئيا الى كتابته ٠ ان السيد سعيد كعربي فلسطيني يعيش في الغرب ، يجد حياته « مثبطة للهمة ٠٠٠ نسيج العنصرية ، والقوالب الثقافية الجاهزة Stereotypes والامبريالية السياسية ٠ وقبضة الأيديولوجية التي تنزع عن الانسان انسانيته ، المسكة بالعربي أو المسلم قوية جدا بالفعل » ٠ ان اللهجة في هذا القسم الأخير هي لهجة المرء الذي يجاهد لخرق هذا النسيج ، ونقده العنيف يمضي في بعض المواضع الى حد اتهام الباحثين بسوء العقيدة ٠ ولئن كانت هذه الاتهامات منظمة ومعززة بالشواهد ، فانها ربما كانت عقبات أمام القول المتعقل ٠وحتى في ورودها في موضعين أو ثلاثة ، فانها ربما تسبب استياءً خطيرا وتقود الى عدم أخذ الكتاب بدرجة الجد التي تنبغي له ٠

وفيما عدا هذا فان المرء الذي يعمل في حقل الدراسات الشرق ـ الأوسطية ربما يجد هذا القسم من الكتاب قديما ٠ ان السيد سعيد لا يناقش هنا النتاج الذي يقدم اليوم ويعبر عنه بالمقالات والرسائل العلمية Monographs وكلمات الأساتذة ، وانما أعمال التركيب ، والتي تجسد بطبيعتها نتاج الماضي ٠ ان أفضل العمل الراهن في أوربا وأمريكا كلتيهما يبدو أنه قد خرج على الاطار « الاستشراقي » وعاد بالنقد على

نفسه ، وأخصب بأفكار العلوم الانسانية للعصر • والسيد سعيد واع بهذا • فهو يذكر أعمال جاك بيرك ، ومكسيم رودنسون Maxime Rodinson في فرنسا ، وكليفورد غيرتس في أمريكا Clifford Geertz وروجر أوين Roger Owen في انكلترا • ولكنه كان من الممكن أن يمضي الى أبعد من هذا ، ويكتب عن التراث المستمر أو المستعاد للتاريخ الديني في ألمانيا ، وللعمل التاريخي الفرنسي الجديد المتمذج بواسطة الماركسية والمدرسة الملتفة حول مجلة Annales (المهتمة بالتاريخ الاجتماعي) • ان مؤرخا للشرق الأوسط في عصرنا الحاضر ، كلود كهين Claude Cahen لم يذكر مرة واحدة • ان حقل الدراسة هذا يستعيد حيويته ـ مثل جميع الحقول الأخرى تقريبا ـ على يد الباحثين الأمريكيين الشباب : المؤرخين ، الأنثروبولوجيين ، ودارسي الأدب ـ على الرغم مما يقوله عن اهمال الأدب الآن •

ان الكلمة الأخيرة هي : ان عمل اليوم يظل ـ الى حد بعيد ـ يعبر عن تصور أوربي وأمريكي للشرق المسلم « ان العالم العربي والاسلامي يظل قوة ثانوية في ميدان انتاج الثقافة والمعرفة والبحث » • هناك بعض الاستثناءات : فليس ثمة مؤرخ عثماني يمكن أن يهمل عمل خليل انالجك Halil Inalcik ومؤرخين أتراك عظام آخرين • ولن يستطيع دارس لشمال افريقيا أن يتجاهل أفكار عبدالله العروي الأصيلة والأساسية • ولكن ، بشكل عام ، يبقى من الصحيح أن دارس العرب والفرس الغربي يظل يعمل ضمن بنية أفكار خلقت من قبل دارسين غربيين آخرين • ان العرب والفرس « كقوة شعر بها وخبرت على نحو حقيقي » ما زالوا غير حاضرين في الثقافة الغربية • ولكن هذا يحتاج الى كتاب آخر يشرح لماذا كان الأمر على هذا النحو •

★ ★ ★

مؤلفات أبي الفرج الأصبهاني وآثاره

محمد خير الشيخ موسى
الرباط - المغرب

اشتهر أبو الفرج الأصبهاني (٢٨٤ - بعد ٣٦٢ هـ) في عصره بسعة العلم والرواية وكثرة الحفظ ، وحسن الاستيعاب والدراية . فكان بذلك موضع تقدير تلامذته ومعاصريه، ومثار تعجبهم واستغرابهم ، وقد عبّر عن ذلك أحدهم فيما رواه الخطيب البغدادي في تاريخه فقال : « حدثني التنوخي عن أبيه قال : ومن الرواة المتسعين الذين شاهدناهم أبو الفرج الأصبهاني ، فانه كان يحفظ من الشعر والأغاني والأخبار والآثار والحديث المسند والنسب ما لم أر قط من يحفظه مثله ، وكان شديد الاختصاص بهذه الأشياء ، ويحفظ دون ما يحفظ منها علوما اخر منها اللغة والنحو والخرافات والسير والمغازي ، ومن آلة المنادمة شيئا كثيرا مثل علم الجوارح والبيطرة ونتف من الطب والنجوم والأشربة وغير ذلك »(١) .

وقد كان لهذه الثقافة الموسوعية الشاملة أثر كبير جدا في تنوع اتجاهاته في تأليف كتبه ، واختلاف ألوانها ومضامينها ، فشملت الأدب والنقد والموسيقى والغناء والتاريخ والأيام والأنساب والحديث ، اذ كان لكل فن من هذه الفنون نصيب في كتبه وآثاره ، كما كان لها أثر واضح في كل كتاب منها أيضا .

أما بداية مرحلة التأليف لديه فاننا نستطيع أن نحددها بسنة (٣١٣ هـ) وهي السنة التي ابتدأ فيها تأليف أول كتبه « مقاتل الطالبيين »(٢) ، وانتهى منه في هذه السنة أيضا(٣) ، ثم جلس لتدريسه واملائه . وقد استمرت هذه المرحلة بعد ذلك مدى حياته الطويلة ، فكانت حصيلتها مجموعة كبيرة من الكتب والمؤلفات المختلفة ، لم يصل الينا منها سوى ثلاثة كتب هي : مقاتل الطالبيين ، والأغاني ، وأدب الغرباء . وأما بقية هذه الكتب فلا تزال في عداد المفقودة ، اذ لا نعرف من أمرها شيئا سوى أسمائها وعناوينها ، ونتفا مما ورد حول بعضها في بطون المصادر القديمة .

ولم يحرص أصحاب التراجم القديمة على ذكر قائمة كاملة أو قريبة من الكمال بمؤلفاته . فمنهم من عد المشهور منها(٤) ، ومنهم من اكتفى بذكر ما رآه (٥) ومنهم من

اقتصر على عدد قليل جدا منها(٦) ، كما أن منهم من استغنى عن ذلك كله بالاشارة الى كثرة تآليفه وكتبه(٧) • ولعل أوسع قائمة بأسماء هذه الكتب تلك التي ذكرها ياقوت الحموي في معجمه ، اذ عد فيها أسماء خمسة وعشرين كتابا(٨) •

على أن هذه الكتب والمؤلفات قد تعرضت في هذه المصادر الى اختلاط واسع جدا، انقسم معه بعضها الى عدة كتب ، وصحفت أو حرفت أسماء عدد آخر منها ، وتغيرت أسماء بعضها تغيرا ذا أهمية وأثر ، ولا يكاد ينجو من شيء من ذلك أي مصدر من المصادر التي كان لهذه الكتب ذكر فيها •

وامتد أثر ذلك كله الى كتب المعاصرين التي ورد فيها ذكر لبعض هذه المؤلفات ، ولم يكتف عدد كبير منهم بما نقله من المصادر القديمة من أسماء هذه الكتب على صورتها المختلطة أو المحرفة أو المصحفة ، وانما زاد على ذلك بعض منهم تحريفا جديدا أو تصحيفا حديثا ، ونسب اليه آخرون كتبا لم يؤلفها ، ودواوين لم يصنعها(٩) •

ومن هنا فقد كان البحث عن مؤلفات الأصبهاني ، وصيغ قائمة علمية دقيقة بأسمائها ، ودراستها دراسة منهجية سليمة أمرا محفوفا بمصاعب شتى •

وفي سبيل ذلك فقد رجعنا الى عدد كبير من المصادر والمراجع ، واستقرأنا أسماء ما ذكر لأبي الفرج فيها من الكتب ، وقمنا بدراسة تاريخ كل كتاب منها ، وقارنا بينها بعد أن رتبناها ترتيبا تاريخيا ، ورجعنا الى مؤلفات الأصبهاني التي وصلت الينا ، فرصدنا أسماء بعض ما ذكره من تصانيفه فيها ، مما أمكن لنا معه تصحيح أسماء هذه الكتب ، وتوثيق نسبتها اليه ، ونفي ما نسب اليه من مؤلفات ، واعادة نسبتها الى أصحابها الحقيقيين • وكانت حصيلة ذلك كله قائمة بأربعة وثلاثين كتابا من الكتب التي صحت لدينا نسبتها اليه •

وسنبدأ ــ في ذكرنا لهذه القائمة ــ بما وصل الينا من كتبه ، ثم نأتي بعد ذلك على أسماء الكتب التي ذكرها أبو الفرج نفسه في مؤلفاته التي بين أيدينا ، لننتقل الى باقي كتبه المفقودة الأخرى •

فأما كتبه التي وصلت الينا فهي ثلاثة كتب ، وكلها مطبوع وهي :

١ ــ مقاتل الطالبيين :

وسماه ابن النديم « مقاتل آل أبي طالب » وورد عند من أتى بعده من المؤلفين باسم « مقاتل الطالبيين » ، وحملت النسخ المطبوعة من هذا الكتاب هذا العنوان أيضا •

وقد ترجم أبو الفرج فيه لنيف ومائتين من شهداء الطالبيين منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الى الوقت الذي انتهى فيه من تأليفه •

وذكر في مقدمة هذا الكتاب أنه بدأ في تأليفه في شهر جمادي الأولى من سنة (٣١٣ هـ)(١٠) ، وقال في آخر صفحة منه أنه انتهى من ذلك في هذا الشهر من السنة

نفسها أيضا(١١) على أن ذلك لا يعني أنـه قد جمع مادة هذا الكتاب الطويلة خلال هذه الفترة الزمنية القصيرة · اذ هي حصيلة جهد طويل يبـدأ مع أوائل عهد مؤلفـه بالطلب والتحمل(١٢) وينتهي بانتهاء تأليفه ·

وبامكاننا أن نعتقد أن المقاتل هو أول كتاب ألفه الأصبهاني في حياته ، اذ لم نجـد له كتابا آخر قبله · على أننا وجدنا في هذا الكتاب بعض الاحالات على كتاب آخر من كتبه دعاه باسم : الكتاب الكبير(١٣) مما يمكن أن يوهم أن الكتـاب المذكـور سابق في تأليفـه للمقاتل ، بيد أن مرد اللبس في ذلك ــ على ما يظهر ــ يعود الى أن المؤلف ــ على عادة القدماء ــ قد أملى المقـاتل عدة مـرات في حياته ،وبعـد أن ألف كتبا أخرى غـيره ، فكانت هذه الاحالات بعد ذلك على واحد منها ·

وقد ظن محقق الكتاب في طبعته الأخيرة أن أبا الفرج يقصد بالكتـاب الكبير كتـاب الأغاني ، دون أن يجد فيـه أثرا لأي منهـا مطلقا ، فاتخذ من ذلك دليلا على ما أصاب الأغاني من خلل ونقص واضطـراب(١٤) · بيد أننا نعتقد أن المقصـود بالكتاب الكبـير كتاب آخر غير الأغاني ، ككتـاب « مجمـوع الآثـار والأخبـار » أو « كتـاب التعـديل والانتصاف » الذي يمكن أن يكون أكبر مؤلفاته حجما وأجدرها بهذه الصفة كما سيرد معنا بعد قليل ·

وقد طبع المقاتل أول مرة في طهران سنة (١٣٠٧ هـ) ، ثم نشر بعد ذلك وبهامشـه كتاب « المنتخب في المراثي والخطب » لفخر الديـن النجفي في بـومبـاي بالهنـد سـنة (١٣١١ هـ) ، ثم طبع في النجف بالعـراق سنة (١٣٥٣ هـ) وكانت آخر طبعاتـه في القاهرة سنة (١٣٦٨ هـ ــ ١٩٤٩ م) وهي طبعة محققة تحقيقا علميا سليما قام بأمره السيد أحمد صقر ·

٢ ــ كتاب الأغاني :

ومن القدماء من يسميه « الأغاني الكبير » تفريقا له عن كتاب آخر من كتبه وهـو « مجرد الأغاني »(١٥) ·

ويعد هذا الكتاب أهم ما وصل الينا من كتب أبي الفرج ومؤلفاته ، ومن أكثر كتب التراث العربي قيمة وأهمية ، لما تضمنتـه أجزاؤه الكثيرة من ألوان الثقافات المختلفة ، والمعارف المتنوعة ، وهو في كل الأحوال أهـم مصدر من مصادر الشعر العربي ونقده منذ أقدم عصوره وحتى القرن الثالث للهجرة ·

وقد أبدى القدماء اعجابا شديدا بهذا الكتاب ، وكان ابن خلدون أقواهـم تعبـيرا ودلالة على قيمته حين قال : « وقد ألف القاضي أبو الفـرج الأصبهاني ــ وهو ما هو ــ كتابه الأغـاني ، جمع فيـه أخبار العـرب وأشعارهم وأنسابهم وأيامهم ودولهم ، وجعل مبناه على الغناء في مائة الصوت التي اختارها المغنون للرشيد ، فاستوعب فيه ذلك أتـم استيعاب وأوفاه · وهو لعمري ديوان العرب، وجامع أشتات المحاسن التي سلفت لهم في كل فن من فنون الشعر والتاريخ والغناء وسائر الأحوال ، ولا يعدل به كتـاب في ذلك فيمـا نعلمه · وهو الغاية التي يسمو اليها الأديب ويقف عندها »(١٦) ·

وقف أمامه الباحثون في عصرنا وقفة اكبار واعظام ، أفصح عنها المستشرق الانكليزي فارمر بقوله : « انه كتاب من الطراز الأول في التأليف الادبي للعرب ، وقد أنفق فيه مؤلفه الجانب الأكبر من حياته ،وان المعارف التي يعرضها ـ ودع جانبا ما استلزمه من دأب وصبر ـ تترك المرءخجلا مما يسمى في عصرنا أدبا وموسيقى »(١٧) ·

وقد حصلت لهذا الكتاب شهرة واسعةجدا منذ أن ظهر للناس في أواسط القرن الرابع وحتى يومنا هذا ، فتسابق العلماءوالمتادبون الى قراءته على مؤلفه ، ووصلت شهرته الى الأندلس سريعا ، فبعث الحكمخليفتها الى مؤلفه « ألف دينار عينا ذهبا ، وخاطبه يلتمس منه نسخة ٠٠٠ فارسل اليهمنه نسخة حسنة منقحة »(١٨) ، كما بعث بنسخة أخرى الى سيف الدولة الحمداني في حلب « فانفذ له ألف دينار »(١٩) ·

وأفاد منه عدد كبير من المؤلفين ، فكانأحد مصادر الحاتمي (ـ ٣٨٨ هـ) في تأليف « حلية المحاضرة »(٢٠) ، كما اعتمد عليهالبكري الأندلسي (ـ ٤٨٧ هـ) في تصحيح بعض أوهام القالي في أماليه(٢١) ، ومن الأندلسيين الذين أفادوا منه أيضا ابن الابار اذ كان أحد مصادره في « الحلة السيراء »(٢٢)،وقال ياقوت الحموي في معجمه : « وقد تأملت هذا الكتاب وعنيت به ، وطالعتهمرارا ، وكتبت منه نسخة بخطي في عشر مجلدات ، ونقلت منه الى كتابي الموسوم بأخبار الشعراء فاكثرت »(٢٣) · كما كان أحد مصادر ابن خلكان الرئيسية في تاريخه(٢٤) ·

مختصرات الأغاني وتجريداته :

ويتجلى الاهتمام بهذا الكتاب أيضا منخلال مختصراته وتجريداته الكثيرة التي يعود أقدمها الى عصر مؤلفه · وقد وقفنا على عددمن هذه المختصرات المطبوعة والمخطوطة والمفقودة ، وسنذكرها على حسب ترتيبهاالتاريخي وهي :

١ ـ مختصر الوزير المغربي : أبي القاسم الحسين بنعلي بن الحسين(٣٧٠ـ٤١٨ هـ)· شاعر أديب مترسل ، ذكرت له مؤلفات عديدة· ولي الوزارة مرات كثيرة في بغداد والموصل وديار بكر ، ودفن بالكوفة(٢٥) ·

ذكر مختصره ياقوت الحموي ، ونقلشيئا من مقدمته(٢٦)· وكذلك فعل ابنواصل الحموي في تجريده ، وقال : « ولما ولي الوزيرالمغربي الوزارة اختصره وأحبه وصار له به غرام عظيم ، وأفرط في تقريظه ومدحه فيخطبة مختصرة ، وقال انه لم يقف على مصنف لأحد أحسن منه ، وانه اختصره لأجلسفره ليصغر حجمه »(٢٧) · وذكره صاحب الكشف أيضا(٢٨) مفقود ·

٢ ـ مختار الأغاني ومعانيها : للأميرعز الملك محمد بن القاسم الحراني المسبحي(٢٩) (٣٩٦ ـ ٤٤٨ هـ) · ذكرهابن خلكان ، وصاحب الكشف(٣٠) · مفقود ·

٣ ـ مختصر الأغاني : لابن ناقيا أبي القاسم عبدالله بن الحسن الشاعر الأديب الحلبي (٤١٠ ـ ٤٨٥ هـ)(٣١) • ذكره ابن خلكان وقال : « واختصر الأغاني في مجلد واحد (٣٢) • كما ذكره صاحب الكشف أيضا • (٣٣) مفقود •

٤ ـ مختصر الأغاني : للقاضي الرشيد أبي الحسن أحمد بن علي الزبيري الأسواني المصري(٣٤) (ـ ٥٦٣ هـ) • شاعر وأديب ذكره ابن منظور في مقدمة مختارة ، ونقل من مقدمته تقريظا للأغاني ، كما ذكره صاحب الكشف أيضا •(٣٥) مفقود •

٥ ـ مختصر الأغاني : للتاج أبي الفتح عثمان بن عيسى البلطي (٥٢٤ ـ ٥٩٩)(٣٦) • شاعر وأديب ونحوي • تفرد السخاوي بذكره وقال : « واختصر الأغاني اختصارا جميلا أحسن فيه »(٣٧) • مفقود •

٦ ـ مختصر الأغاني : للداخور عبدالرحيم بن حامد (٣٨) • (٥٦٥ ـ ٦٢٦ هـ). شيخ الأطباء ورئيسهم بدمشق ، وشاعر أديب مؤلف ، ذكره ابن شاكر الكتبي وصاحب الكشف(٣٩) • مفقود •

٧ ـ تجريد الأغاني من المثالث والمثاني : لابن واصل الحموي(٤٠) (٦٠٤ ـ ٦٩٧ هـ) ، وهو من مختصرات الأغاني المطبوعة في مصر سنة (١٩٥٥ م) في ثمانية مجلدات • أشرف على تحقيقه د• طه حسين وابراهيم الأبياري • وقد جرده « من الأسانيد والمتكررات ومما لا فائدة من ذكره من الأخبار والأشعار والمشتركات ، واقتصر على غرر فوائده ، ودرر فرائده »(٤١) ، بناء على أمر أحد سلاطين حماة الأيوبيين(٤٢) •

٨ ـ مختار الأغاني في الأخبار والتهاني : لابن المكرم صاحب لسان العرب المعروف بابن منظور المصري (٦٣٠ ـ ٧١١ هـ)(٤٣) • وقد رتبه على حروف المعجم ، فابتدأ بأخبار أبي العتاهية ، وأضاف اليه ترجمة طويلة لأبي نواس أسسها على ترجمة قديمة له من صنع ابن الأعرابي(٤٤) • طبع الجزء الأول منه بالمطبعة السلفية في القاهرة سنة (١٩٢٧ م) ثم طبع فيها كاملا بأجزاء ثمانية سنة (١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ م) بتحقيق ابراهيم الأبياري • ونشره محمد زهير الشاويش في بيروت سنة (١٩٦٤ م) في اثني عشر جزءا ، وهي طبعة تجارية كثيرة التصرف والأخطاء •

٩ ـ ادراك الأماني من كتاب الأغاني :لعبد القادر بن عبد الرحمن المعروف بالسلوي، الفاسي الأندلسي الأصل، التونسي الدار ، من رجال القرن الثاني عشر للهجرة(٤٥) ولا يزال هذا الكتاب مخطوطا ؟، ومنه نسخة ـ نعتقد أنها الوحيدة ـ في خزانة القصر الملكي برباط الفتح في المغرب الأقصى برقم ٢٧٠٦ ، اطلعنا عليها ، وتقع في خمسة وعشرين جزءا ، ينقصها الجزء الأخير (مفقود) ، مذهبة الوجوه والمقدمات ، مكتوبة بخط مغربي واضح وجميل ، وفي بعض صفحاتها خروم بسيطة •

وقد جعل له مؤلفه مقدمة من سبع عشرة ورقة ، ذكر فيها أن السلطان محمد بن عبدالله (تولى الملك بالمغرب سنة ١١٧١ هـ وتوفي سنة ١٢٠٦ هـ) أمره « بتحرير نسخة من هذا الكتاب الجليل ••• وتصحيحها وتحقيقها وتهذيبها وتنقيحها »(٤٦) وقال : « وأن

أضيف اليها ما اختاره ــ نصره الله ــ من كلام المولدين ، وانتخبه من أشعار المحدثين »(٤٧)، « وأن أضرب صفحا عن تلك الأغاني ٠٠٠ وأن أفتتح كل سفر من أسفاره الخمسة والعشرين بشاعر كبير من فحول الشعراء ، أو سيدجليل من السادة السراة الجلة الكبراء ، وعين ــ أيده الله ــ للابتداء أشعر شعراء الاسلام بالاطباق حسان بن ثابت »(٤٨) ٠

وقد لاحظنا في هذا الكتاب أن صاحبه قد أعاد ترتيب أخبار الشعراء فيه على حسب طبقاتهم وأزمانهم ، دون أن يغفل شيئا من أخبار الأغاني الأصلية ، سواء منها أخبار الشعراء أو المغنين ٠ الا أنه أضاف اليها أخبار عدد من المحدثين ، كالقاضي التنوخي(٤٩) ، وابن البناء(٥٠) ، وابن مطروح(٥١) ، والمعري(٥٢) ، وابن نباتة السعدي(٥٣) وغيرهم ممن توزعت أخبارهم في ثنايا أجزائه ٠ كما أضاف اليها ترجمة طويلة وهامة لأبي نواس(٥٤) ، مشيرا الى أن هذه التراجم والأخبار ليست من أصل الكتاب ٠ وقد جعل في صدر كل جزء من أجزائه فهرسا يتضمن أسماء من لهم ترجمة فيه ، وفيه اشارة الى بداية كل جزء وختامه ٠

١٠ ــ رنات المثالث والمثاني في روايات الأغاني : للأب أنطون صالحاني اليسوعي ٠ وهو من مختصرات الأغاني الحديثة ٠ ويقع في جزئين ، الأول منهما مخصص بالروايات الأدبية ، والثاني بالتاريخية ٠ وحذف ما دون ذلك من أسانيد وأصوات وأخبار مغنين ٠

وقد جعل له مقدمة أورد فيها أطرافا من أخبار أبي الفرج وكتبه ومؤلفاته ، ونسب اليه ضمنها عدة تصانيف لم تثبت لدينا صحة نسبتها اليه ٠

صدرت الطبعة الأولى منه سنة (١٨٨٨ م) ولم تكن تحمل اسم المؤلف ، وانما جاء في مكانه : « لأحد الآباء اليسوعيين » ٠ والثانية سنة (١٩٢٣ م) وفي رأسها اسم المؤلف ٠

١١ ــ مهذب الأغاني : للأستاذ محمد الخضري (ــ ١٩٢٧ م) من أساتذة الجامعة المصرية ٠ حذف منه الأسانيد ، ورد الأشعار الى أصولها ، وأكمل النقص فيها ، ورتب الشعراء فيه على حسب أزمانهم من جاهليين ، ومخضرمين ، واسلاميين ، ومخضرمي الدولتين ، ومحدثين ، فكان من ذلك الأجزاء الستة الأولى ، وخص السابع بالمغنين ، والثامن بالفهارس والاستدراكات ٠ وقد طبع في القاهرة سنة (١٩٢٥ م) ٠

وقبل أن نختم هذا الحديث حول مختصرات الأغاني نشير الى أن الدكتور الهي (باكستاني) كان قد ذكر في بحث له عن ياقوت الحموي ، أن ابن المستوفي ــ وهو من معاصري ياقوت ــ ذكر في « تاريخ اربل » ، من بين ما ذكره من كتب ياقوت ، كتابا له أسمه : « عنوان كتاب الأغاني » ٠ ويعتقد الدكتور الهي أن ياقوت ربما كان قد عبر عن اعجابه النقدي بالأغاني ، فوضع مقدمة لنسخته منه تحمل هذا العنوان(٥٥) ٠

بيد أننا مع ذلك نشير الى أن ياقوت نفسه قد ذكر في معجمه أنه كتب من الاغاني نسخة بخطه في عشر مجلدات(٥٦) ، وكان الكتاب يكتب في عصره في عشرين مجلدا(٥٧) ، مما يدعونا الى الاعتقاد أنه ربما يكون قد اختصر الأغاني كيما يسهل عليه حمله أثناء رحلاته الطويلة ، ويتمكن من الافادة منه في تأليفه ٠

كذلك فقد ذكر بروكلمان أن هنالك مختصرا مجهول المؤلف في الجزائر ، وآخر مثله في تونس (٥٨) ·

وهناك مختصرات أخرى حديثة له ، أومختارات منه نذكر منها « مختار من شعراء الأغاني » لمحمد الحسين آل كاشف الغطاء(بغداد ١٩٥٠ م) ، و « مختارات من الأغاني » للدكتور أحمد كمال زكي ، طبع في القاهرة بجزئين ، دونما تاريخ ·

طبعات الأغاني :

١ ـ الطبعة الألمانية : وهي أول ماظهر من هذا الكتاب في عالم المطبوعات ، اذ قامت جامعة كوزجارتن بطبع الجزء الأول منه ، مع ترجمة ألمانية له ، سنة (١٨١٠ م). ويقابل هذا الجزء : الجزء الأول من طبعة بولاق الى ص ١٥٢ والأول من طبعة دار الكتب الى صفحة ٣٧٨ · وينتهي عند أخبار ابن محرز ، وقد ضبطت كلماته بالشكل ·

٢ ـ طبعة بولاق : وهي الطبعة الأولى للأغاني ، وتقع في عشرين جزءا ، صدرت بالقاهرة ، عن مطبعة بولاق سنة (١٢٨٥ هـ) · وقد سقطت من هذه الطبعة بعض الأخبار والتراجم والأشعار ، بسبب افتقارها الى التحقيق العلمي السليم ، وعدم اعتمادها على مخطوطات تامة للأغاني ·

وقد أصدر المستشرق الأمريكي رودولف برونوف جزءا مكملا لهذه الطبعة عرف باسم « الجزء الحادي والعشرين » جمع فيه بعض التراجم والأخبار التي عثر عليها في بعض مخطوطات الأغاني ، مما لم يرد في الطبعة السابقة ، وطبعه في ليدن سنة (١٣٠٥ هـ ـ ١٨٨٨ م) ·

وصنع المستشرق الايطالي جويدي وبعض معاونيه فهارس كاملة لهذه الطبعة من الأغاني ، مرتبة على حروف المعجم ، وتشتمل على فهارس للشعراء ، والأعلام والقبائل ، والقوافي والأشعار ، والأمكنة والجبال والمياه، صدرت بالفرنسية سنة (١٨٩٥ـ١٩٠٠ م)·

وفي سنة (١٦١٦ م) قام الأستاذ محمدعبد الجواد الأصمعي بطبع ما جمعه من تصحيحات الشيخ الشنقيطي على نسخته للأغاني ، بعنوان « تصحيح كتاب الأغاني »·

٣ ـ طبعة الساسي : قام بأمرها الحاج محمد الساسي · وصدرت بالقاهرة عن مطبعة التقدم سنة (١٣٢٣ هـ ـ ١٩٠٥ م) · وتقع في واحد وعشرين جزءا تشتمل على الطبعة السابقة ، مضافا اليها الجزء الحادي والعشرين الذي جمعه برونوف ، ومذيلة بفهارس جويدي مترجمة الى العربية ، بيدأنها ليست مطابقة لهذه الطبعة ، اذ كانت قد صنعت على أساس طبعة بولاق ·

٤ ـ طبعة دار الكتب المصرية : وهي طبعة محققة تحقيقا علميا ، صدر الجزء الأول منها سنة (١٩٢٧ م) ، واستمرت باقي الأجزاء بالصدور حتى تم منها ستة عشر جزءا قبل تصفية القسم الأدبي بدار الكتب سنة ١٩٦٣ ·

ثم أعيد تصوير هذه الأجزاء بالأوفست، مضافا اليها أخبار حارثة ابن بدر التي ألحقت بالجزء السادس عشر ، وهي تابعة في الأصل للجزء الثامن ·

ومنذ سنة (١٩٧٠ م) كلفت الهيئة المصرية للتأليف والنشر التي حلت محل القسم الأدبي ، عددا من المحققين بمتابعة تحقيق بقية الأجزاء ، فتم ذلك سنة (١٩٧٤م) بصدور الجزء الرابع والعشرين منه • وتعرف هذه الطبعة بمجملها بطبعة دار الكتب •

٥ ـ طبعة دار الثقافة اللبنانية : وهي طبعة أشرف عليها الشيخ عبدالله العلايلي ، وقام بأمر تحقيقها ، وصنع فهارسها الأستاذ عبدالستار أحمد فراج وتقع في خمسة وعشرين جزءا تكاد الأجزاء الستة عشر الأولى منها تتطابق مع مثيلاتها من طبعة الدار ، وتختلف عنها في بقية الأجزاء ، اذ لم تكن قد صدرت طبعة الدار لهذه الأجزاء • صدرت الطبعة الأولى في بيروت سنة (١٩٥٥ م) والثانية سنة (١٩٥٧ م) والثالثة سنة (١٩٦٤ م) والرابعة (١٩٧٣ م) •

وهنالك عدة طبعات أخرى للأغاني ، نذكر منها طبعة ابراهيم الأبياري (١٩٦٩ ـ ١٩٧٩) عن دار الشعب بالقاهرة، وتعتمد أساسا على طبعة الدار ، كما أن هنالك طبعات أخرى مصورة في بيروت عن تلك الطبعات المختلفة نذكر منها الأجزاء الأربعة والعشرين المصورة عن طبعة الدار الكاملة ، وقد صدرت عن مؤسسة جمال للطباعة في بيروت •

على أن الكتاب لا يزال بحاجة الى تضافر جهود كثيرة ومتنوعة تعمل على دراسته وتحقيقه تحقيقا علميا سليما ، يستبعد ما فيه من خلل ونقص واضطراب ، ويعتمد على نسخه المخطوطة ومختصراته وتجريداته الموزعة في مكتبات العالم ، حتى يعود الى أصله الصحيح •

أما دراسة تاريخه ومنهج تأليفه وأسلوبه ومصادره فتلك أمور لم توف حقها بعد من الدراسة المنهجية ، على الرغم من وجود بعض الكتب والمقالات التي تتناول هذا الجانب أو ذاك من الأغاني •

٣ ـ كتاب أدب الغرباء :

وسماه ابن النديم : « أدب الغرباء من أهل الفضل والأدب »(٥٩) ، وورد عند الخطيب باسم : « آداب الغرباء »(٦٠)، وذكره ياقوت باسم « أدب الغرباء » مرة ، و « أدباء الغرباء » أخرى(٦١) •

وقد عثر الدكتور صلاح الدين المنجد على مخطوطة فريدة منه ، فقام بأمر تحقيقها وطبعها في بيروت سنة (١٩٧٢ م) • ويقع الكتاب المطبوع في ١١٨ صفحة تشتمل على المتن والحواشي والمقدمة والفهارس ، وأصل الكتاب منها ثمانون صفحة مع الحواشي والتعليقات ، تتضمن مقدمة أبي الفرج ، وستة وسبعين خبرا من أخبار الغرباء وأشعارهم •

وقال أبو الفرج في مقدمته : « وقد جمعت فيه ما وقع الي وعرفته ، وسمعت به وشاهدته من أخبار من قال شعراً في غربة ، ونطق عما به من كربة ، وأعلن الشكوى بوجده

الى كل مشرد عن أوطانه ، ونازح الدار عن اخوانه ، فكتب بما لقي على الجدران ، وباح بسره في كل حانة وبستان . فأرى الحال تدعو الى مشاكلتهم وحيف الزمان يقود الى التحلي بسمعتهم »(٦٢) .

وتدل هذه المقدمة على ما وصلت اليه حالته الصحية والنفسية والمادية من سوء في أواخر العمر ، كما تدل على أن هذا الكتاب كان آخر ما صنفه في حياته الطويلة من الكتب والتأليف .

٤ ـ التعديل والانتصاف :

وهو من الكتب التي ذكرها أبو الفرج نفسه في أربعة مواضع من الأغاني ، سنوردها دونما ترتيب لأهمية ذلك فيما ينبني عليه من نتائج .

فقد قال أبو الفرج في أخبار خالد القسري : « وكان قوم من سحمة عرضوا لجار أسد (جد خالد) فأوقع بهم أسد ... فقال القتّال فيه عدة قصائد ... ولم أذكرها ها هنا لطولها ، وان ذلك ليس الغرض المطلوب في هذا الكتاب ، وانما نذكر ها هنا لُمعا ، وسائره مذكور في **جمهرة أنساب العرب** : الذي جمعت فيه أنسابها وأخبارها ، وسميته : **التعديل والانتصاف** . ولبني سحمة يقول أسد ... وهي قصيدة طويلة ، ولأسد أشعار كثيرة ذكرت هذه منها ها هنا ، وسائرها يذكر في : **كتاب النسب** ، مع أخبار شعراء القبائل انشاء الله »(٦٣) . فهذه ثلاثة مواضع يرد فيها ذكر هذا الكتاب على لسان أبي الفرج نفسه ، اثنان منها بصفته ، والثالث باسمه وعنوانه .

أما الموضع الرابع فقد ورد في معرض حديثه عن نسب أبي قطيفة فقال : « وقد شرحت ذلك في : **كتاب النسب** شرحا يستغنى به عن غيره »(٦٤) .

فهذه النصوص تؤكد ـ دونما لبس أو غموض ـ أننا أمام كتاب واحد أسماه مؤلفه باسم : التعديل والانتصاف ، وذكره بصفته فقال عنه انه يشتمل على : جمهرة أنساب العرب ، وانه : كتاب النسب ، دالا بذلك على جزء هام من مضمونه ومنهج تأليفه وبنائه .

وقد توهم معظم القدماء ، وجميع من ذكر هذا الكتاب من المعاصرين في حقيقته وأصله ، اذ جعلوا منه كتابين أو ثلاثة كتب ، تذكر على أنها كتب مختلفة . وتغير اسمه وعنوانه مرات عديدة ، فصحف أو حرف أو بدل أو ذيل بذيول غريبة .

فلسنا نجد لهذا الكتاب ذكرا لدى ابن النديم ضمن القائمة التي قدمها بكتب أبي الفرج(٦٥) ، وكذلك لم يذكره الثعالبي فيما ذكر من كتبه التي رآها(٦٦) .

أما الخطيب البغدادي فقد ذكره بصفته التي ذكرها أبو الفرج في الأغاني فورد عنده باسم : كتاب جمهرة النسب ، وقال انه « من الكتب التي لم تقع الينا »(٦٧) وعده ضمن قائمة الكتب التي قال ان الأصبهاني كان يؤلفها للأمويين في الأندلس ، ويبعث بها سرا

اليهم . الا أن في حديث أبي الفرج نفسه عن هذا الكتاب ـ كما مر معنا ـ ما يدل على وجود نسخ منه بأيدي الناس في عصره .

وانقسم الكتاب في معجم ياقوت الى كتابين مختلفين ، والى بينهما في القائمة التي قدمها بأسماء عدد من كتب الأصبهاني ، وهما : « كتاب التعديل والانتصاف في أخبار القبائل وأشعارها » ، وقال عنه « ولم أره وبودي لو رأيته ، ذكره أبو الفرج في الأغاني » ، ثم أورد بعده : « كتاب جمهرة النسب » على أنه كتاب آخر من كتبه ، ويبدو أنه نقله من الخطيب البغدادي(٦٨) .

واذا كنا لا نستطيع أن نؤكد شكنا في عدم اطلاع ياقوت على نص أبي الفرج المذكور في الاغاني ، فاننا نشك في صحة فهمه لحقيقة هذا النص ومقاصده ، والا لتبين له أنهما كتاب واحد فحسب .

وتغير اسم هذا الكتاب عند القفطي فأصبح على هذه الصورة : «التعديل والانتصاف في مآثر العرب ومثالبها » ، وذكر أيضا كتاب « جمهرة النسب » على أنه كتاب آخر غير التعديل(٦٩) ، وكذلك فعل ابن خلكان في الوفيات(٧٠) .

أما ابن واصل الحموي فقد ذكره باسم : « التعديل والانتصاف في مآثر العرب » ، وذكر له أيضا « كتاب جمهرة النسب »(٧١) .

وأسماه اليافعي بالاسم الذي ورد عليه عند القفطي(٧٢) ، بينما اكتفى العيني بذكر « جمهرة النسب » فحسب(٧٣) .

أما صاحب الكشف فقد دعاه باسم : « التعديل في مآثر العرب وأمثالها » ، وذكر له أيضا « كتاب جمهرة النسب »(٧٤) .

واذا كان معظم المعاصرين قد قنعوا بذكر هذا الكتاب على احدى الصور التي ورد عليها في كتب الأقدمين ، فاختلفت أسماؤه باختلاف المصادر التي نقلت منها ، وتعددت عناوينه فتحول الى كتابين أو ثلاثة كتب مختلفة(٧٥) ، الا أننا نجد بروكلمان ـ من بينهم ـ يصر على تسميته باسم :« التعديل والانتصاف في معايب العرب ومثالبها » ، مشيرا الى أنه ورد كذلك في تاريخ الخطيب البغدادي ، وقد مر بنا قبل قليل أن الخطيب لم يذكر هذا الكتاب مطلقا ، كما لم نجد له ذكرا بهذا الاسم عند غيره من المؤلفين الذين وقفنا على مصنفاتهم وتآليفهم(٧٦) .

أما مضمون هذا الكتاب ومحتوياته فاننا نستطيع أن نتبينها من خلال ما ذكره أبو الفرج عنه ، اذ أشار الى أنه جمع فيه جمهرة أنساب قبائل العرب وشعرائهم وقصائدهم وأيامهم . وعلى ذلك فانه ينبغي أن يكون مبنيا على أساس قبلي واقليمي في منهجه العام . ومما لا شك فيه أن صدره يتضمن حديثا طويلا عن النسب والنسابين ، وما قيل فيهم من أقوال وأحاديث ، وقد شرح أبو الفرج ذلك « شرحا يستغنى به عن غيره » كما قال آنفا .

وعلى ذلك فاننا نقدر أن حجم هـذا الكتاب كبير جدا ، يفوق حجم الأغاني بكثير، وأنه يتضمن قصائد شعراء القبائل كاملة ، اذ كان قوله يوحي بذلك حين قال : « ولم أذكرها (القصيدة) هنا لطولها ، وأن ذلك ليس الغرض المطلوب في هذا الكتاب ، وانما نذكر ها هنا لما ، وسائره مذكور في جمهرة أنساب العرب الـذي جمعت فيـه أنسابها وأخبارها وسميته : التعديل والانتصاف » • مفقود •

٥ ـ مجـرد الأغانـي :

وهو من الكتب التي ذكرها أبو الفرج نفسه في الأغاني أيضـا مرات عديدة ومن ذلك قوله في مقدمته : « ولم يستوعب كل ما غني به في هذا الكتاب ، ولا أتى بجميعه ، اذ كان قد أفرد لذلك كتابا مجردا من الأخبـار ، ومحتـويا علـى جميـع الغناء القـديم والمتأخر »(٧٧) • وذكره ابن النديم ومن جاء بعده من المؤلفين أيضا(٧٨) • وأشار الخطيب الى أنه من جملة الكتب التي كان أبو الفرج يبعث بها الى الأندلس(٧٩) • مفقود •

٦ ـ رسالة في علل النغم :

أشار اليها أبو الفرج في الأغاني وذلك في معرض رده على شيخه المنجم حول صـوت مختلف في لحنه وايقاعـه فقال : « اذ كـان استقصاء شرحها طويلا ، وقد ذكرته في رسالة الى بعض اخواني في : علل النغم ، وشرحت هناك العلة في أن قسّم الغناء الى قسمين»(٨٠)، وقال في موضع آخر :

« وشرحت العلل مبسوطة في كتاب الفته في النغم »(٨١) • وورد ذكر هذه الرسالة في موضع آخر من الأغاني أيضا • وكان أبو الفرج في هذه المواضع كلها يتحدث عن أمر واحد، ويرد على شـيخه أبي أحمد يحيى بـن علي المنجم في رسالة له في النغم(٨٢) •

ولم يذكر أحد من القدماء هذه الرسالة ضمن ما ذكروه من مؤلفـات أبي الفـرج ، وتوهم المعاصرون في أمرها(٨٣) ، فجعلوا منها كتابين أو رسالتين : احداهما في النغم والأخرى في الأغاني(٨٤) • مفقودة •

٧ ـ كتاب مجموع الآثار والأخبار :

ذكره ابن النديم بهذا الاسـم ، وسماه ياقوت : « مجموع الأخبار والآثار »(٨٥) • مفقـود •

٨ ـ كتاب الأخبار والنوادر :

ذكره ابن النديم وياقوت •(٨٦) مفقود •

٩ ـ كتاب أيـام العرب :

ذكره الخطيب باسم : « أيام العرب ومثالبها »(٨٧) • وورد عند ابن الجوزي والقفطي وابن كثير وابن خلكـان وصاحب الكشـف باسم : « أيام العرب » • وأشاروا جميعا الى

أنه يشتمل على ألف وسبعمائة يوم(٨٨) ٠ولسنا نعتقد أن التسمية التي ورد عليها عند الخطيب صحيحة ، لما نعرفه من هجوم آبي الفرج العنيف على أصحاب المثالب(٨٩)؛مفقود.

١٠ ـ كتاب نسب عبد شمس :

ذكره الخطيب وأشار الى أنه من جملة الكتب التي كان أبو الفرج يؤلفها للأمويين في الأندلس ، كما ذكره ياقوت والقفطي وابن واصل وأبو الفدا وابن خلكان وصاحب الكشف أيضا ٠ (٩٠) مفقود ٠

١١ ـ كتاب نسب المهالبة :

ذكره الخطيب ضمن مجموعة الكتب التي كان يبعث بها أبو الفرج الى الأندلس ٠ كما ذكره ياقوت والقفطي وابن واصل وابن خلكان والسخاوي أيضا ٠(٩١) مفقود ٠

١٢ ـ كتاب نسب بني شيبان :

ذكره الخطيب وياقوت والقفطي وابن واصل وصاحب الكشف ٠ وورد عند أبي الفداء مصحفا الى : « نسب بني سنان » ، بينما ذكره ابن الوردي باسمه الصحيح ، وهو ينقل عنه في تاريخه كما هو معلوم ، مما يدل على التصحيف في ذلك(٩٢) ٠

١٣ ـ كتاب نسب بني تغلب :

ذكره الخطيب وياقوت والقفطي وابن واصل وابن خلكان وصاحب الكشف ٠(٩٣) مفقود ٠

١٤ ـ كتاب نسب بني كلاب :

ذكره الخطيب والقفطي وابن واصل وابن خلكان وصاحب الكشف (٩٤) ٠ مفقود٠

١٥ ـ كتاب الاماء الشواعر :

ذكره ابن النديم باسم « أشعار الاماء والمماليك » ، وورد عند الثعالبي باسم « الاماء الشواعر » وأشار الى أنه رآه أما الخطيب فقد ذكره باسم « أخبار الاماء الشواعر » ٠ وبهذا الاسم ورد عند القفطي وابن واصل وابن خلكان والصفدي والسخاوي وصاحب الكشف ٠ أما صاحب مفتاح السعادة فقد ذكره باسم « الاماء الشواعر » ٠ وكذلك ورد اسمه عند ياقوت وذكر بعده كتابا آخر لأبي الفرج هو « المماليك الشعراء »(٩٥) ٠

وعلى هذا فان لنا أن نفترض في هذا الكتاب افتراضين : أحدهما أن الكتابين في الأصل كتاب واحد كما ورد اسمه عند ابن النديم ، ثم انقسم هذا الكتاب بعد ذلك الى جزئين منفصلين أو كتابين مختلفين منذ وقت مبكر جدا يعود الى أيام الثعالبي (ـ٤٢٩ هـ) الذي صرح بأنه رأى أحدهما ٠

أما الافتراض الثاني : فهو أن الكتابين منفصلان في الأصل وذكرهما ابن النديم معا بجامع الأشعار بينهما · ومما يقوي صحة هذا الافتراض أننا سنجد لأبي الفرج بعض الكتب المؤلفة على هذا النحو كأخبار القيان ،وأخبار المغنين كما سيمر معنا بعد حين ·

١٦ ــ كتاب المماليك الشعراء :

تفرد ياقوت الحموي بذكره كما رأينا ·

١٧ ــ أخبار جحظة البرمكي :

ذكره الثعالبي وقال انه رآه ، كما ذكره ياقوت وابن خلكان وصاحب الكشف(٩٦) ·

١٨ ــ أخبار الطفيليين :

ذكره ابن النديم وياقوت الحموي(٩٧) ·

١٩ ــ كتاب صفة هارون :

تفرد ابن النديم بذكره(٩٨) ·

٢٠ ــ كتاب الفرق والمعيار بين الأوغاد والأحرار :

ذكره ابن النديم على هذه الصورة : كتاب الفرق والمعيار وهي رسالة في هارون بن المنجم بين الأوغاد والأحرار »(٩٩) ·

وظاهر الأمر أن ليس هنالك أيما لبس في أمر هذا الكتاب الذي اعترضت بين جزئيه صفته لدى ابن النديم ، غير أن الأمر ليس بهذه السهولة ·

فنحن نقرأ في موضع آخر من الفهرست وأثناء ترجمة علي بن هرون المنجم قول ابن النديم : « وله كتاب اللفظ المحيط بنقض ما لفظ بـه اللقيط ، وهـو معارضة عـن كتاب أبي الفرج الأصبهاني : الفرق والمعيار بين الأوغاد والأحرار »(١٠٠) · فهـذا النص يؤكد أن كتاب أبي الفرج موجه أساسا الى علي بن هرون المنجم (٢٧٧ ــ ٣٥٢ هـ) وهو أحد معاصري الأصبهـاني ، ومن زملائـه في ندوة الوزيـر المهلبي ، وكان أديبا شـاعرا عارفا بالغناء وله عدة تصانيف فيه ، وقد روى أبو الفرج عنه ــ فيما نعلم ــ رواية يتيمة في الأغاني(١٠١) ·

أما هرون فهو ابنه ، وكان مثله في الأدب والشاعرية والاهتمام بالغناء ، وقد ذكر له ابن النديم من الكتب مختارا في الأغاني ،وهو أحد معاصري أبي الفرج أيضا(١٠٢) ·

ومما لا شك فيه عندنا أن نوعا من الصراع والتنافس كان قد وقع بين أبي الفـرج وآل المنجم ، فأدى الى نشوب خـلاف قـوي بينهم ، كانت ثمرته هـذه الكتب الثلاثـة : صفة هـرون ، والفرق والمعيـار ، واللفظ المحيط ·

ومن الواضح أن المقصود بكتاب أبي الفرج الأول هو هارون بن علي • أما الثاني: فان نص ابن النديم الأول يؤكد أن المقصود به هو هارون أيضا ، ولكن نصه الثاني الذي أوردناه يوحي بأن المقصود به علي أبوه ،ومن هنا كان الالتباس والغموض في أمر هذا الكتاب •

وفي تفسير ذلك لنا أن نفترض أن أبا الفرج كان قد وجه الكتابين الى هرون ابن علي ، فانتصر له أبوه ، وعارضهما بكتابه اللفظ المحيط • أو أن الكتاب الأول موجه الى هارون ، والثاني الى أبيه علي الذي عارضه ونقضه بكتابه • وعلى ذلك تكون جملة ابن النديم المعترضة ــ فيما نقدّر ــ تابعة في الأصل للكتاب الأول وهي مناسبة له ، اذ أنها صفته ، ثم أصابها بعد ذلك ما يصيب الجمل من اضطراب على أيدي الورّاقين عادة، فسقطت لتعترض بين أجزاء عنوان الكتاب المذكور بعدها ــ أو ربما تحتها مباشرة ــ اعتراضا لا مسوّغ له •

ويبدو أن هذا الاضطراب قد وقف حائلادون ذكر أحد من المؤلفين بعد ابن النديم لكتاب « صفة هارون » ضمن ما يقدمونه من قوائم بكتب الأصبهاني ، أما «الفرق والمعيار» فقد ذكره ياقوت نقلا عن ابن النديم ، وعلى الصورة نفسها التي وردت في الفهرست(١٠٣)، بيد أنه تجنب ذكر الكتاب الأول مع أن ابن النديم قد ذكره قبله ، وورد اسم الكتاب الثاني في الكشف مصحفا دونما اعتراض على هذه الصورة : الفرق والمعيار بين الأوفاد والأحرار »(١٠٤) •

٢١ ــ كتاب دعوة النجّار :

ذكره الثعالبي وقال انه رآه ، كما ذكره ياقوت أيضا ، وورد عند اليافعي وصاحب الكشف باسم : دعوة التجار(١٠٥) •

٢٢ ــ كتاب دعوة الأطباء :

تفرّد ابن خلكان بذكره(١٠٦) •

٢٣ ــ كتاب مناجيب الخصيان :

تفرّد ياقوت بذكره وقال ان الأصبهاني «عمله للوزير المهلبي في مغنيين كاناله»(١٠٧).

٢٤ ــ كتاب تفضيل ذي الحجة :

ذكره ابن النديم وياقوت الحموي(١٠٨) •

٢٥ ــ كتاب أدب السماع :

ذكره ابن النديم وياقوت(١٠٩) •

٢٦ ــ كتاب الغلمان المغنين :

ذكره الخطيب وياقوت والقفطي وابن واصل وابن خلكان ، وورد عند السخاوي

باسم : «أخبار المغنين المماليك » ، وذكره اليافعي باسم : « المغنين الغلمان » ، واكتفى صاحب الكشف باسم « كتاب الغلمان»(١١٠) ٠

٢٧ ــ كتاب المغنين :

تفرد السخاوي بذكره ، وكان قد ذكر قبله مباشرة الكتاب السابق ، مما يدل على أنهما كتابان منفصلان ، فاذا كان الأول منهما مختصا بالغلمان من المغنين ، فان الثاني ــ على ما يبدو ــ عام يشمل غيرهم أيضا(١١١) ٠

٢٨ ــ كتاب القيان :

ذكره الثعالبي والخطيب وياقوت الذي سماه « أخبار القيان » والقفطي وابن خلكان وابن واصل والسخاوي الذي أشار الى أنه « يقع في مجلدين »(١١٢) ٠

ولم يذكره صاحب الكشف ، وانما ورد عنده ذكر لكتاب باسم : «نزهة الملوك والأعيان في أخبار القيان والمغنيات الدواخل الحسان»٠

وقال ان « أوله : بحمد الله والثناء عليه افتتح كل قول عند ابتدائه الخ (كذا) ، وهو مشتمل على لطائف مستحسنة وأخبار مستطرفة من **أخبار القيان** ، قديمهن وحديثهن ، وشرح أحوالهن »(١١٣) ٠

ومن الواضح أن هذا الكتاب هو كتاب القيان أو أخبار القيان نفسه ٠ ومما يقوي ذلك أن المؤلف لم يذكر له كتابا بأحد هذين الاسمين ، وأن اسمه الذي ورد عليه عند ياقوت « أخبار القيان » ، قد اشتمل عليه ما أورده صاحب الكشف من مقدمته ٠ كما أن هذه المقدمة تدل على أنه ذات الكتاب الذي ذكره السخاوي ، وأشار الى أنه يقع في مجلدين ٠ كذلك فان أحدا غير صاحب الكشف لم يذكر له كتابا بهذا الاسم ٠ مما يدعونا الى الاعتقاد بأن هذه التسمية متأخرة تعود الى عصر حاجي خليفة ، وقد صنعها الوراقون ليدلوا بها على صفة الكتاب بشكل واضح ٠

٢٩ ــ كتاب الخمارين والخمارات :

ذكره ابن النديم وياقوت بهذا الاسم ،أما الخطيب والقفطي وابن واصل وابن خلكان فقد ورد عندهم باسم : الحانات ، ولم يذكروا الخمارين والخمارات ، مما يدل على أنه المقصود ، وأن عنوانه قد تغير عند أولهم (الخطيب) فتابعوه في ذلك ، اذ كانوا يقولون على تاريخه في تآليفهم٠ على أن معنى العنوانين واحد ٠

وورد هذا العنوان في مرآة الجنان مصحفا الى : الألحانات ٠ ولم نجد أحدا غير اليافعي يذكر له كتابا بهذا الاسم ٠ ويبدو أن لشهرة أبي الفرج بالأغاني والألحان أثرا في ذلك(١١٤) ٠

٣٠ ــ الديارات :

ذكره ابن النديم والثعالبي والخطيب ٠ وورد في معجم الأدباء مصحفا الى الديانات ، وذكره القفطي وابن واصل وابن خلكان وصاحب الكشف باسمه الصحيح ٠ أما ابن الأثير فقد

ورد عنده محرفا الى : المزارات · وأشار الى أنه ورد كذلك عند ابن خلكان الذي ذكره باسمه الصحيح كما رأينا ، مما يدل على التحريف في ذلك (١١٥) ·

٣١ ــ تحفة الوسائد في أخبار الولائد :

تفرّد صاحب الكشف بذكره من بين الأقدمين · ونقله عنه صاحب هدية العارفين(١١٦) ·

٣٢ ــ كتاب ما نزل من القرآن في أمير المؤمنين وأهل بيته :

تفرّد الطوسي بذكره(١١٧) ·

٣٣ ــ كتاب نفي كلام فاطمة في فدك :

تفرّد الطوسي بذكره أيضا(١١٧) ·

٣٤ ــ مجموع شعر يزيد بن الطثرية* :

لم أجد أحدا من القدماء أو المحدثين ذكره مع كتب أبي الفرج التي يذكرون · بيد أنني وجدت ابن خلكان أثناء ترجمة يزيد بن الطثرية يقول : « وكان أبو الفرج الأصبهاني قد جمع شعر يزيد بن الطثرية أيضا في ديوان »(١١٨) · وقال في موضع آخر من هذه الترجمة : « وقال أبو الفرج الأصبهاني في أول الديوان الذي جمعه من شعر يزيد بن الطثرية ان بني حنيفة قتلته في خلافة بني العباس »(١١٩) · وقد ذكر أبو الفرج من خبر مقتل يزيد في الأغاني ما يؤكد قول ابن خلكان(١٢٠) ·

ويبدو أن هذا الديوان يشتمل على مقدمة ضمّنها أبو الفرج أخبار هذا الشاعر، على طريقته المعروفة في سرد أخبار الشعراء في الأغاني ·

غير أن ابن خلكان لم يذكر هذا الديوان أو المجموع مع ما ذكره من كتب أبي الفرج أثناء ترجمته له(١٢١) ·

تلك هي الكتب التي صحت لدينا نسبتها الى أبي الفرج ·· وتبقى هنالك مجموعة أخرى من الكتب والمؤلفات التي تنسب اليه في كتب المعاصرين ، دون أن يكون لها ذكر في أي مصدر المصادر القديمة التي وجدنا أنها منسوبة فيها الى غيره من المؤلفين ·

وأقدم ذكر لهذه المؤلفات المنسوبة اليه ورد في مختصر الأب اليسوعي للأغاني ، اذ جاء في مقدمته قوله بعد أن أتى على ذكر بعض مؤلفات الأصبهاني : « وللأصبهاني تصانيف غيرها لم يذكرها أصحاب التراجم ، تيسر لنا أن نجمعها بالاستقراء من كتاب كشف الظنون وغيره »(١٢٢) · ثم أتى على تعداد هذه الكتب ، ومعظمها مما ورد ذكره عند عدد كبير من القدماء ، وبعضها لم يذكره أحد منهم حقا ، لأنها ليست من كتب أبي الفرج ·

---

* جمع الأستاذ حاتم صالح الضامن شعر يزيد بن الطثرية ونشرته دار التربية ببغداد سنة ١٩٧٣ م · (المجلة)

ولدى بحثنا عن حقيقة هـذه الكتب ،وتتبعنا لها في مظانها ، وجدنا أنها تنسب في المصادر القديمة ـ ومنها كشف الظنـون ـالى شخص آخر من معاصري أبي الفرج من الأدباء وهـو : أبو الفـرج علي بن حمـزةالأصبهـاني (ـ ٣٥٦ هـ) وكـان ـ علـى ما يبدو ـ مولعا بجمع دواوين الشـعراء ،ومنها مما ينسب الى أبي الفرج :

مجموع شعر أبي تمام : ذكره ابن النديم وابن خلكان وصاحب الكشف ، وقالوا انه رتبه على الأنواع ، وهي الصفـة التي وردعليهـا عنـد اليسـوعـي منسوبـا الـى أبي الفرج(١٢٣) ٠

ديوان البحتري : لعلي بن حمزة أيضا ،ذكره ابن النديم وصاحب الكشف ، وقـالا انه رتبه على الأنواع كسابقه ، وقال بذلك اليسوعي حين نسبه الى أبي الفرج(١٢٤) ٠

ديوان أبي نواس : ذكره ابن النديم وصاحب الكشف لعلي بن حمزة(١٢٥) ٠

كتاب أعيان الفـرس : ذكـره صاحب الكشف لعلي بن حمزة ، وقد ذكر من ترجـم له أنه فارسي الأصل(١٢٦) ٠

ومن الواضح أن مبعث الوهم في ذهـن اليسوعي راجع الى ما بين هذين المؤلفين من تشابه في الاسم وتاريخ الوفاة ٠ وقد نقـل عنه محققو الأغاني (ط دار الكتب) أسماء هذه الكتب ، وأوردوها منسوبة الى أبي الفرج ، ومن ثـم انتشـرت في كتب المعاصريـن الأخرى التي كان لهذه الكتب ذكر فيها(١٢٧) ٠

وأورد بروكلمان أسماء بعض الكتب الأخرى منسوبة الى أبي الفرج ومنها : « كتاب أخبار المجانين »(١٢٨) مشيرا الى أنه نقله عن السخاوي في الاعلان بالتوبيـخ ص ١٠٨ ٠ ولم نجد لهذا الكتاب ذكراً في كتاب السخاوي كله ، كما لم نجد أحدا نسبه الى أبي الفرج غيره ٠ و « كتاب الأمالي »(١٢٩) الذي لم نجد أحدا مـن القدمـاء يذكـر له كتاباً بهـذا الاسم ٠ على أننا وجدناً صاحب الكشف يذكر كتابا باسم « الأمالي الأصبهانية » للقاضي المحاملي من معاصري أبي الفرج(١٣٠) وذكر له كتابا آخر باسم « كشف الكربة في وصف الغربة »(١٣١) ولعله اسم آخر لكتابه الذي ذكرناه « أدب الغربـاء » ، اذ لم نجد لهـذا الكتاب ذكرا في المصادر القديمة ٠

وهكذا نلاحظ مدى ما أصاب كتب هذا الأديب من اختلاط وتغير وتبديل ، وما داخلها من أوهام وتحريف وتصحيف ، وما أضيـف اليها من الكتب المنسوبة اليه ، دون أن تكون هنالك قائمة صحيحـة بأسماء هـذه الكتب والمؤلفات ٠

وقد بذلنا في سبيل تقديم مثل هذه القائمة جهدا غير يسير ، نأمل بعده أن نكون قد وفقنا الى انقاذ هذه المؤلفات بعد أن كادت تندثر تحت ركام تلك الأوهام والأخطـاء ، وعسى أن يساعد ذلك في البحث عـن بعض هذه المؤلفات المفقودة ، والعثور عليها ،فنكون بذلك قد وفينا هذا الأديب بعض حقه علينا ،اذ طالما اغترفنـا من بحـر علمه ، ومفيـد تآليفه وكتبه(١٣٢) ٠

الهوامـش :

١ ـ تاريخ بغداد ٣٩٩/١١ • وصاحب هذا القول هو ابو علي المحسن بن ابي القاسم علي بن محمد القاضي التنوخي • اديب شاعر اخباري محدث ثقة صدوق • وهو احد تلامذة الأصبهاني ، وروّاد مجلسه • (٣٢٧ ـ ٣٨٤ هـ) • انظر وفيات الأعيان ١٥٩/٤ وفوات الوفيات ٦٠/٣ •

٢ ـ مقاتل الطالبيين ص ٥ •

٣ ـ المصدر نفسه ص ٧٢١ •

٤ ـ انظر مثلا : الفهرست ص ١٧٢ ـ ١٧٣ ، وتاريخ بغداد ٣٩٨/١١ ، ووفيات الأعيان ٣٠٧/٣ ـ ٣٠٨ •

٥ ـ انظر يتيمة الدهر ٩٦/٣ •

٦ ـ انظر مثلا : المختصر ١٣٦/٣ ، ومرآة الجنان ٣٦٠/٢ ، ومفتاح السعادة ١٨٥/١ •

٧ ـ انظر مثلا : العبر ٣٠٥/٢ ، ولسان الميزان ٢٢١/٤ ، والنجوم الزاهرة ١٥/٤ •

٨ ـ معجم الأدباء : ٩٩/١٣ ـ ١٠٠ •

٩ ـ وسيرد الحديث عن ذلك في اواخر هذا البحث •

١٠ ـ مقاتل الطالبيين المقدمة ص ٥ •

١١ ـ المصدر نفسه ص ٧٢١ •

١٢ ـ « وكان طلبه في حدود الثلاثمائة » كما يقول ابن حجر في لسان الميزان ٢٢١/٢ •

١٣ ـ انظر مقاتل الطالبيين ص ٩٨ و ٦١٦ •

١٤ ـ انظر مقدمة المحقق ص/ص •

١٥ ـ الفهرست ص ١٧٢ •

١٦ ـ مقدمة ابن خلدون ص ١٠٧٠ •

١٧ ـ دراسة في مصادر الأدب العربي ١٧٣/١ •

١٨ ـ الحلة السيراء ٢٠١/١ ـ ٢٠٢ •

١٩ ـ مختار الأغاني ١/١ •

٢٠ ـ حلية المحاضرة ، مقدمة المحقق ١٢/١ •

٢١ ـ انظر التنبيه على أوهام أبي علي في اماليه ص ٣٧ و ٤٧ و ٦٧ ومواضع اخرى كثيرة •

٢٢ ـ كتاب الحلة السيراء ، مقدمة المحقق ص ١٧١ •

٢٣ ـ معجم الأدباء ٩٨/١٣ •

٢٤ـ انظر وفيات الأعيان : ٢٥٤/١ ، ١٦٣/٢ و ١٦٨ و ١٦٩ و ٢٦٦ ، ٣٥/٣ و ٣٥٢ ، ١١٠/٤ ، ٦٨/٦ و ١٥٥ و ٣٦٩ و ٣٧٤ ، ١٧٩/٨ ومواضع اخرى كثيرة جدا •

٢٥ ـ انظر في ترجمته : معجم الأدباء ٧٩/١٠ ـ ٩٠ ووفيات الأعيان ١٧٢/٢ ـ ١٧٧ •

٢٦ ـ معجم الأدباء ٩٧/١٣ ـ ٩٨ •

٢٧ ـ تجريد الأغاني ٦/١ •

٢٨ ـ كشف الظنون ١٢٩/١ •

٢٩ ـ انظر ترجمته في الوفيات ٣٧٧/٤ وما بعدها •

٣٠ ـ انظر وفيات الأعيان ٣٧٨/٤ وكشف الظنون ١٢٩/١ •

٣١ ـ انظر ترجمته في انباه الرواة ١٣٣/٢ والوفيات ٩٨/٣ ولسان الميزان ٣٨٤/٣ •

٣٢ ـ وفيات الأعيان ٩٩/٣ •

٣٣ ـ كشف الظنون ١٦٠/١ •

٣٤ ـ انظر ترجمته في وفيات الأعيان ١٦٠/١ ـ ١٦١ •

٣٥ ـ مختار الأغاني ١/١ وكشف الظنون ١٣٠/١ •

٣٦ ـ انظر ترجمته في معجم الأدباء ١٤١/٢ ـ ١٤٧ وانباه الرواة ٣٤٤/٢ ـ ٣٤٥ وفوات الوفيات ٣٣٤/٢ ولسان الميزان ١٥٠/٤ •

٣٧ ـ الاعلان بالتوبيخ ص ١٠٦ •

٣٨ ـ فوات الوفيات ٣١٥/٢ •

٣٩ ـ فوات الوفيات ٣١٥/٢ وكشف الظنون ١٣٠/١ •

٤٠ ـ انظر ترجمته في الوافي بالوفيات ٨٥/٣ ـ ٨٦ وتاريخ أبي الفداء ٣٨/٤ وابن الوردي ٣٤٩/٢ •

٤١ ـ تجريد الأغاني ١/١ •

٤٢ ـ وهو السلطان محمود بن محمد بن عمر الأيوبي ، ملك حماة سنة (٦٢٦ هـ) وتوفي سنة (٦٤٢ هـ) • وكان ابن واصل على صلة قوية به • انظر تاريخ أبي الفدا ٣٣/٤ •

وقد توهم المحققان انه السلطان محمد بن عمر (ـ ٦١٧ هـ) وذلك لا يتفق مع مولد ابن واصل سنة (٦٠٤ هـ) ولم يخالف فيه احد • كما توهما في أسماء بعض من ذكر أبا الفرج من القدماء كأبي محمد بن الحسين النوبختي فزعما انه ابن رامين القاضي، وأبي الحسن البتي فزعما انه جحظة البرمكي!• انظر مقدمة التجريد ٦/١ ثم تاريخ بغداد ٣٩٨/١١ •

٤٣ ـ انظر ترجمته في فوات الوفيات ٣٣١/٢ •

٤٤ ـ مختار الأغاني ٦/٣ وما بعدها •

٤٥ ـ لم نعثر له على ترجمة • بيد ان احد ادباء تونس نشر بحثا عنه في احدى صحف تونس ، وهو ملحق بكتابه المخطوط « الكوكب الثاقب في اخبار الشعراء من ذوي المناقب » بالخزانة الملكية في الرباط برقم ٢٧٠٧ •

٤٦ ـ المخطوطة ١/١٠ .
٤٧ ـ المخطوطة ١/١٥ .
٤٨ ـ المخطوطة ١/١٦ ـ ١٧ .
٤٩ ـ المخطوطة ٢٢/٤٠ وما بعدها .
٥٠ ـ المخطوطة الجزء ١٢ .
٥١ ـ المصدر نفسه الجزء ١٢ .
٥٢ ـ المصدر نفسه الجزء ١٥ .
٥٣ ـ المصدر نفسه ٥/٩٧ وما بعدها .
٥٤ ـ المصدر نفسه ٢٣/١٠٩ ـ ١١٦ .
٥٥ ـ مجلة المورد البغدادية مج ٧ ، ع ١ عام ١٩٧٨ ص ٣٤ و ٣٩ .
٥٦ ـ معجم الأدباء ١٣/٩٨ .
٥٧ ـ الوافي بالوفيات ٦/٢٥٢ ـ ٢٥٣ .
٥٨ ـ تاريخ الأدب العربي ٣/٦٩ .
٥٩ ـ الفهرست ص ١٧٣ .
٦٠ ـ تاريخ بغداد ١١/٣٩٨ .
٦١ ـ معجم الأدباء ١٣/٩٩ .
٦٢ ـ أدب الغرباء ص ٢١ .
٦٣ ـ الأغاني ٢٢/٣ ـ ٤ .
٦٤ ـ الأغاني ١/١٤ .
٦٥ ـ الفهرست ص ١٧٣ .
٦٦ ـ يتيمة الدهر ٣/٩٦ .
٦٧ ـ تاريخ بغداد ١١/٣٩٨ .
٦٨ ـ معجم الأدباء ١٣/٩٨ .
٦٩ ـ انباه الرواة ٢/٢٥٢ .
٧٠ ـ وفيات الأعيان ٣/٣٠٨ .
٧١ ـ تجريد الأغاني ١/٥ .
٧٢ ـ مرآة الجنان ٢/٣٦٠ .
٧٣ ـ مفتاح السعادة ١/١٨٥ .
٧٤ ـ كشف الظنون ٩١/٤١٩ ثم ٦٠٥ .

٧٥ ـ انظر مثلا تصدير الأغاني (ط الدار) ١/٣١ وأبو الفرج الأصبهاني لشفيق جبري ص ٢١ ـ ٢٢ ـ وللأصمعي ص ١٥٩ . ودراسة في مصادر الأدب ١/١٥٨ .
٧٦ ـ تاريخ الأدب العربي ٣/٧٠ .
٧٧ ـ الأغاني ١/١ وانظر ٢/٧٦ .
٧٨ ـ الفهرست ص ١٧٣ .
٧٩ ـ تاريخ بغداد ١١/٣٩٨ . وقد توهم الدكتور مكي اذ ظن ان هذا الكتاب هو مختصر للأغاني قام به ابو الفرج نفسه ، انظر دراسة في مصادر الأدب ١/١٨١ .
٨٠ ـ الأغاني ٨/٣٧٤ .

٨١ ـ الأغاني ١٠/٩٧ .
٨٢ ـ الأغاني ٨/٣٧٤ .
٨٣ ـ وهي رسالة صغيرة لأبي أحمد بعنوان « كتاب النغم » عني بتحقيقها الشيخ محمد بهجة الأثري ونشرها في مجلة المجمع العلمي العراقي حـ١ س١ ايلول ١٩٥٠ ، ص ١١٤ ـ ١٢٤ .

٨٤ ـ انظر مثلا : رنات الثالث والثاني ١/١٣ ، وتصدير الأغاني (ط الدار) ١/٣١ ودراسة كتاب الأغاني ص٧ .
٨٥ ـ انظر : الفهرست ص ١٧٣ ومعجم الأدباء ١٣/٩٩ .
٨٦ ـ انظر المصدرين السابقين الصفحة نفسها .
٨٧ ـ تاريخ بغداد ١١/٣٩٨ .
٨٨ ـ انظر على التوالي : المنتظم ٧/٤٠ وانباه الرواة ٢/٢٥٢ والبداية والنهاية ١١/٢٦٣ ووفيات الأعيان ٣/٣٠٨ وكشف الظنون ١/٢٠٤ .
٨٩ ـ انظر في ذلك الأغاني : ٢٠/٧٥ ـ ٧٧ .
٩٠ ـ انظر على التوالي : تاريخ بغداد ١١/٣٩٨ ومعجم الأدباء ١٣/١٠٠ وانباه الرواة ٢/٢٥٢ وتجريد الأغاني ١/٥ والمختصر ٣/١٣٦ ووفيات الأعيان ٣/٣٠٨ وكشف الظنون ٢/١٩٥١ .

٩١ ـ انظر على التوالي : تاريخ بغداد ١١/٣٩٨ ومعجم الأدباء ١٣/١٠٠ وانباه الرواة ٢/٢٥٢ وتجريد الأغاني ١/٥ ووفيات الأعيان ٣/٣٠٨ والاعلان بالتوبيخ ص ١٠٨ .

٩٢ ـ انظر على التوالي : تاريخ بغداد ١١/٣٩٨ ومعجم الأدباء ١٣/١٠٠ وانباه الرواة ٢/٢٥٢ وتجريد الأغاني ١/٥ وكشف الظنون ٢/١٩٥١ والمختصر ٣/١٣٦ وتتمة المختصر ١/٤٣٨ .

٩٣ ـ انظر على التوالي : تاريخ بغداد ١١/٣٩٨ ومعجم الأدباء ١٣/١٠٠ وانباه الرواة ٢/٢٥٢ وتجريد الأغاني ١/٥ ووفيات الأعيان ٣/٣٠٨ وكشف الظنون ٢/١٩٥١ .

٩٤ـ انظر على التوالي : تاريخ بغداد ١١/٣٩٨ وانباه الرواة ٢/٢٥٢ وتجريد الأغاني ١/٥ ووفيات الأعيان ٣/٣٠٨ وكشف الظنون ٢/١٩٥١ .

٩٥ ـ انظر على التوالي : الفهرست ص ١٧٣ ويتيمة الدهر ٣/٩٦ وتاريخ بغداد ١١/٣٩٨ وانباه الرواة ٢/٢٥٢ وتجريد الأغاني ١/٥ ووفيات الأعيان ٣/٣٠٧ والوافي بالوفيات ١/٥٤ والاعلان بالتوبيخ ص ١٠٤ وكشف الظنون ١/١٦١ ومفتاح السعادة ١/١٨٥ ومعجم الأدباء ١٣/٩٩ .

وقد ظن بروكلمان أن هذا الكتاب يمكن أن يكون ذات كتاب النساء الشواعر الذي ذكره التيجاني في تحفة العروس • تاريخ الأدب العربي ٣/٧٠ • والصحيح ان هذا الكتاب ربما يكون كتاب أبي الفرج الشلحي العكبري ذكره الصفدي في الوافي بالوفيات ١/٥٤ •

٩٦ ـ انظر يتيمة الدهر ٣/٩٦ ومعجم الأدباء ١٣/١٠٠ ووفيات الأعيان ٣/٣٠٨ وكشف الظنون ١/٢٦ •

٩٧ ـ انظر الفهرست ص ١٧٣ ومعجم الأدباء ١٣/٩٩ •

٩٨ ـ الفهرست ص ١٧٣ •

٩٩ ـ المصدر نفسه والصفحة نفسها •

١٠٠ـ الفهرست ص ٢١٣ •

١٠١ـ الأغاني ١٩/٣٠٧ •

١٠٢ـ انظر في ترجمتها الفهرست ص ٢١٣ •

١٠٣ـ معجم الأدباء ١٣/١٠٠ •

١٠٤ـ كشف الظنون ٢/١٢٥٦ •

١٠٥ـ انظر على التوالي : يتيمة الدهر ٣/٩٦ ومعجم الأدباء ١٣/١٠٠ ، ومرآة الجنان ٢/٣٥٩ ، وكشف الظنون ١/٧٥٦ • وقد اسماه أبو الفضل ابراهيم من بين المعاصرين باسم : دعوة التجارة ، مشيرا الى أنه ورد كذلك عند ابن النديم وياقوت ، ولم نجد له عند ابن النديم ذكرا ، واما ياقوت فقد اسماه باسمه الصحيح كما مر • انظر انباه الرواة ٢/٢٥٢ الحاشية •

١٠٦ـ وفيات الأعيان ٣/٣٠٧ •

١٠٧ـ معجم الأدباء ١٣/١٠٠ •

١٠٨ـ الفهرست ص ١٧٣ ومعجم الأدباء ١٣/٩٩ •

١٠٩ـ الفهرست ص ١٧٣ ومعجم الأدباء ١٣/٩٩ •

١١٠ـ انظر على التوالي : تاريخ بغداد ١١/٣٩٨ ومعجم الأدباء ١٣/١٠٠ وانباه الرواة ٢/٢٥٢ ومرآة الجنان ٢/٣٦٠ ومفتاح السعادة ١/١٨٥ وكشف الظنون ٢/١٤٤٣ •

١١١ـ الاعلان بالتوبيخ ص ١٠٦ •

١١٢ـ انظر على التوالي : يتيمة الدهر ٣/٩٦ وتاريخ بغداد ١١/٣٩٨ ومعجم الأدباء ١٣/٩٩ • وانباه الرواة ٢/٢٥٢ ووفيات الأعيان ٣/٣٠٨ وتجريد الأغاني ١/٥ والاعلان بالتوبيخ ص ١٠٦ •

١١٣ـ كشف الظنون ٢/١٩٤٧ •

١١٤ـ انظر على التوالي : الفهرست ص ١٧٣ ومعجم الأدباء ١٣/٩٩ وتاريخ بغداد ١١/٣٩٨ وانباه الرواة ٢/٢٥٢ وتجريد الأغاني ١/٥ ووفيات الأعيان ٣/٣٠٨ ومرآة الجنان ٢/٣٥٩ •

وقد ورد هذا الكتاب عند بروكلمان ٣/٧١ مصحفا الى الخانات • وقال : « هكذا بدلا من الحكايات عند ابن خلكان » • وقد رأينا أن ابن خلكان سماه : الحانات وليس الحكايات •

كما ورد في تصدير الأغاني (ط الدار) ١/٣٠ ـ ٣١ مقسوما الى كتابين منفصلين هما : الخمارون والخمارات ، والحانات •

١١٥ـ انظر على التوالي : الفهرست ص ١٧٣ ويتيمة الدهر ٣/٣٠٨ وتاريخ بغداد ١١/٣٩٨ ومعجم الأدباء ١٣/٩٩ وانباه الرواة ٢/٢٥٢ وتجريد الأغاني ١/٥ ووفيات الأعيان ٣/٣٠٨ وكشف الظنون ١/٧٦٢ والبداية والنهاية ١١/٣٦٣ •

١١٦ـ انظر كشف الظنون ١/٣٦٠ وهدية العارفين ١/٦٨١ •

١١٧ـ فهرست كتب الشيعة ٣٧٩ •

١١٨ـ وفيات الأعيان ٦/٣٦٩ •

١١٩ـ المصدر نفسه ٦/٣٧٤ •

١٢٠ـ الأغاني ٨/١٨٠ ـ ١٨٣ •

١٢١ـ وفيات الأعيان ٣/٣٠٧ ـ ٣٠٨ •

١٢٢ـ رنات المثالث والمثاني ١/١٣ •

١٢٣ـ انظر على التوالي : الفهرست ص ٢٤١ ، وفيات الأعيان ٢/١٧ وكشف الظنون ١/٧٧٠ ورنات المثاني والمثالث ١/١٣ •

١٢٥ـ انظر : الفهرست ص ٢٣٤ وكشف الظنون ١/٧٧٤ ورنات المثالث والمثاني ١/١٣ •

١٢٦ـ انظر : كشف الظنون ١/١٢٨ • وانظر ترجمته في معجم الأدباء ١٣/٢٠٣ ووفيات الأعيان ٢/١٠٣ •

١٢٧ـ انظر الأغاني التصدير ١/٣١ وابو الفرج الأصبهاني لمحمد عبدالجواد الأصمعي ص ١٥٩ ، وتاريخ الأدب العربي لفروخ ٢/٤٩١ ودراسة كتاب الأغاني د• داود سلوم ص ٧ •

١٢٨ ـ تاريخ الأدب العربي ٣/٧٠ • ويبدو أن هنالك خطا في الترجمة العربية لما بين كلمتي المجانين والمغنين من تشابه في الكتابة بالأحرف اللاتينية • والأصل الألماني لبروكلمان يشير الى « كتاب اخبار المغنين » وقد ذكره السخاوي فعلا في ص ١٠٦ من الاعلان بالتوبيخ •

١٢٩ـ تاريخ الأدب العربي ٣/٧٠ •

١٣٠ـ كشف الظنون ١/١٦٨ •

١٣١ـ تاريخ الأدب العربي ٣/٧٠ •

١٣٢ـ بقي ن نشير الى أن من آثار هذا الأديب أيضا مجموعة شعرية له عملنا على جمعها من بطون المصادر القديمة ، ونأمل ان ترى النور قريبا •

مسرد المصادر والمراجع

- أبو الفرج الأصفهاني وكتابه الأغاني : لمحمد عبد الجواد الأصمعي ، ط ٢ دار المعارف بمصر .

- أبو الفرج الأصفهاني : لشفيق جبري ، دار المعارف بمصر ١٩٦٥ .

- أدب الغرباء : لأبي الفرج الأصبهاني (ـ بعد ٣٦٢ هـ)، تحقيق صلاح الدين المنجد ط ١ دار الكتاب الجديد ، بيروت ١٩٧٢ .

- ادراك الأماني من كتاب الأغاني : لعبد القادر السلوي الفاسي ، (من رجال القرن الثاني عشرة للهجرة) . نسخة مخطوطة ، الخزانة الملكية بالرباط ، رقم ٢٠٧٦ .

- الأعلام : لخير الدين الزركلي ، ط ٣ ، القاهرة ١٩٥٤ ـ ١٩٦٩ .

- الاعلان بالتوبيخ لمن ذمَّ التاريخ : للسخاوي ، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن ، (ت ٩٠٢ هـ) نشر القدسي ، دمشق ١٩٤٩ .

- الأغاني : لأبي الفرج الأصبهاني ، ط دار الكتب المصرية ،وطبعاته الأخرى .

- انباه الرواة على انباه النحاة : للقفطي جمال الدين علي بن يوسف (ـ ٦٤٦ هـ) ، تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم، ط١ دار الكتب المصرية ١٩٥٢ .

- البداية والنهاية : لأبي الفدا عماد الدين اسماعيل بن عمر (ـ ٧٧٤ هـ) ، ط ١ مكتبة المعارف ، بيروت ١٩٦٦ .

- بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس : لأحمد بن يحيى الضبي (ـ ٥٩٥ هـ) تحقيق مصطفى السقا، ط ١ دارالكتاب، بيروت ١٩٤٥ .

- تاريخ الأدب العربي : لعمر فروخ ، دار العلم للملايين ،بيروت ١٩٦٨ .

- تاريخ الأدب العربي : لكارل بروكلمان (ـ ١٩٥٦ م) ترجمة د. عبد الحليم النجار ، ط٣ دار المعارف بمصر ١٩٧٤ .

- تاريخ بغداد : للخطيب البغدادي احمد بن علي (ـ ٤٦٣ هـ) ، ط١ مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٣١ .

- تتمة المختصر : لابن الوردي زين الدين عمر (ـ ٧٤٩ هـ) تحقيق احمد رفعت البدراوي ، ط ١ ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٧٠ .

- تجريد الأغاني من المثالث والمثاني : لابن واصل الحموي(ـ ٦٩٧ هـ) ، تحقيق د. طه حسين وابراهيم الأبياري ، مصر ١٩٥٥ .

- التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه : للبكري أبي عبدالله بن عبد العزيز (ـ ٤٨٧ هـ) بتصحيح محمد عبد الجواد الأصمعي ـ ط ٣ ، التجارية مصر ١٩٥٤ .

- الحلة السيراء : لابن الأبار (ـ ٦٥٨ هـ) ، تحقيق حسين مؤنس ، الشركة العربية ، ط١ ، مصر ١٩٦٣ .

- حلية المحاضرة : للحاتمي أبي عبدالله محمد بن المظفر (ـ ٣٨٨ هـ) ، تحقيق د. جعفر الكتاني ، دار الرشيد ، بغداد ١٩٧٩ .

- دائرة المعارف الاسلامية : ط مصر ، الترجمة العربية، ١٩٣٣ .

- دراسة الأغاني : لشفيق جبري ، مطبعة الجامعة السورية، دمشق ١٩٥١ .

- دراسة في مصادر الأدب العربي : د. طاهر احمد مكي ، ط٣ دار المعارف بمصر ١٩٦٨ .
- دراسة كتاب الأغاني ومنهج مؤلفه : د. داود سلوم ، دار النهضة العربية القاهرة ١٩٧٧ .
- رنات المثالث والمثاني في روايات الأغاني : للأب انطون صالحاني اليسوعي ، ط٢ بيروت ١٩٢٣ .
- الفهرست : لابن النديم محمد بن اسحق (ـ حوالي ٣٧٨ هـ) . التجارية ، القاهرة .
- فهرست كتب الشيعة : للطوسي محمد بن الحسن (ـ ٤٦٠ هـ) ط١ مشهد الهند ١٣٥٢ هـ .
- فوات الوفيات : لابن شاكر الكتبي (ـ ٧٦٤ هـ) تحقيق د. احسان عباس دار صادر بيروت ١٩٧٤ .
- كتاب الحلة السيراء : لابن الأبار (ـ ٦٥٨ هـ) ، دراسة وتحقيق د. عبد الله الطباع . دار النشر للجامعيين ، بيروت ١٩٦٢ .
- كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون : لحاجي خليفة كاتب جلبي (ـ ١٠٦٧ هـ) . ط وكالة المعارف ، الهند . مصورة .
- الكوكب الثاقب في أخبار الشعراء من ذوي المناقب : نسخة مخطوطة بالمكتبة الملكية بالرباط برقم ٢٠٧٧ .
- لسان الميزان : لابن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ) ط مصورة عن الهندية .
- مجلة المجمع العلمي العراقي : ج١ ، س١ ، ايلول ١٩٥٠ .
- مجلة المورد البغدادية : مج ٧ ، ع ١ ، عام ١٩٧٨ .
- مختار الأغاني في الأخبار والتهاني : لابن منظور محمد بن المكرم (ـ ٧١١ هـ) ، ط١ تحقيق ابراهيم الأبياري ، القاهرة ١٩٦٥ . ونشر زهير الشاويش ـ بيروت .
- المختصر في اخبار البشر : لأبي الفدا عماد الدين اسماعيل بن علي (ـ ٧٣٢ هـ) دار الفكر ، بيروت ١٩٥٦ .
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان : لليافعي عبدالله بن مسعد ،(٧٦٨ هـ) ط١ دار المعارف العثمانية ، حيدر أباد ، ١٣٣٨ هـ.
- معجم الأدباء : لياقوت الحموي (ـ ٦٢٦ هـ) تحقيق د. احمد فريد الرفاعي ، دار المامون ، القاهرة ، ١٩٣٦-١٩٣٨ .
- مفتاح السعادة : لطاش كبري زاده (ـ ٩٦٨ هـ) دائرة المعارف العثمانية حيدر أباد ، ١٣٢٨ هـ .
- مقاتل الطالبيين : لأبي الفرج الأصبهاني (ـ بعد ٣٦٢ هـ) تحقيق احمد صقر ، دار احياء الكتب العربية القاهرة ١٩٤٩ .
- مقدمة ابن خلدون (ـ ٨٠٨ هـ) ط٢ . دار الكتاب . بيروت ١٩٦١ .
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم : لابن الجوزي أبي الفرج عبدالرحمن بن علي (ـ ٥٩٧ هـ) ط١ حيدر أباد الدكن ، الهند ١٣٥٨ هـ) .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : لابن تغري بردي (ـ ٨٧٤ هـ) . دار الكتب المصرية ـ مصورة .
- هدية العارفين اسماء المؤلفين وآثار المصنفين : لاسماعيل باشا البغدادي (ـ ١٣٣٩ هـ) مصورة دار المثنى بغداد ١٩٥١ .
- الوافي بالوفيات : للصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك (ـ ٧٦٤ هـ) . تحقيق ديدرنغ ، فيسبادن ، ١٩٧٠ .

محمد خير الشيخ موسى

معجم الشيوخ لابن جُمَيع الصَّيداوي

(٣٠٥ ـ ٤٠٢ هجرية)

د. عمر عبد السلام تدمري
الجامعة اللبنانية ـ طرابلس

أخرجت مدينة « صيدا » ـ كغيرها من مدن ساحل الشام ـ عددا كبيرا من رجال الحديث، والعلماء الحفاظ، والرواة الثقات، في الفترة الواقعة بين الفتح الاسلامي والحروب الصليبية، كما قصدها جمهرة كبيرة من المحدّثين وطلبة العلم وغيرهم من العلماء. وقد أحصينا جميع هؤلاء وأولئك في « معجم العلماء المسلمين في تاريخ لبنان الاسلامي » الماثل للطبع في بيروت.

وكظاهرة واضحة تبدو لمن يتتبع رجال الحديث في ساحل الشام نجد أن كل مدينة من مدنه تكاد تشتهر بمحدث متميز عن غيره من المحدثين من أبناء مدينته نفسها، وأهم ما يميزه عن غيره ما تركه من أثر مكتوب يجعله في عداد المصنفين، فطرابلس الشام، مثلا، أخرجت المحدث الكبير الملقب بمسند الشام « خيثمة بن سليمان القرشي الأطرابلسي »(١) (٢٥٠ ـ ٣٤٣ هـ)، ومدينة صور أخرجت المحدث والحافظ الكبير «محمد بن علي الصوري»(٢) (٣٧٧ـ٤٤١هـ) وهو شيخ الخطيب البغدادي صاحب « تاريخ بغداد » وغيره، ومدينة بعلبك أخرجت الامام والفقيه الكبير المتوفى ببيروت « عبد الرحمن الأوزاعي »(٣) (٨٨ ـ ١٥٧ هـ)، ومدينة صيدا أخرجت« ابن جُمَيع الصَّيداوي» المحدث الزاهد المسند (٣٠٥ ـ ٤٠٢ هـ).

وفي مساهمة متواضعة بمناسبة الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجري قمت بجمع مصنفات المحدث « خيثمة الأطرابلسي » ونشرتها في كتاب(٤)، كما قمت بجمع مصنفات الحافظ « محمد بن علي الصوري » لنشرها أيضا، وكذلك حصلت على ما صنفه « ابن جميع الصيداوي » وأقوم بتحقيقه

ليصدر في العام الهجري القادم (١٤٠٢ هـ) حين يصادف مرور ألف سنة هجرية على وفاته تماما ٠

التعريف بابن جميع :

يعتبر « ابن جميع الصيداوي » أشهر محدث أخرجته صيدا في كل تاريخها على الاطلاق ٠ وهو : « محمد بن أحمد بن محمد ابن أحمد بن عبدالرحمن بن يحيى بن جميع ، أبو الحسين الغساني الصيداوي الحافظ » ، من أسرة اشتهرت برواية الحديث في مدينة صيدا ، يرجع نسبها الى « غسان » ، وهي القبيلة العربية التي في بلاد الشام قبل ظهور الاسلام ٠ ويعرف جد هذه الأسرة الأعلى ب « جميع » (بضم الجيم وفتح الميم) ٠ ويعود التاريخ المعروف لهذه الأسرة في صيدا الى القرن الثالث الهجري ، ولكن من غير المعروف اذا كان والد ابن جميع : صيداوي المولد ، أو أن جده كذلك ، اذ جل ما نعرفه هو أن والد ابن جميع « أحمد بن محمد بن أحمد » توفي سنة ٣٧١ هـ(٥) ٠ ونرجح أن وفاته كانت بصيدا، وأنه كان يروي الحديث. وقد عاش ٩٧ سنة ، ومثلها جده « محمد بن أحمد بن عبد الرحمن » ، ومثلها جد أبيه « أحمد بن عبد الرحمن بن يحيى » ٠

ووصلنا اسم أخ لابن جميع صاحب هذه الترجمة هو : « بكر بن أحمد ٠٠ »(٦) ٠

ولد أبو الحسين محمد بن جميع في مدينة صيدا بساحل الشام سنة ٣٠٥ (وقيل ٣٠٦ هـ) ، ونشأ فيها ، وتلقى علومه وهو صغير على شيوخها ، فسمع من أبيه ، كما سمع من الشيوخ المحدثين الصيداويين وغير الصيداويين الذين كانوا ينزلونها أو يقيمون فيها بعض الوقت ، ثم خرج من بلده في رحلة واسعة لطلب العلم فطوف في بلاد الشام ، والعراق ، وديار مصر ، وبلاد فارس ، وكور الأهواز ، والحجاز ، وأكثر عن الشيوخ في تلك البلاد ، ولذلك لقب ب «الشيخ العالم ، الصالح ، المسند ، الرحال ، صاحب المعجم »(٧) ٠ وقد أحصى شيوخه في معجمه الذي نحن بصدده ، فبلغ عددهم (٣٧٢) شيخا ، توزعوا في (٥٢) مدينة وبلدة ، هي :

الأبلة ، الأثارب ، أذنة ، أصبهان ، أنطاكية ، الأهواز ، بالس ، البصرة ، بغداد ، بلد ، بياس ، بيت المقدس ، بيروت ، تنيس، جبئل ، جبلة ، حلب ، حمص ، دمياط ، دير عاقول ، الرافقة ، الرامهرمز ، الرصافة، الرقة ، الرملة ، سيراف ، شيراز ، الصرفند ، صنعاء، صور، صيدا، طرابلس، طرسوس ، عرقة، عين زربة ، الفسطاط ، قرقيسيا ، القلزم ، كفر بيا ، الكوفة ، مرعش ، مصر ، المصيصة ، مكة ، منبج ، الموصل ، نصيبين ، نهر الملك ، همدان ، واسط ، يافا ، فضلا عن مدينة دمشق التي لم يرد ذكرها في معجم شيوخه ، والتي لا بد أنه دخلها وسمع بها ، اذ نعرف أنه لقي « الحسن بن حبيب الحصائري الدمشقي » الفقيه المتوفى سنة ٣٣٨ هـ(٨) هذا عدا (٥٢) شيخا نجهل مكان سماعه عليهم ٠ ومن الجدول الذي وضعناه بأسماء الأماكن التي سمع بها ابن جميع يتبين لنا أن بغداد تأتي في مقدمة المدن من حيث عدد الشيوخ الذين لقيهم وأخذ عنهم بها ، فبلغوا (٨٥) شيخا ، تليها مصر (٣٠) شيخا ، ثم البصرة (٢٧) شيخا ، فبلده صيدا (٢٠) شيخا ٠ (انظر جدول شيوخ ابن جميع) ٠

ونحن لا نعرف كم استغرقت رحلة ابن جميع من الوقت ، أو أنه خرج من صيدا على دفعات ، ولا نعرف تاريخ عودته الى بلده التي تزوج فيها وخلف أولادا ، ولكن أولاده كانوا يموتون وهم صغار(٩) ، الى أن رزق

شيوخ ابن جميع في البلاد التي سمع بها

اسم البلد	عدد الشيوخ	اسم البلد	عدد الشيوخ	اسم البلد	عدد الشيوخ	اسم البلد	عدد الشيوخ
الأبلة	٣	جبل	١	صنعاء	١	المصيصة	١١
الأثارب	١	جبلة	٢	صور	٧	مكة	١٨
اذنة	٣	حلب	١٥	صيدا	٢٠	منبج	٢
اصبهان	٢	حمص	١	طرابلس	٢	الموصل	٥
انطاكية	٩	دمياط	١	طرسوس	٧	نصيبين	١
الأهواز	٣	دير عاقول	٢	عرقة	١	نهر الملك	١
بالس	٣	الرافقة	٢	عين زربة	١	همدان	٢
البصرة	٢٧	الرامهرمز	٢	الفسطاط	٢	واسط	٥
بغداد	٨٥	الرصافة	١	قرقيسيا	١	يافا	١
بلد	٩	الرقة	٧	القلزم	٢		
بياس	١	الرملة	٧	كفربيا	١		
بيت المقدس	١	سيراف	٤	الكوفة	٣	دمشق	؟
بيروت	٢	شيراز	٦	مرعش	١	مكان غير معروف	٥٢
تنيس	٣	الصرفند	١	مصر	٣٠		

ب « الحسين » المعروف ب « السكن » ، فكتب لـه أن يعيش ، ثم رزق بـ « الحسن » ، و « طلحة » .

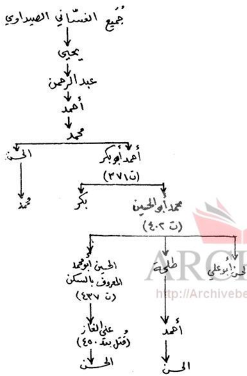
ومن ذريته : « علي بن الحسين » وقد قتل في وادي الجرمق شرقي صيدا بعد سنة ٤٥٠ هـ(١٠) . و « محمد بن الحسين »(١١) ، و « أحمد بن الحسن »(١٢) ، و « علي بن الحسن »(١٣) ، و « محمد بن الحسن »(١٤) . (انظر سلسلة نسب ابن جميع) .

* * *

وحين عاد ابن جميع من رحلته الى وطنه جلس لرواية الحديث في المسجد الجامع بصيدا ، فقصده عشرات الطلبة ليسمعوه ويستجيزوه في الرواية عنه . وقد أحصيت أسماء جماعة من تلاميذه ، منهم :

ابنه الحسن بن محمد المعروف بالسكن المتوفى سنة ٤٣٧ هـ(١٥)، وحفيده أبو الحسن أحمد بن الحسن ، الذي قال عنه أبو محمد النخشبي : رأيت سماعه في أجزاء جده ، وكان عنده كتب جده فيها سماع الخلق الذين سمعوا منه(١٦) ، وأبو عبدالله محمد بن علي الصبوري الحافظ المتوفى ٤٤١ هـ(١٧) وأبو الفتح محمد بن عبد الرحمن المصري المتوفى سنة ٤٤٠ هـ(١٨) ، وأبو علي محمد بن الحسين ابن الفضل البصري الصوفي المتوفى سنة ٤٣٢ هـ(١٩) وأبو محمد عبدالله بن أحمد ابن الحسن النيسابوري الخفاف المقرىء الذي أملى الحديث في المسجد الجامع بدمشق سنة ٤١٥ هـ(٢٠) ، وأبو القاسم عبدالرحمن بن محمد البخاري الحنفي ، ومحمد بن محمد بن أبي الموفق النيسابوري الذي كتب عنه بصيدا وتوفي سنة ٤٢٩ هـ(٢١) وأبو الحسين عتيق ابن أحمد الاسكندراني المعروف بابن الكاتب وسمع منه بصيدا ،(٢٢) وأبو الحسين أحمد ابن محمد بن المخ الصيداوي(٢٣)، وأبوالحسن عبدالله بن علي بن المخ العدل الصيداوي

وكتب بصيدا في حجرة البيع في سنة ٤٦٠ هـ . وقال عنه الأمير « ابن ماكولا » : « ما وجدت عنده غير الجزء الثاني من معجم شيوخ ابن جميع »(٢٤) ، وأبو محمد عطية الله بن الحسين الصوري الخطيب المتوفى سنة ٤٤٥ هـ(٢٥) ، وأبو سعد أحمد بن محمد الماليني الصوفي ، وأبو نصر عبدالرحمن بن أبي عقيل الصوري(٢٦) ، وعبد الغني بن سعيد الحافظ ، وهو من أقرانه ، وأبو محمد عبدالله بن علي بن عياض بن أبي عقيل قاضي صور(٢٧) ، وأبو العباس أحمد بن محمد الأصبهاني ، وأبو الفتح محمد بن محمد المصري الصواف ، وأبو نصر علي بن الحسين ابن أبي سلمة الوراق الصيداوي(٢٨) ، وأبو الحسين محمد بن الحسين الترجمان ، وأبو علي الأهوازي ، وأبو الحسن الحنائي(٢٩) ، وأبو الوليد سليمان بن خلف الأندلسي الباجي الفقيه المتوفى سنة ٤٧٤ هـ(٣٠) ، وأبو حفص عمر بن الحسين الدوني الصوفي المتوفى سنة ٤٨١ هـ(٣١) ، وأبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن أبي سهل المروزي المقرىء(٣٢)، وتمام بن محمد الهمداني(٣٣)، ويعتبر أبو نصر الحسين بن محمد بن طلاب خطيب دمشق آخر من روى عن ابن جميع(٣٤)، وكان أخذ عنه قراءة في داره بصيدا سنة ٣٩٤ هـ(٣٥) .



سلسلة نسب ابن جُمَيْع

* * *

قال السمعاني عن ابن جميع : « الحافظ الصيداني ، من أهل صيدا ، له رحلة الى ديار مصر والعراق وبلاد فارس وكور الأهواز ، وأكثر عن الشيوخ بهذه البلاد . وخرّج له خلف الواسطي الحافظ معجم شيوخه في خمسة أجزاء حسنة » . ويضيف السمعاني أن ولادته كانت في سنة ٣٠٦ بصيدا، وأن وفاته كانت بعد سنة ٣٧٤ هـ(٣٦).

ولكن المرجح أنه ولد في سنة ٣٠٥ وتوفي في شهر رجب سنة ٤٠٢ هـ بصيدا ، وبهذا يكون قد عاش سبعة وتسعين عاما حسب روايتي : «سبط ابن الجوزي» و «ابن عساكر» اللذين قالا انه طاف الدنيا ، وكان زاهدا متعبدا قوّاما بالليل ، ومات وهو ابن سبع وتسعين سنة بصيدا ، وأجمعوا على صدقه وثقته(٣٧) . وقد سرد الصوم وله ثماني عشرة

سنة الى أن مات ، ووثقه الخطيب البغدادي(٣٨) ٠

★ ★ ★

أما آثاره فهي :

« معجم الشيوخ » ، وهو يضم أسماء شيوخه فقط الذين أخذ عن كل واحد منهم حديثا واحدا ٠ ويقول الأستاذ «فؤاد سزكين» ان ما ذكره « جولد تسيهر » من أن هذا المعجم هو نفسه «مسندابن جميع» ليس بصحيح(٣٩) ٠ وتوجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة « الكونت لاندبرغ » بجامعة ليدن في أمستردام بهولنده محفوظة تحت رقم (٣٧) وتتألف من (٨٧) ورقة ، كتبت في سنة ٦١٣ هـ ٠

ويذكر الأستاذ «سزكين» أن هناك نسخة خطية أخرى من هذا المعجم في مكتبة الجامع الأزهر بالقاهرة تحت رقم (٣٧٣/١) ضمن مجموع رقمه (٣٢٦) قسم (٢) تتألف من (١٣) ورقة ، كتبت في سنة ٦٦٧ هـ(٤٠) ٠

« وأقول » : انني لم أعثر على هذه النسخة رغم تنقيبي أكثر من مرة في فهرس الحديث الخاص بمكتبة الجامع الأزهر ، ووجدت في الرقم نفسه كتابا للامام البخاري٠ وعلى افتراض أن النسخة صحيحة حسب قول الأستاذ « سزكين » ، فانها لا يمكن أن تكون هي المعجم لأنها من (١٣) ورقة ، ولأن المعجم بين أيدينا من (٨٧) ورقة ٠ وهذا يعني أن النسخة التي يشير اليها «سزكين» هي «بعض» المعجم ٠

وهناك نسخة فيها « مختارات » أو « منتقى من المعجم » بانتقاء « محمد بن سند » مخطوطة محفوظة بدار الكتب الظاهرية بدمشق تحت رقم (٣) ضمن مجموع (٥٢) في الأوراق (٩٨ ب ــ ١٠١ أ)(٤١) ٠

وقال «ابن طولون الدمشقي» : «وجدت نسخة من كتاب معجم شيوخ أبي الحسين محمد ابن أحمد بن جميع الصيداوي ، تخريج أبي محمد خلف بن محمد بن علي الواسطي ، وهو في أربعة أجزاء ، على كل جزء طبقة مذيلة بخط الحافظ ركن الدين أبي محمد المنذري ، والطباق الأربعة مؤرخة بسنة خمس ثم ست وثلاثين وستماية، بدار الحديث الكاملية بالقاهرة »(٤٢) ٠

وقد جاء عند « السمعاني » ان خلف الواسطي خرّج المعجم في « خمسة أجزاء حسنة »(٤٣) وقد ظل الشيوخ يحدثون بالمعجم حتى مطلع القرن التاسع الهجري ، اذ وصلنا أن محمد بن عبدالله البعلبكي الحنبلي المتوفى سنة ٨٠٣ هـ ٠ كان يحدث به(٤٤) ٠

كما ترك ابن جميع : « معجم تلاميذه أو سماعاتهم » ، وهذا لم نعرف اسمه الحقيقي ٠ وهو يتضمن سماعات الخلق الذين سمعوا من ابن جميع ٠ ويبدو أنه كان يتألف من عدة أجزاء ، وكانت موجودة عند حفيده أبي الحسين أحمد بن الحسن ، اذ قال عنه أبو محمد النخشبي : رأيت سماعه في أجزاء من أجزاء جده ، وكان عنده كتب جده فيها سماع الخلق الذين سمعوا منه ٠ ذكر ذلك « السمعاني » في « الأنساب » ٠

وفي قائمة آثار أبي الحسين محمد بن جميع يضيف الأستاذ « سزكين » جزءا بعنوان « حديث » فينسب تصنيفه اليه(٤٥) ٠ ونرجح أنه اعتمد في ذلك على فهرس مخطوطات الحديث المختارة بالظاهرية الذي وضعه محمد ناصر الدين الألباني الذي يعزوه لأبي الحسين ابن جميع المذكور(٤٦) ٠ وقد وهم الأستاذان الفاضلان في ذلك ، فالجزء « المختار من حديث ابن جميع » ليس لأبي الحسين محمد المتوفى

سنة ٤٠٢ بل هو لابنه : الحسين بن محمد المعروف بالسكن المتوفى سنة ٤٣٧ هـ . ونتبين هذه الحقيقة من آخر الجزء ، اذ جاء فيه :

« يقول الحسين بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبدالرحمن بن يحيى بن جميع الغساني : اني اخترت هذه الأحاديث التي كتبتها بنطلي وجميع سماعاتي من أبي وجدي، رحمهما الله ، ومن جميع شيوخي .. » .

وهذا الجزء الصغير يوجد ضمن مجموع يحمل رقم (١٧) حديث ، ويستغرق نصف الورقة رقم (٨٣) وكامل الورقة رقم (٨٤) ، وهو محفوظ بدار الكتب الظاهرية ، كتبه : « الخضر بن شبل الحارثي » في شهر رجب سنة ٥٠٢ هـ(٤٧) .

* * *

معجم الشيوخ :

تتألف النسخة الخطية الموجودة في جامعة ليدن من (١٧٦) صفحة حسب ترقيمنا للنسخة ، وهي من أربعة أجزاء ، وتحمل الصفحة الأولى : عنوان المعجم ومؤلفه ورواته ، وصورتها :

« كتاب المعجم لشيوخ أبي الحسين محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن جميع الغساني الصيداوي ، رحمه الله ، تخريج الحافظ أبي محمد خلف بن محمد الواسطي رواية الخطيب أبي نصر الحسين بن محمد ابن أحمد بن الحسين بن أحمد بن طلاب عنه، رواية الفقيه الامام جمال الاسلام أبي الحسن علي بن المسلم بن الفتح السلمي عنه مما أخبرنا به عنه القاضي الامام الأجل



■ صورة الصفحة الأولى من نسخة ليدن ■

الفقيه جمال الدين شيخ الاسلام قاضي القضاة أبو القسم عبدالصمد بن محمد بن أبي الفضل الأنصاري، أيده الله سماع صاحبه الفقير الى رحمة الله تعالى أبي عبدالله محمد ابن أبي بكر بن أحمد المعروف أبوه بالنور المقريء ، وولديه أبي بكر وسليمان .

نفعهم الله بالعلم

سماع منه أيضا لمحمد بن علي بن محمود المحمودي الصابوني غير مرة » .

* * *



■ صورة الصفحة الثانية ■

■ صورة الصفحة الثالثة ■
(بداية الجزء الأول من المعجم)

أما الصفحة الثانية فتحمل افتتاحية المعجم بما صورته :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« أخبرنا الشيخ الامام الأجل القاضي الفقيه العالم العامل جمال الدين شيخ الاسلام أبو القسم عبدالصمد بن محمد بن أبي الفضل الأنصاري ، أيده الله بطاعته ، قراءة عليه ونحن نسمع ، قال : أخبرنا الفقيه الامام جمال الاسلام أبو الحسن علي بن المسلم (بن محمد بن علي)(٤٨) بن الفتح السلمي، قراءة عليه وأنا أسمع في ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وخمس مايه ، قال : أنبآنا الشيخ أبو نصر الحسين بن محمد بن أحمد ابن طلاب الخطيب قراءة(٤٩) عليه بدمشق ، قال : أنبأنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن جميع الغساني الصيداوي قراءة علينا في داره بصيدا في شهور سنة أربع وتسعين وثلثماية ، قال : هذا ما اشتمل عليه ذكر شيوخي الذين لقيتهم في ساير الآفاق ، بمكة ، والعراق، وفارس، وأرض اصطخر ، والثغور ، وديار بكر ، والشام ، ومصر ، مرتب ذلك على حروف المعجم ، وابتدأنا بمن اسمه محمد تبركا بالنبي صلى الله عليهوسلم، وعلى آله ، ثم نتبعه باب الألف ، وان كان



■ صورة الصفحة ٥٤ ■
(بداية الجزء الثاني)

أحمد ومحمد واحدا • ونخرّج عن كل واحد منهم حديثا أو حكاية مستحسنة • والله أسأل التوفيق لذلك » •

★ ★ ★

واعتبارا من الصفحة (٣) يبدأ الجزء الأول من المعجم ب « محمد بن أحمد بن حماد ابن ثعلب أبو العباس الأثرم المقرىء » الذي أخبره ببغداد • وينتهي الجزء بصفحة (٥١) بما صورته :

« آخر الجزء الأول من الأصل • والحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين • وحسبنا الله ونعم الوكيل » • وتحمل الصفحة (٥٢) ثلاثة سماعات ، تواريخها على التوالي:

١ ـ الأربعاء ثاني ذي الحجة من سنة احدى وثمانين وستماية •

٢ ـ السبت الثالث والعشرين من جمادى الأولى سنة سبع وتسعين وستماية •

٣ ـ سابع شهر رمضان المعظم سنة احدى وتسعين وستماية •

أما الصفحة (٥٣) فهي بياض • ويبدأ الجزء الثاني بصفحة (٥٤) وأوله بعد


عبد الملك بن محمد بن عبد
عبد الصمد بن علي بن محمد بن
من اسمه عبد الغافر وغيره
عبد الغافر بن سلامة بن أحمد
عبد الصمد بن محمد بن عبد ال

■ صورة الصفحة ١٣٨ ■
(بداية الجزء الرابع)

البسملة : حرف الألف • من اسمه أحمد • « أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم ابن الأعرابي أبو سعيد » •

وفي الصفحة (٥٥) كتب سماع على الحاشية اليسرى بعرض الصفحة ، تاريخه : يوم الأربعاء ثاني ذي الحجة سنة احدى وثمانين وستماية •

وينتهي الجزء الثاني بصفحة (٩٣) بمن اسمه : « ثوّاب بن يزيد بن ثواب أبو بكر » ، وكتب على حاشية الصفحة : « آخر الجزء الثاني من أجزاء أبي الحسين ابن جميع• بلغ في الثاني الأمير أيبك الحسامي» •

ويبدأ الجزء الثالث في آخر الصفحة (٩٣) بحرف الجيم فيمن اسمه جعفر • « جعفر بن ادريس أبو عبدالله » • وينتهي في منتصف الصفحة (١٣٨) فيمن اسمه : « عبد الملك بن محمد بن عبدالملك أبو القسم »، وقد كتب على الحاشية اليمنى من الصفحة ما صورته : « آخر الجزء الثالث من أجزاء الشيخ أبي الحسين بن جميع في الأصل • بلغ قراءة الأمير أيبك » •

ثم يبدأ الجزء الرابع والأخير في النصف الثاني من الصفحة (١٣٨) بمن اسمه عبد الغافر : « عبد الغافر بن سلامة بن أحمد

ابن عبد الغافر بن سلامة بن أزهر أبو هاشم الحضرمي الحمصي » • وفي آخر الصفحة (١٧١) يذكر من يعرف بالكنى ولم يكتب أسماءهم ، فيبدأهم بأبي بكر الغزال ، وينتهي بابن الربيع في صفحة (١٧٦) وهو آخر شيوخ المعجم •

وتحمل الحاشية اليمنى للصفحة سماعا تاريخه : يوم الثلاثاء سادس عشر ذي القعدة سنة تسع وستماية بجامع دمشق » •

وجاء في آخر المعجم ما صورته :

« في الأصل سماع شيخنا القاضي الفقيه الامام العالم العامل قاضي القضاة جمال الدين شرف الأيمة أبي القسم عبدالصمد ابن محمد بن أبي الفضل الأنصاري ، على شيخه الفقيه الامام جمال الاسلام أبي الحسن علي بن المسلم ابن محمد بن علي بن الفتح السلمي ، بقراءة الامام العالم الحافظ شيخ الاسلام أبي القسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي ، في ذي القعدة من سنة ثمان وعشرين وخمس مايه • نقله مختصرا (العبد الفقير الى رحمة الله تعالى)(٥٠) أبو بكر بن محمد بن أبي بكر المعروف جده بالنور المقرىء البلخي ، في أواخر شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث عشرة وستماية • والحمد لله رب العالمين • وصلواته على محمد وآله » •

★ ★ ★

سبق أن ذكرنا أن شيوخ المعجم الذين ذكرهم ابن جميع وسمع منهم بلغوا (٣٧٢) شيخا ، وقد سمع منهم : الحديث ، والرقائق ، والشعر • وكانت كمية الحديث هي الأوفر فيما سمعه ، حيث يروي (٣٣٦) حديثا شريفا بالسند المتصل • أما الرقائق والحكايات التي سمعها ورواها فبلغ عددها (٣٤) ، وبلغت الأشعار التي أوردها (١٨) •

وأهم ما يسترعي الباحث المؤرخ أن ابن جميع يهمل تماما أي محاومة لتاريخ سماعاته على شيوخه ، وهذا يجعلنا نجهل تماما مسار رحلته الطويلة التي قطعها من بلد الى بلد• كما أنه لا يذكر تاريخا لوفاة أي من شيوخه الا في مواضع ثلاثة ، عندذكر «محمد بن المطلب ابن حمزة •• »(٥١)، و «الحسين بن اسماعيل ابن محمد المحاملي »(٥٢)، و «الحسين بن سعيد المعروف بابن المطبقي »(٥٣) • ويشذ مرة واحدة – ان جاز التعبير – عن منهجيته، فيذكر مولد أحد شيوخه دون الاشارة الى تاريخ وفاته ، وهو « عثمان بن محمد •• السمرقندي »(٥٤) • هذا ، فضلا عن أنه لا يترجم لشيوخه مطلقا • بل انه يكتفي بذكر اسم الشيخ ، ثم يقول : أخبرنا ، أو حدثنا ، أو حدثني ، أو سمعت ، أو أنشدنا ، أو أنشدني ، أو أخبرني ، أو قرأ علي ، ويذكر اسم شيخه ثانية واسم البلد الذي لقيه فيه في معظم الأحيان ، وبعد ذلك الأسانيد ليصل الى الموضوع •

ونسخة المعجم التي بين يدينا كاملة ، واضحة القراءة ، مشكولة ، بخط نسخي ، تضم الصفحة الواحدة (١٧) سطرا ، بمعدل (١١) كلمة في السطر الواحد •

نصوص مقتطفة في الرقائق :

– حدثني محمد بن سهل قال : « كنت بالموصل ، فرأيت رجلا له ماية وثلث وعشرون سنة قد لقي السدي ، قال : قرأت في الانجيل : ابن آدم ، أعطيتك ثلث خصال ، ما لم تسلني سترت عليك ذنبك فلا يعلم الخلق اني راض عنك أم غضبان • وأعطيتك دعوة أخيك المؤمن في ظهر الغيب • ورزقتك مالا فبخلت به على نفسك في حياتك • فأنفذت لك ثلاثك بعدل وأنا أرحم الراحمين • قال : قلت شيئا

آخر ؟ قال : نعم . الليل والنهار أربعة وعشرين ساعة يتنفس فيها ابن آدم ثلاثين ألف نفس ، كل ساعة ألف نفس ومايتي وخمسين نفس »(٥٥) .

ـ سمعت أبا بكر محمد بن عبد العزيز بمكة يقول : « سمعت أبا داود سليمان بن الأشعث بن بشر بن شداد السجستاني بالبصرة وسئل عن رسالته التي كتبها الى أهل مكة وغيرها جوابا لهم فأملى علينا : سلام عليكم، فاني أحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو ، وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله ، صلى الله عليه وسلم . أما بعد ، عافانا الله واياكم وهذه الأربعة آلاف والثمان ماية حديث كلها في الأحكام . فأما أحاديث كثيرة من الزهد والفضايل وغيرها من غير هذا فلم أخرجها . والسلام عليكم ورحمة الله ، وصلى الله على محمد النبي وآله »(٥٦) .

ـ أخبرنا أحمد بن مكحول ببيروت ، حدثنا أبو علاثة يعني محمد بن عمرو ، حدثنا مكي بن عبدالله الرعيني ، حدثنا سفيان ابن عيينة ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : لما قدم جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة تلقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما نظر جعفر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حجل . قال لنا مكي : قال سفيان : حجل ـ مشى على رجل واحدة اعظاما منه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقبّل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه وقال له : يا حبيبي أنت أشبه الناس بخلقي وخُلقي ، وخلقت من الطينة التي خلقت منها ، حدثني ببعض عجايب أرض الحبشة . قال : نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، بينما أنا ساير في بعض طرقاتها اذا بعجوز على رأسها مكتل، فأقبل شاب يركض على فرس له فزحمها فألقاها لوجهها وألقى المكتل عن رأسها ، فاسترجعت قايمة وأتبعته النظر وهي تقول له : الويل لك غدا اذا جلس الملك على كرسيه فاقتص للمظلوم من الظالم . قال جابر : فنظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وان دموعه على لحيته مثل الجمان ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا قدس الله أمة لا تأخذ للمظلوم حقه من الظالم غير متعتع »(٥٧) .

ـ حدثني أحمد بن محمد ، حدثنا محمد بن يوسف البخاري قال : « كنت عند محمد بن اسماعيل البخاري بمنزله ذات ليلة ، فأحصيت عليه أنه قام وأسرج يستذكر أشياء يعلقها في ليلة ثمانية عشرة مرة »(٥٨) .

ـ سمعت أحمد بن الحسين بالبصرة يقول : سمعت سعيد بن عثمان الخياط يقول: سمعت السري بن مغلس السقطي يقول : خرجت من الرملة الى بيت المقدس ، فمررت بمشرقة وغدير ماء مطر وعشب نابت فجلست آكل من الحشيش وأشرب من الماء . قال : فقلت : يا نفس ان كنت أكلت أكلة حلال أو شربت شربة حلال قط ، فاليوم . قال : فاذا بهاتف يهتف بي : يا سري فالنفقة التي بلغت بك الى ها هنا من أين ؟ »(٥٩) .

ـ حدثنا بشر بن عبدون، حدثنا ثعلب، حدثنا الزبير بن بكار قال : لما قدمت الى الرشيد لأحدث أولاده بالأخبار التي صنفتها(٦٠) ، أعجل المعتصم في القصر فعثر ، فكادت ابهامه تنقطع ، فقام وهو يقول :

يموت الفتى من عثرة بلسانه ، وليس يموت المرء من عثرة الرجل

فعثرته من فيه ترمي براسه وعثرته بالرجل تبراعلى مهل(٦١)

ـ « حدثنا عبدالله بن محمد بصيدا ، حدثني أخي معاذ بن محمد عن أبي محمد بن حمزة أن جده سليمان بن أبي كريمة نظر

عموداً أو حجرا عليه مكتوب كتابا ، فلم يحسن يقرأه ، فتعلم بعد ذلك قراءة اليونانية ، فقرأه ، فاذا عليه مكتوب : بنى(٦٢) صيدا صيدون بن سام بن نوح ، وهي رابع مدينة بنيت بعد الطوفان »(٦٣) .

ـ «سمعت علي بن محمد يقول : سمعت الخلدي يقول : اذا رأيت الغلام يقول : أنا تلميذ فلان ، ففلان أفضل منه ، واذا رأيت الشيخ يقول : فلان تلميذي ، ففلان أفضل من الشيخ »(٦٤) .

ـ « حدثنا أبو بكر ، حدثنا أحمد بن فضلان قال : قال علي بن يحيى الأرمني : غزونا من طرسوس ففتحنا حصنا بحذاء عمورية ، فدخلنا بيعة لهم ، فاذا مكتوب على بابها بالذهب : واحد من السلف خير من ألف من الخلف »(٦٥) .

ـ « حدثني أبو سعيد الأذني قال : مكتوب على حاشية التوراة(٦٦) : اثنان وعشرون(٦٧) حرفا يجتمع(٦٨) اليها علماء بني اسرائيل يقرأونها كل يوم ، أولها : لا كنز أنفع من العلم . ولا مال أربح من الحلم . ولا حسب أرفع من الأدب . ولا نسب أوضع من الغضب . ولا قدر أزين من العقل . ولا قرين أشين من الجهل . ولا شرف أكبر من التقوى . ولا كرم أجود من ترك الشهوات . ولا عقل أفضل من التفكر . ولا حسنة أعلى(٦٩) من الصبر . ولا سيئة أسوأ من الفقر . ولا دواء ألين من الرفق . ولا داء أوجع من الحزن . ولا دليل أوضح من الصدق . ولا غنى(٧٠) أسمى من الحق . ولا فقر أذل من الطمع . ولا عبادة أحسن من الخشوع . ولا زهد أخير من القنوع . ولا حياة أطيب من الصحة . ولا حارس أحرس من الصمت . ولا معيشة أهنأ من العافية . ولا غائب أقرب من الموت »(٧١) .

نصوص منتخبة من الشعر :

ـ أنشدنا أبو بكر الصولي لنفسه :

أطلت بالهجر سقمي
لما جعلتك همي

أسأت في كل قول
وجرت في كل حكم

ان كان حبك جرمي
فقد وقعت بجرمي

أما ترى فعل لحظي
فيما جناه برغمي

رأى بطرفك سقما
فقال هبه لجسمي

فصرت شبهك يحكي
سقام عينيك سقمي(٧٢)

ـ أنشدني أبو بكر الصنوبري بحلب :

تزايد ما ألقى فقد جاوز الحدا
وكان الهوى مزحا فصار الهوى جدا

وقد كنت جلدا ثم أوهنني الهوى
وهذا الهوى ما زال يستوهن الجلدا

ولا تعجبي من ضعف غلبك قوتي
فكم من ظباء في الهوى غلبت أسدا

غلبتم على قلبي فصرتم أحق بي
وأملك بي مني فصرت لكم عبدا

جرى حبكم مجرى حياتي ففقدكم
كفقد حياتي لا رأيت لكم فقدا(٧٣)

ـ أنشدني أحمد بن محمد قال : أنشدني أبي لبعض الحكماء :

عرست جهلا على الدنيا بتعريسي
حتى لقد صرت في حال المفاليس

أطمعت نفسي فيما لا يصح لها
تعصي وتسكن في أعلى الفراديس

حتى متى لا أكن براً ولا ورعاً*
أعيش في هذه الدنيا بتدليس

فمن يراني يقل هذا أخو ورع
وليس يدري بما أوعيت في الكيس

وقد وعت صحفي ما لو بها علموا
لم يدن مني ولم يرضوا بتقديس

ولي لساني اذا استنطقته سأرى
وراءه في هواي رأي ابليس(٧٤)

ـ أنشدنا ابراهيم بن سمعان بالبصرة قال : أنشدنا الفضل بن الحباب في الأيام التي تسميها العرب « أيام العجوز » لبعض الشعراء :

كُسِع الشتاء بسبعة غُبْر
أيام شهلتنا من الدهر

فاذا انقضت أيام شهلتنا
بالصِنِّ والصِنَّبر والوَبْر

وبآمر وأخيه مؤتمر
ومعلل وبمطفىء الجمر

ولى شتاؤك ذاهبا هربا
وأتتك وافدة من النجر(٧٥)

ـ أنشدنا زيد بن محمد بمكة ، حرسها الله :

ان في الناس شياطيـ
ـن وأشباه الأبالس

جعل الله لحاهم
للمطاميع مكانس

أنا في بيتي خوفا
من فساد الناس جالس

وتراني ذا اعتصام
ومن الأمة آيس(٧٦)

ـ أنشدني عبدالرحمن بن محمد :

ان أخا الأخوان من يمشي معك
ومن يضر نفسه لينفعك

ومن اذا ريب زمان صدعك
شتت فيه شمله ليجمعك(٧٧)

ـ أنشدني أبو الفرج غلام الشبلي قال : سمعت الشبلي ينشد :

يا غارزا بيمينه
شجر الوفاء على السباخ

يا واضعا بيمينه
بَيض القطاطلب الفراخِ

لو عاينت ما تحتها
لم تخلُ منقر السماخِ

فسد الخلايق كلهم
فاختر لنفسك منتوآخي(٧٨)

* * *

★ ربما كان الأصل : حتى متى لست لا براً ولا روعاً .
(المجلة)

المصــــادر والحــواشــي

١ ـ انظر ترجمته في : بغية الطلب في تاريخ حلب ـ ابن العديم الحلبي ـ مصورة معهد المخطوطات بالقاهرة ، رقم ٩٢٩ تاريخ ـ ج ٥/٢٤٧ ، تسمية رجال البخاري ومسلم ـ الدار قطني ـ نسخة مخطوطة بالمتحف البريطاني ، رقم ٣٠٥٧ المجموعة الشرقية ـ ص ٤٧ ب ، الأنساب ـ السمعاني ـ طبعة حيدر اباد ١٩٦٢ ـ ج ١/٣٠٠ ، الأنساب المتفقه ـ ابن القيسراني ـ تحقيق دي خويه ـ ص ١١ ، تاريخ دمشق ـ ابن عساكر ـ نسخة خطية بالخزانة التيمورية ، رقم ١٠٤١ تاريخ ـ ج ٢٠/٦٤٢ ، تاريخ الاسلام ـ الحافظ الذهبي ـ مصور بدار الكتب المصرية ، رقم ٣٩٦ تاريخ ـ ج ٢٠/٩٠ ، سير اعلام النبلاء ـ الذهبي ـ مصور بدار الكتب المصرية ، رقم ١٢١٩٥ تاريخ ـ ج ٨ ق ٢/٢٥٤ ، وغيره .

٢ ـ انظر ترجمته في : الأنساب ـ السمعاني ـ (النسخة المصورة) ـ ص ٢٨٦ أ ، الوافي بالوفيات ـ الصفدي ـ ج ٨/١٨١ ، النجوم الزاهرة ـ ابن تغري بردي ـ ج ٥/٤٨ ، تاريخ الاسلام ـ ج ٢٣/٦٧ ، ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر ـ ابن طولون الدمشقي ـ مخطوط بالخزانة التيمورية ، رقم ١٤٢٢ تاريخ ، ص ٣٨ ب ، المنتظم في تاريخ الملوك والامم ـ ابن الجوزي ـ ج ٨/١٤٥ ، تاريخ دمشق ـ ابن عساكر ـ ج ٣٨/٦٥١ـ٦٥٦ ، وغيره.

٣ ـ انظر ترجمته في : تاريخ دمشق ـ ج ٢٣/١٢٧ ـ ٢٠٨ .

٤ ـ صدر عن دار الكتاب العربي ببيروت ١٩٨٠ بعنوان : « من حديث خيثمة بن سليمان القرشي الأطرابلسي » ويشتمل على تحقيق : « الفوائد ، فضائل الصحابة ، فضائل ابي بكر الصديق ، الرقائق والحكايات » .

٥ ـ تهذيب تاريخ دمشق ١/٤٤٢ .
٦ ـ المصدر نفسه .
٧ ـ تاريخ دمشق ـ ج ١٨/٣١٧ .
٨ ـ معرفة القراء الكبار ـ الذهبي ـ ج ١/٢٣٣ .
٩ ـ تهذيب تاريخ دمشق ـ ج ١/٤٤١ .
١٠ـ معجم البلدان ـ ج ٢/١٢٩ .

١١ـ تاريخ دمشق ـ ج ١٨/٣١٧ ، معجم البلدان ـ ج ٢/١٢٩ .
١٢ـ الأنساب ـ ص ٣٥٨ ب .

١٣ـ تاريخ دمشق ـ ج ٢٩/٣٣ .
١٤ـ تاريخ دمشق ـ ج ١١/١٧٧ .
١٥ـ الأنساب ٣٥٨ ب .
١٦ـ المصدر نفسه .

١٧ـ المنتخب من معجم ابن جميع ، مخطوط بالظاهرية ، رقم ٥٢ حديث ، ص ٩٩ أ ، الأنساب ٣٥٨ ب ، تاريخ دمشق ١١/٢٨٨ ، طبقات الشافعية الكبرى ـ السبكي ١/٢٣ .

١٨ـ تاريخ بغداد ـ الخطيب البغدادي ٦/١٦٥ .
١٩ـ تاريخ بغداد ١/٣٥٤ ، تاريخ دمشق ٣٦/٤٢٠ .
٢٠ـ المنتظم ٨/١٠٨ ، تاريخ دمشق ٣٧/٣٦٨ .
٢١ـ تاريخ دمشق ١٩/٦٠٢ ، التهذيب ٧/٢٧٧ .
٢٢ـ تاريخ دمشق ٢٣/٣٥٣ .
٢٣ـ تاريخ بغداد ٣/٢٣٣ .
٢٤ـ تاريخ دمشق ٢٦/١٠٦ .
٢٥ـ تاريخ دمشق ٣/٣٤٢ ، التهذيب ٢/٥٩ .
٢٦ـ الاكمال ـ ابن ماكولا ٧/٢١٥ ، الأنساب ٥١٥ ب .

٢٧ـ موضح اوهام الجمع والتفريق ـ الخطيب البغدادي ١/٤١٨ ، تاريخ بغداد ٣/٤٤٤ .

٢٨ـ موضح اولأهام ١/٤١٨ ، تاريخ بغداد ١/٣٠٦ ، تاريخ دمشق ٣/٤١٩ .

٢٩ـ معجم البلدان ٣/٤٣٧ .
٣٠ـ تاريخ دمشق١٦/٤٤٢، طبقات المفسرين ـ الداودي ١/٢٠٣ .
٣١ـ تاريخ دمشق ٣٠/٥١٤ ، معجم البلدان ٢/٤٩٠ .
٣٢ـ تاريخ دمشق ٤/٣٥٣ .
٣٣ـ تاريخ دمشق ٢٦/١١٥ .
٣٤ـ الأنساب ٣٥٨ ب .
٣٥ـ معجم شيوخ ابن جميع ٩٩ أ ، الأنساب ٣٥٨ ب ، تاريخ دمشق ١١/٢٨٨ .
٣٦ـ الأنساب ٣٥٨ ب .
٣٧ـ مرآة الزمان ـ سبط ابن الجوزي ـ ج ١١ ق ٢/٢٤٠ ، دمشق ٣٦/٤٠٠ .

٣٨ـ العبر في خبر من غبر ٣/٨٠ ، الوافي بالوفيات ٢/٦٠ ، النجوم ٤/٢٣١ ، شذرات ٣/١٦٤ .

٣٩ـ *تاريخ التراث العربي ـ فؤاد سزگين ـ ج ١/٥٤٢ ،* فهرست معهد المخطوطات بالقاهرة ٢ رقم ٨٠٨ .

٤٠ـ تاريخ التراث ١/٥٤٢ ·

٤١ـ فهرس مخطوطات الحديث بالظاهرية ـ الألباني ٣٧ ، تاريخ التراث ١/٥٤٢ ·

٤٢ـ ذخائر القصر ـ ابن طولون ـ ص ١٢ ب ·

٤٣ـ الأنساب ٣٥٨ ب ·

٤٤ـ شذرات الذهب ٧/٣٦ ·

٤٥ـ تاريخ التراث ١/٥٤٢ ·

٤٦ـ فهرس مخطوطات الحديث ٣٦ ·

٤٧ـ نشرنا هذا الجزء في مجلة « الفكر الاسلامي » ببيروت ـ العدد ـ التاسع ـ السنة الثامنة ١٩٧٩ ص ٢٤ ـ ٢٩ ·

٤٨ـ ما بين القوسين كتب في الحاشية ·

٤٩ـ كتبت هذه الكلمة مرتين وشطبت الأولى ·

٥٠ـ ما بين القوسين كتت في الحاشية ·

٥١ـ معجم الشيوخ ـ ص ٤٦ ·

٥٢ـ المعجم ١٠٣ ·

٥٣ـ المعجم ١٠٣ ·

٥٤ـ المعجم ١٥٤ ·

٥٥ـ المعجم ٣٠ و ٣١ ·

٥٦ـ المعجم ٣٩ ·

٥٧ـ المعجم ٦٠ و ٦١ ·

٥٨ـ المعجم ٦٥ ·

٥٩ـ المعجم ٧١ ·

٦٠ـ الأخبار الموفقيات ـالزبير بن بكارـ تحقيق د· سامي مكي العاني ـ طبعة ديوان الأوقاف ببغداد ·

٦١ـ المعجم ٩٢ ·

٦٢ـ في الأصل « بنـا » ·

٦٣ـ المعجم ١٣٢ ·

٦٤ـ المعجم ١٤٩ ·

٦٥ـ المعجم ١٧٢ ·

٦٦ـ في الأصل « التورية » ·

٦٧ـ في الأصل « اثنين وعشرين » ·

٦٨ـ في الأصل « يجتمعون » ·

٦٩ـ في الأصل « اعـلا » ·

٧٠ـ في الأصل « غنـا » ·

٧١ـ المعجم ١٧ و ١٧٤ ·

٧٢ـ المعجم ٥١ ·

٧٣ـ المعجم ٦٦ ·

٧٤ـ المعجم ٦٧ ·

٧٥ـ المعجم ٨٧ و ٨٨ ·

٧٦ـ المعجم ١١٦ ·

٧٧ـ المعجم ١٣٥ ·

٧٨ـ المعجم ١٧٥ ·

د· عمر تدمري

★ ★ ★

قصيدة
درّة عمر بن الخطّاب

نذير الحسامي

هل بيمناك جَلدة لاعتذاري ؟   في سكوني وزري وفي اعصاري
يا شراع الرجاء ، يا ابن أبي الخطاب ، أدعوك غارقا في خماري
صحوتي في شرار سوطك فالسع   سكراتي ولا تدع قيثاري
أدْمني ·· أدم جبهتي وشفاهي   ويميني على الدجى ويساري
أدمني أيها الأمير وضرج   في دروب المنى خطا تسياري
صب لي من لظاك صبا وذكّر   بتلظيك داريا غير داري !
لا توفر دمي بدرتك الشماء   واغسل لو استطعت شناري
روّني من شواظها كدت أنسى   ظمئي في دناستي للشرار
واذا شئت يا أميري فاسلخ   ني فجلدي عليه وشم اساري
يا أبا الدرة المجيدة رحماك أنلني خبزي بها وعقاري !
أين ألهو بها يروض فحشائي ويجزي سوئي ويرمي اغتراري ؟
كم أهابت بمستذَل على الضنك وأذكت في الليل نخوة ساري
وأقامت بحدها صعر الخدمن الأكرمين والفجار
أتراها تردني في ليالي الى حلم طهرها المتواري ؟
آه لو ذقت من يمينك حمّاها وفَضّت على الضحى أخباري

★ ★ ★

يا جناح السمو يا كعبة الطهر أناديك في صَغاري وعاري
دنسي آخذي .. تغاوى به نابي وطالت في جنحه أظفاري !!
دنَسي يا أمير يصبغ ثوبي ويحلّي تاجي ويضفر غاري !
ويريق الرؤى بمقلة ليلي ويصب الهوى بكأس نهاري
أترى لو رأيت رقصي وشدوي فيهما كنت راجمي بحجار ؟!
أو لواني في طيلساني تراني عاريا كنت ساتري بالقار ؟
دنسي في نداه يضحك مصباحي وفي برقه تزغرد داري !!
أفتصغي اليه يصهل في شوطي ويجري في حلبتي كالضاري ؟
عفني يا أمير أقتات منه وأغذي بنسغه أزهاري
أنا دودي وعنكبوتي وبومي وحصادي مع الدجى وثماري !

* * *

عفو محرابك الطهور وعفو الطيب ان جئت بالقذى في ازاري
أستحي أن يداف باسمك رجس من جراحي ومن مواقد ناري !
أستحي منك يا أمير الطهارات وصرحي عش الخنا وجداري !
أستحي .. لو ، لدي ، بعض حيائي أن أناجي ذكراك في أوزاري
كيف لي أن أمس قدس لياليك بكأس على الدنايا مدار ؟
كيف لي أن أجس طهر معانيك بلفظي وآهتي وادكاري ؟
يا أبا المؤمنين أستغفر الطهر أيرضيك أن ترى استغفاري ؟
أنا أخشى اذا وطئت مصلاك برجسي على زكي الغبار
كيف أرشوك يا أمير المروءات بأدران توبتي واعتذاري ؟
يا أبا المتقين هل عطشت ذكراك يوما الى دموعي الجواري ؟
أفأسقيك ؟! لو تشل يد الساقي بجرح الضحية النغار
أي دمع مضمخ بالخطايا في دجى أكؤسي وملء جراري ؟
أي دمع مخضب بدم العهر صبيب بغلمتي وسعاري ؟

أأنــا المتخــن المعفــر بالاثــم أصلــي وقــد خلعت عــذاري ؟!
أأغني علـى هــواك بعــودي وأنــا قــادح بنــارك ثــاري ؟
يــا أمــيري أنــا قتلتــك بالحــب ٠٠ بسكـــين معتــد غـــدار !
أنــا أغمــدت نصلهــا في حنــايــاك لتلقــى شـهــادة الأبـــرار !!
أنــا أوردتـــك الــردى لأحلـــي بالــدم الطهـر خنجري ودثــاري !
لــم تــزل في أصابــع الكــف منــي بقع من دماك تــروي انتصــاري !!
أتخفــى مـــن التقــى بشــعــار أنــا ملعــون فعلتــي وشــعــاري
يــا أمــيري بــارك علــي مسوحــا أنــا في خــزيهــن كــاس عــاري !
أو فمـــزق فــديــت كفــك بالــدرة بـــردي وبــرقعــي وخمـــاري

★ ★ ★

يـــا أمـــير القسطـــاس يـا سـيدالــدرة كلنــي لليلــي الغــرار
يــا صـديــق الأحــرار حــرر هـــوى النــاس ودع لــي في غيتــي أوطــاري
لا تكلـــف لســـانــي الجهـــر بالحق ففـي غيره عــرفت جهــاري !
لا تكلــف عينيــك رؤيـــة دنيـــاي والا ذبحتنـــــي بـــاحتقــــاري
أنـــــا في باطــــل الحيـــاة وزور النــاس والعيــش بائــع أو شـــاري

★ ★ ★

يـــا أمـــير التقـــى ٠٠ وأيـــن يد الطوفــان تودي بجنتي ونضــاري ؟
ثـــم تلتــف بــي وتهتــك ســماري وتطــوي أخـــي وتاخــذ جــاري
وتــذري حطــام عيشــي بــدنيــا ديــن طبلــي فيهــا مــع الــزمّار !

٥/١٩٧٥ نذير الحسامي

★ ★ ★

عبـاءة الفـاروق

سـدة الحكـم مـن لهـا كفتـاهـا في قـريش وجـلَّ خلـقُ البـاري ؟
مـن كمـزجي الـزحـوف في طاعــة الحـق وفي نشـر رايـة الأحــرار ؟
كل قـول يرفضْ عـن (يوم بـدر) كل فعـل ينفض عـن (ذي قـار)
كبرياء الايمــان تــزأر في عينيــه : ويـل للخـانــع الخــوار ..
وابـــاء الـرجـال في شـفتيـه قائـل للكبـار : يا للصغـار !
قـام يرغـي في وجـه مستعبد النـاس وألـوى بهـامــة الجبــار
لم ينهنهــه صولجـان الطـواغيت وفي لطـم أهلــه لــم يــدار
وتــردى عبــاءة كأديــم البيــد لــم تكسَ بالعلــى والنضــار
طـرزت بالـرمـال تفتـرش الارض فهـزت عـري الفـلا والصحـاري
عفـرت عنـدهـا جبـاه النمـاريد وجـزت مخـالـب الأقـدار
ألـف شمس تبلجـت مـن ثنايـاها استضاءت بهـا النجـوم الـدراري
درج الصبـح في حمـاهـا فكـانـت في حمـى الليـل حلـة الثـوار

* * *

وأفــاء الفــاروق مــن بلسـم العـب على مثخـن الجـراح مجــار
والتقــى النـاس عنـده لم يفـرق بين خصـم في بابـه وحـواري
واســتقام الميـزان في قبضتيــه قبلــة المؤمنــين والكفــار !

٥/١٩٧٥ نذير الحسامي

* * *

اسهام ابن سينا

ألقى الدكتور يونسكو ميهاي أستاذ علم التشريح بكلية الطب في جامعة كرايوفا (رومانيا) بحثا في مؤتمر تاريخ العلوم الذي عقد في بخارست الصيف الفائت عن اسهام ابن سينا في علم التشريح الانساني • وقد تعاون هو والدكتور أكثم قدور خريج كلية الطب في جامعة كرايوفا في وضع نصه العربي ، كما ألقى الأكاديمي يوجين بورا والأستاذ يوان مارزا بحثا عن كتب ابن سينا في مكتبات ترنسلفانيا القديمة ، وذلك في جملة البحوث المتعددة التي ألقيت في المؤتمر احتفالا بالذكرى الألفية لمولد الشيخ الرئيس • ونحن نثبت ذينك البحثين آملين ان تتاح الفرصة لترجمة بحوث اخرى في هذا المجال رغبة في اطلاع القارىء العربي على أعمال العلماء المستشرقين وجوانب بحوثهم •

في علم التشريح الانساني ابّان العصور الوسطى

الدكتور يونيسكو ميهاي*
أستاذ علم التشريح بكلية الطب
في جامعة كرايوفا (رومانيا)

والدكتور أكثم قدور
خريج كلية الطب في جامعة
كرايوفا

نشأت جامعة كرايوفا عام ١٩٦٥ م ، لكن كلية الطب فتحت أبوابها عام ١٩٧٠ م ، وهي تعد سادسة الكليات وأحدثها في جمهورية رومانيا الاشتراكية •

فيهذه الكلية يدرس كثيرون من الطلاب الأجانب ، وخاصة الطلبة السوريين • ان كلية الطب في كرايوفا أحدثت تطورا كبيرا اذ بدلا من القدم والتقاليد المتعارف عليها في التعليم الجامعي أقدم بعض أساتذتها على انشاء أول متحف لتأريخ الطب والصيدلة في رومانيا •

في مكتبة هذا المتحف نسخة مطبوعة في اللغة اللاتينية ، ولكن بحروف قوطية لكتاب « القانون في الطب » لابن سينا طبعها « هيركولانوس ايوانيس » في البندقية عام ١٥١٢ م ، ورقها من قطع الثمن ، كما يوجد نسخة مترجمة في اللغة اللاتينية للقانون في الطب طبعها « أندرياس ألباجو » في مدينة بال بسويسرة عام ١٥٥٦ م ورقها من القطع الأعظم • ان

★ البروفسور يونيسكو ميهاي أستاذ علم التشريح بكلية الطب في جامعة كرايوفا ، ومؤسس علم الأشكال الطبيعية والمرضية في هذه الجامعة ، وعضو جمعية العلوم الطبية في رومانيا والجمعية المكسيكية للتشريح ، وممثل المجلس العالمي للجثث في التعليم الطبي ، وعضو الجمعية العالمية لتاريخ الطب •

هاتين النسختين أهديتا لهذا المتحف من قبل السيدة الدكتورة « فيوريكا غومويو » أقدم عضو في الجمعية العالمية لتاريخ الطب (S. I. H. M.) وهي حرم الأستاذ « فيكتور غومويو » الذي أسس عام ١٩٢٩ م أول جمعية رومانية لتاريخ الطب ، وأصبح رئيسا لها عام ١٩٣٦ م ، ثم أصبح رئيس شرف للجمعية العالمية لتاريخ الطب . وما ان حل عام ١٩٣٧ م حتى نشر كتابا باللغة الرومانية حول الطبيب ابن سينا، تحدث فيه عن أعماله، وشخصيته الفذة ، فافسح بذلك للشعب الروماني أن يتعرف على الطبيب والمفكر العربي في العصور الوسطى .

وثمة عدة مكتبات في رومانيا تحوي على نسخ مطبوعة لأعمال ابن سينا كمكتبة « باتهينيوم » في مدينة « ألبايوليا » ، والمكتبة المركزية الجامعية في مدينة «كلوج ـ نابوكا»، ويعود تاريخهما الى النصف الثاني من القرن السادس عشر في البندقية .

ونشر المؤرخ الروماني الدكتور « جورجي براتيسكو » ، وكان يشغل منصب رئيس الجمعية الرومانية لتاريخ الطب ، ملخصا مترجما من اللغة اللاتينية الى اللغة الرومانية عام ١٩٦٢ م لكتاب « القانون في الطب » ،كما نشر ملحقا عن قيمة هذا الكتاب وتأثيره في تطور الطب .

ان جميع هذه المراجع والمصادر التي سبق ذكرها ساعدتنا أن نعرض ـ ونحن اختصاصيان في علم التشريح ومؤرخان في الطب ـ لما حوى كتاب « القانون » من التشريح ، ولما جمع من المعارف المتوافرة بهذا المجال في عصره ذاك ، وأن نبين ما هي مشاركة ابن سينا الأصلية القيمة حتى يومنا هذا ، على الرغم من أن فريقا ممن أتى بعده قد تظاهروا بأن هذا العلم من أعمالهم وكشوفهم ، ولكن التاريخ أثبت العكس .

يقول ابن سينا في مقدمة كتابه « القانون في الطب » : ان بعضا من أصحابه ومن لزم اسعافه ألحوا عليه أن يؤلف في الطب كتابا ،فصنف كتابا مشتملا على قوانين الطب الكلية والجزئية في خمسة كتب ، فتحدث في الأمور العامة الكلية في كلا قسمي الطب النظري والعملي ، ثم تكلم على أحكام قوى الأدوية المفردة ثم في جزئياتها ، ثم بعد ذلك في الأمراض الواقعة بعضو عضو ، فابتدأ أولا بتشريح ذلك العضو وبيَّن منافعه ، كما ركز بادىء ذي بدء أن معرفة العظام هو أساس التشريح وبه تبدأ دراسة الطب .

ففي الكتاب الأول عالج ابن سينا المزاج (أمزجة الأعضاء ، الأسنان ، الأجناس) ، ثم في الأخلاط ، ثم في ماهية العضو .

فتحدث في الجملة الأولى عن العظام ،والمفاصل في ثلاثين فصلا : فبدأ في تشريح القحف وما دون القحف من الرأس ، وعظام الفكين ، والأنف ، والأسنان ، والفقرات (الرقبية ، الظهرية ، القطنية ، العجزية ،والعصعص) ، الأضلاع ، القص ، الترقوة ، الكتف ، العضد ، الساعد ، مفصل المرفق ،الرسغ ، مشط الكف ، الأصابع ، عظام العانة ، الفخذ ، الساق ، مفصل الركبة ،القدم .

وفي الجملة الثانية تحدث عن العضل في ثلاثين فصلا . ففي الفصل الأول تحدث عن العصب ، والعضل ، والوتر ، والرباط . وفي الفصول المتتالية تحدث عن تشريح عضلات : الوجه ، الجبهة ، المقلة ، الجفن ، الخد ، الشفة ، الأنف ، الفك الأسفل ، الرأس ، الحنجرة ، الحلقوم ، عضل العظم اللامي ، اللسان ، العنق والرقبة ، الصدر ، عضل حركة العضد ، عضل حركة الساعد ، عضل حركة الرسغ ، عضل حركة الأصابع ، عضل حركة الصلب ، عضل البطن ، عضل الأنثيين ، عضل المثانة ، عضل الذكر ، عضل المقعدة ، عضل حركة الفخذ ، عضل حركة الساق والركبة ، عضل مفصل القدم ، عضل أصابع القدم .

أما في الجملة الثالثة فتحدث عن العصب في ستة فصول ، فشرح أعصاب الدماغ ومسالكها ، وأعصاب النخاع الشوكي (الرقبية ، الظهرية ، القطنية ، العجزية ، العصعصية) .

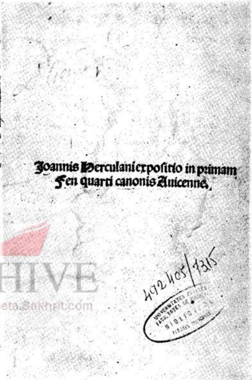
وأما في الجملة الرابعة والخامسة فتحدث عن الشرايين والأوردة .. فتكلم على تشريح الشريان الوريدي (ويعني في ذلك الأوردة الرئوية) ، والشريان الصاعد (أي الوتين) ، والشريانين السباتيين ، والشريان النازل ، ووريد الباب ، والأجوف السفلي والعلوي ، وتشريح أوردة اليدين .

أما في الكتاب الثالث فتحدث عن أمراض الجسم ، فتكلم في كل عضو على حدة ، بدأ بتشريحه ، ثم عدد أعراضه ، ومعالجته ، فتحدث في تشريح الدماغ ، والعين ، والأذن ، الأنف ، الفم ، اللسان ، أعضاء الحلق ، الحنجرة ، القصبة ، الرئة ، القلب ، الثدي ، المري ، المعدة ، الكبد ، المرارة والطحال ، الأمعاء ، الكلية ، الرحم ، المثانة ، الأنثيين ، أوعية المني .

ومع أننا لن نخوض في غمار هذا الموضوع كثيرا ، ولكن نستطيع أن نقدر قيمة ابن سينا وخاصة في الأسلوب العلمي التشريحي الذي قدمه للبشرية فيما يخص « علم التشريح » منذ ألف عام ، وهو الآن المعتمد في أكثر الجامعات لعصرنا هذا .

ان ابن سينا بمعرفته وتطورها وبروحه العلمية استطاع أن يجمع في عمل رزين وحكيم المعارف الموجودة عن علم التشريح في ذلك الوقت ، وبالأخص الآتية من العلماء علماء اليونان ولا سيما العالم « جالينوس » ومن مدارس الاسكندرية ولا سيما ايرازستراتس وهيروفيل . ومن قدامى اليونان . وأهمهم « أرسطوطاليس » ، ومن قدامى الهندوس .

ان ابن سينا لم يتطرق الى ذكر مراجعه عندما كتب في « علم التشريح » ولكننا نحن المؤرخين نستطيع أن نستنتج أنه جمع كل المعارف والعلوم التشريحية المتوافرة في عصره ، كما أنه لم يتطرق الى التشريح التخميني أو الاستنتاجي وهو ما اعتمد عليه قدامى المصريين والصينيين في مجرد تأملهم تكوين الجسم الانساني في اطار تأملهم للكون (فقالوا مثلا : ان السنة مؤلفة من ٣٦٠ يوما ، فجسم الانسان مؤلف من ٣٦٠ عظما وهكذا ... الخ .) .



Joannis Herculani expositio in primam Fen quarti canonis Auicenne.

الصورة الأولى : كتاب القانون في الطب لابن سينا باللغة اللاتينية مطبوع عام ١٥١٢ م من قبل ايوانيس هيركولانوس ، نسخة محفوظة في متحف تاريخ الطب والصيدلة في كرايوفا ـ برومانيا •



AVICENNAE MEDIcorum Arabum principis, Liber Canonis,

DE MEDICINIS CORDIALIBVS. ET CANTICA.

IAM OLIM QVIDEM A GERARDO CARMONENSI ex Arabico sermone in Latinum conuersa.

[illegible]

HIS ACCESSERVNT,
Auicennæ libellus de Remouendis nocumentis, quæ accidunt in regimine sanitatis: Eiusdem tractatus de Syrupo acetoso.

Ab eodem ALPAGO ex Arabico in Latinum sermonem translati.

Cum Indice rerum ac uerborum notatu dignorum copioso.

BASILEAE, PER IOANNEM Heruagium. 1556.

الصورة الثانية : القانون في الطب لابن سينا ، مطبوع في مدينة (بال بازيل) عام ١٥٥٦ باللغة اللاتينية من قبل المستعرب « اندرياس الباجو » نسخة محفوظة في متحف تاريخ الطب والصيدلة في كرايوفا ـ برومانيا •

ان تفكير ابن سينا وصل الى قمة عالية في الفلسفة والتفكير التجريدي العبقـري ، ولكنه في كتابته عن « علم التشريح » كان واقعيا ، وهذا مما أدى الى صحة ما كتبه طوال مئات السنين •

ولم نستقص معلومات ابن سينا وفضـائله في « علم التشريح » بحذافيرها ، ولكن من خلال ما وصلنا نستطيع أن نشير الى بعض هذه الفضائل بعلم التشريح المكتشفة آنذاك •

لقد حان الوقت أن نضع النقاط علـى الحـروف ، وهي أنه عنـد نشوء الجامعـات

والمدارس الطبية الأوربية في نهاية العصور الوسطى ، أي في بداية القرن الثاني عشر وخلال القرون التالية ، كانت اللغة العربية تحتل مكانا مرموقا الى جانب اللغتين اللاتينية واليونانية ، ثم بعدهما العبرية · ان أول ترجمة لأعمال ابن سينا بدأت في القرن ١٢ م الى اللغة اللاتينية ، ولكن طباعتها أضافت اليها وخاصة في القرن السادس عشر ، التيار الأوربي المناوىء للعرب ، وقد اشتد في عصر النهضة ، فأنكروا فضل العرب في الطب وفي بقية العلوم ، ونسبوا جميع العلوم والكشوف ظلما الى أنفسهم ·

ولكن دعونا نرجع الى الوراء ألف عام ونلتق ابن سينا · كان ابن سينا عالما نابغا في « علم التشريح » الى جانب المجالات المتعددة ، وقد أغنى هذا العلم ، وأضاف اليه اضافات متعددة ··· لقد درس ما جاء به « جالينوس » في علم التشريح ، لكنه أضاف ، وعلق ، وكشف بعضا من المعلومات والحقائق مما كان له الأثر الكبير في عصر النهضة الأوربية ·

وها نحن أولاء نقدم بعض الكشوف التي سبق اليها ابن سينا ، والتي لم نجدها عند معاصريه ، أو عند من أتى بعده بعدة قرون، والتي لم تزل قيّمة حتى الآن ، وقليل من الناس يعرفون أنها لابن سينا · فقد شبه الدرز بين عظام الرأس بالسهم ، وهو ما نسميه الدريز السهمي والدريز الاكليلي بحرف (C) المسطح ، أو شكل قوس على حد تعبير ابن سينا ، كما شبه الدريز اللامي بحرف (V) اليوناني المعكوس(١) ·

وقد تحدث عن العضلات الست المحركة للعين ، وعن العضلة الرافعة للجفن العلوي ، كما خصص أن الفك العلوي هو الثابت ، والفك السفلي هو المتحرك ، وقد عرف معصرة المثانة ، كما نوه عن زوجين في عضلات الخصية في الوقت الذي أكد « جالينوس » عن وجود زوج واحد · وقال ان طبقة الصفن الليفية (المقبول) هي عضلة خاصة بالخصية، كما ميز الأربطة من الأعصاب وسماها الأوتار ، وكما عرف القناة التي تنقل الدمع الى الأنف ، ووصف حركات تقلص الحدقة واسترخائها ·

نلخص ما قيل حتى الآن :

نستطيع أن نؤكد أن ابن سينا قد وضع « علم التشريح » في المكان المرموق ، وهو أنه بداية لدراسة الطب وذلك قبل مئات السنين من عصر النهضة ، وأضاف الى هذا العلم « الطريقة العلمية » الصحيحة في الشرح والوصف ، كما أغناه بتحقيقاته ووصفه مما لم يزل صالحا حتى وقتنا هذا ·

والآن وصلنا الى مسألة نعتقد أنها مهمة وهي أنه من الصعب أن نجزم هل قام ابن سينا بتشريح الجثث أولا ، في عهد كان محرما لمس الجثة وتشويهها حتى ألف عام خلت قبل ابن سينا ، فلم يقدم على ذلك حتى المشرحون · المشرحون اعتنقوا مذهب « جالينوس » ولم يعرف عن جالينوس أنه أقدم يوما ما على تشريح احدى الجثث ·

---

١ - يقول ابن سينا فيه انه يشبه اللام في كتابة اليونانيين وهذا يحمل على الظن انه افاد ذلك من كتابات اليونان · (المجلة)

وقد نقد « تشلسوس » بشكل لاذع أعمال (الكمايون من قروتون) اذ أقدم على تشريح بعض الاشخاص وهم في قيد الحياة .

هذا ولم يصرح أحد أن ابن سينا شرح جثة ما ، كما أن ابن سينا لم يذكر أنه شرح جثة ما ، وذلك أن الانسان حيا وميتا موضع احترام عميق في الاسلام ، كما أن ذلك كان محرما في جميع الأديان القديمة وفي العصور الوسطى .

ولنسمح لأنفسنا أن نعتبر أن هذه المعارف الدقيقة والحقيقية في « علم التشريح » وبالأخص الكشوف والأوصاف التي قدمها ابن سينا لنا ، لا يمكن الوصول اليها والتصريح بها بمجرد دراسة نظرية ولا من خلال المراقبة والمشاهدة للجسم الانساني الحي فليس من الممكن أيضا أن يكشف الدروز الرأسية ، والجهاز الحشوي ، والرأس ، وعضلات الحجاج ، ومعصرة المثانة الخ .. عند أشخاص أحياء . ولذلك نعتقد كل الاعتقاد أن ابن سينا لجأ الى تشريح الجثث كطريقة علمية في علم التشريح ، وبالأخص في التشريح العظامي الصحيح ولا فرق اذا كان ابن سينا قد أقدم بذاته على تشريح الجثث أو أمر أحد محضري الجثث بالتشريح حسب تعليماته .

وآخر فضل يعود للمشرح ابن سينا تلك الكشوف التشريحية الحيوية من دون أن يلجأ الى الطرق الوحشية التي أقدم عليها (ألكمايون من قروتون) ، والتي لم تقدم للبشرية أي معلومات قيمة .

لقد عرف ابن سينا تقلص الحدقة واسترخاءها ، وكان عالما في « علم النبض » ، فقد عرف كل ما جاء حول هذا العلم في التراث الفارسي والصيني والهندي ، وأضاف في هذا المجال تغيرات النبض المسببة عن العلاقات العاطفية والمغامرات .

وفي الختام نقول : ان ابن سينا لم يكن طبيبا عبقريا فحسب ، بل كان مفكرا وفيلسوفا كبيرا . ان أعمال ابن سينا وكتبه تدرس الآن وتناقش من جميع الجوانب ، ومن قبل الأطباء ، والفلاسفة ، والفيزيائيين الخ .. ومن دون جدل ان ابن سينا شق الطريق أمام كثير من النشاطات الانسانية الحالية .

أمثال هذه الدراسات والفضائل ألقيت في الذكرى الألفية لميلاد ابن سينا (١٩٨٠ م) وفي المحافل العلمية المختلفة ، وآخرها المؤتمر العالمي السادس عشر لتاريخ العلوم ، وقد انعقد في بوخارست بين ٢٦ آب حتى ٣٠ ايلول ١٩٨١ م ، وانبثق عن هذا المؤتمر لجنة خاصة تعرضت لدراسة قيمة حول حياة ابن سينا وأعماله ، فقدم عدد من العلماء الروس والسوريين ومن الدول الأخرى معلومات قيمة عن هذا العالم الفذ ،

كان ابن سينا طبيبا ، ومشرحا ، وجراحا ، وكيماويا ، وعالما في تدبير أمور الطفولة والكهولة والشيخوخة وغيرها من مراحل الحياة ، وكل ذلك في مجال العمل والتطبيق ، ومجال النظر والفكر . وهو يعد أحد الأطباء العظام الذين عرفتهم البشرية ، ويأتي بالترتيب الثالث بعد « ابقراط » و « جالينوس » بل أعلى منهما جميعا .

ابن سينا في بعض مكتبات ترنسلفانيا القديمة

الأكاديمي يوجين بورا والاستاذ يوان مارزا
(رومانيـا)

لقد عمدنا الى مكتبات ترنسلفانيا ومتاحفها القديمة باحثين عـن كتب ابن سـينا فوجدنا له كتابين في مكتبـة كلوج نابوكـاوكتابين آخرين في مكتبة متحف ألباجوليا وكل الكتب بالقطع الكبير وباللاتينية وهي :

مكتبة كلوج نابوكا :

١ ـ Liber Canonis de Medicinis Cordialibus Cantica
طبع في البندقية عام ١٥٦٢ وهو في ٥٩٠ورقة ٠ ويدل ما كتب على الغلاف أنـه كان لجماعة الرهبان اليسوعيين وعلى هوامش الكتاب تعليقات متعددة تدل على كثرة الاستعمال ٠

٢ ـ Avicenae Princpis et philosophi sapientissimi Libri. In Re Medica Omnes.

مجموعة طبعت في البندقية عام ١٥٦٤يشتمل على ٩٦٦ صفحة ٠

وفي ذيله رسائل مترجمة الى اللاتينيـة لابن سينا ٠

وفي أول كل فصل ونهايته شعار الناشروهو فان سان ٠

وفي مستهل كل فصل حروف مزخرفة تزيينية ٠

وعلى صفحة الغلاف تاريخ دخول الكتاب في كلية مدينة انغولستاد في بافاريا وهـو عام ١٥٦٦ وهذا يدل على أن الكتاب وصل في مدة عامين بعد نشره ٠

ثم دخل الكتـاب في مكتبة كليـة الطب الداخلي في مدينة كلوج وكانت هذه الكليـة قائمة حول منتصف القرن السابع عشر ٠

مكتبة متحف ألباجوليا :

١ ـ كتاب Libri in Re Medica Omnis

وهو يتألف من جزأين طبعا في البندقية عام ١٥٦٤ ٠
يشتمل الأول على ٩٦٦ صفحة والثاني على ٤٢٩ ٠

٢ ـ Indis Rerum memorarabilum in Avicennae De rerum Medica Libri
طبع في البندقية عام ١٥٦٤ يحتوي على(١٢٦ + ٢٧) ورقة ٠

وهذا الكتاب متمم لجزءي الكتاب السابق لأنه فهرس دقيق لهما ٠

الخلاصة :

١ ـ ان وجود هذه الكتب في ترنسلفانيا ابان القرن السادس عشر يدل على مكانتها وفائدة تداولها فهي من أهم الكتب الطبية في ذلك الوقت وأوسعها انتشارا ٠

٢ ـ ثم ان طبع هذه الكتب في البندقية بوتيرة كتابين كل سنتين اشارة الى شدة الطلب عليهما من مختلف بقاع أوربة ٠

٣ ـ وصول هذه الكتب الى هاتين المكتبتين بعد نشرهما بعامين دليل على شدة تداولها في تلك الحقبة ٠

٤ ـ وجود هذه الكتب في ترنسلفانيا يشير الى الصلات التي كانت قائمة اذ ذاك بينها وبين مناطق ايطاليا البعيدة منها ٠ ويدل أيضا على أن ترنسلفانيا وهي في شرقي أوربة كانت تتابع الحركة العلمية ابان النهضة في غربي أوربة وتعاصرها ٠(١)

* * *

جائزة ابن سينا الدولية ومهرجانات ذكراه الألفية

١ ـ أنشأت وكالة أنباء نوفوستي السوفياتية مع هيئات اجتماعية ، وثقافية ، وعلمية ، ودينية جائزة دولية باسم أبي علي بن سينا العالم العربي الكبير بل عالم الشرق الموسوعي العظيم في القرون الوسطى ، تمنح سنويا مواطنا من اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية ومواطنا من دول آسية وافريقية تلقاء أفضل المؤلفات في مجال الأدب ، والصحافة ، والعلوم الاجتماعية التي تدعو الى السلام والصداقة بين شعوب آسية وافريقية والاتحاد السوفياتي ، كما تمنح الجائزة للمنظمات الابداعية والعلمية ٠

وتضم الجائزة :

١ ـ دبلوما يرد فيه اسم الجائز وعمله باللغة الروسية وبلغة بلد الفائز ٠

٢ ـ ميدالية ٠

٣ ـ جائزة مالية بحدود ألف روبل ، أو مايعادله من عملة الدولة الأجنبية التي فاز مواطنها بالجائزة ٠

٤ ـ رحلة يقوم بها الفائز الأجنبي الى الاتحاد السوفياتي ٠ ورحلة يقوم بها المواطن السوفياتي الى أحد بلدان آسية وافريقية ٠

٢ ـ أقامت أكثر بلاد العالم ندوات علمية ومهرجانات ثقافية احتفالا بذكرى مرور ألف عام على ميلاد الشيخ الرئيس ابن سينا ، وذلك بتوصية من منظمة اليونسكو ٠

---

١ ـ يؤسفنا ان ننعى وفاة الاكاديمي يوجين بورا في ٢٨ تشرين الأول ١٩٨١ بنزيف دماغي حسب رسالة زميله الدكتور يونيسكو ميهاي ٠ (المجلة)

٣ ـ أقام المجلس الأعلى للعلوم في أبهاء جامعة دمشق ومدرجاتها مهرجانا علميـا في أسبوع العلم العشرين احتفاء بالذكرى الألفية لميلاد ابن سينا ، شارك فيه كثيرون من العلماء والباحثين العرب ، وقد افتتح المهرجان الأستاذ الدكتور شاكر الفحام ، وألقى كلمة طيبة حول جوانب حياة ابن سينا وأبعاد ثقافته ٠

بدأ الاحتفـال يـوم السبت في ٢٣ ذي الحجة ١٤٠٠ هـ/١ تشرين الثاني ١٩٨٠ م٠

وفي العدد السابق من هذه المجلة طائفة من البحوث المقدمة فيه ٠

٤ ـ باشراف معهد التراث العلمي العربي وكلية الآداب بجامعة حلب عقد المؤتمـر السنوي الخامس للجمعيـة السورية لتاريـخ العلوم عند العرب في ١٣ و ١٤ أيار ١٩٨١ م في أربع جلسات : خصصت الأولى للاحتفـال بالقرن الخامس عشر الهجـري ، وخصصت الثانية للاحتفال بذكرى مرور ألف عام على مولد ابن سينا ، والثالثة والرابعة للأبحاث العلميـة ٠

وقد أقيمت هذه الجلسات على مـدرج المعري بكلية الآداب بجامعة حلب ، واشترك في المؤتمر ثلاثون عالما ألقوا ٣٣ بحثا أشادوا فيها بالحضارة العربية وبابن سينا فيلسوفـا وطبيبا عظيما في تاريخ العرب والانسانية ٠

٥ ـ من جملة ما نشر عن ابن سينا بمناسبة العيد الألفي كـراس باللغتين العربيـة والفرنسية عن كلية الطب بتونس ، وقد أشرف على العمل الأستاذ الدكتور سليم عمار وهو أستاذ تاريخ الطب والأمراض النفسيـة في كلية طب تونس ٠

د٠ نسيب نشاوي

نـدوة برلـين الشـرقيـة ١٩٨٠ م

أقيمت نـدوة في برلـين الشرقية عـام ١٩٨٠ م احتفالا بمرور ألف عام على ميلاد ابن سينا نشرنا في العدد السابق ترجمتي بحثين قدما فيهـا ٠

ونلخص هنا موضوعات البحوث الأخرى :

آ ـ ابن سينا وبيزنطة (يوهانس ارمشر) مقال في أربع صفحات للنص وأربع صفحات للحواشي يقول المؤلف فيـه : ان ابـن سينا عرف لدى البيزنطيين في موضعين :

١ ـ مقالة في البول (ربما ليست له) ٠

٢ ـ عن طريق اللاتينية في كتب رجنا ديوس الثاني بطريرك القسطنطينية ٠ وهذا البحث يهم مؤرخي الطب ، والعنوان يعد بأكثر مما يقدم النص ٠

ب ـ تصنيف العلوم عند ابن سينا (م· ماروث) ·
يبحث في علاقة العلوم بعضها ببعض ومراتبها في نظام المعرفة ·

ج ـ موازنة بين ابن سينا ومسكويه (هولفر بريسلر) ·
والمقال وصف لحياة كل من الفيلسوفين وموازنة في الاتجاه والتأليف ، وقد عرض لقضية التوفيق بين العقل والدين ·

د ـ أثر الاسماعيلية في تطور الاقطاعية المبكرة في اليمن (ايرهارد سراوالي) ·
تحليل للعلاقات بين ارستقراطية اليمن والاتجاهات السرية في الاسماعيلية ، وهو عرض تاريخي موثق يدخل في التاريخ السياسي ·

هـ ـ علم النفس الأفلاطوني في ثوبه الرمزي من ابن سينا حتى دانتي (غ· تسترومير) ·
ـ معرفة ابن سينا لعلم النفس الأفلاطوني (مع خلفية اسماعيلية) ·
ـ حي ابن يقظان وما يشبه ذلك عند دانتي ثم ابراهيم بن عزرا ·

و ـ نظرية الحركة عند ابن سينا (هانس· ا· فولر) ·
ـ المادة والحركة في كتاب الشفاء ·
ـ الحركة في علم الطبيعة عامة ·
ـ ربط الحركة بالمادة ·
ـ التغير والفردية عن طريق الحركة ·
ـ الوجود قائم على الحركة لا على مبدأ ميتافيزيائي ·
ـ الفرق بين الحركة والفيض ·
ـ حركة في عملية الخلق ·
ـ حركة في الادارة ·

ز ـ المخطوطات المتعلقة بابن سينا في مكتبة كارل ماركس ـ ليبزيغ (سونيا برنتيس) ·
وصف للمخطوطات مفيد وقد أظهرت المؤلفة كيف تم الاستفادة من تلك المخطوطات ومَن هؤلاء الذين استفادوا ·

ح ـ المخطوطات المتعلقة بابن سينا وشراحه في مكتبة الأبحاث في غوتا (هانس يواخيم دوكار) ·
عرض للمخطوطات شائق ومفيد ·

ط ـ الدراسات العربية في ليبزيغ (هولفر بريسلر) ·
يؤرخ لها منذ بدايتها في نهاية القرن السابع عشر حتى اليوم ·

ي ـ ابن سينا وليسنغ (ي دمر) ·
ـ أين اعتمد ليسنغ مؤلفات ابن سينا وبعض أفكاره ·
ـ ماذا قال ليسنغ عن ابن سينا ·
ـ ما مصادر ليسنغ التي رجع اليها للتعرف على ابن سينا ·

ك ـ أرسطوطاليس وبروكلس وابن سيناحول مشكلات فلسفية في الرياضيات (ديتريخ الريس) ٠

أهمية الرياضيات لدى العلماء ، طبيعة الرياضيات ، ثم عرض لآراء ابن سينا وأرسطو وبروكلس في موضوع الرياضيات وعلاقتها بباقي العلوم ٠

ل ـ ابن سينا في مشكلة وطنه الفكري (بورخارد برنتيس) الفيلسوف ـ العالم ـ الطبيب ـ الشاعر ـ الكاتب ـ الموظف الاداري ـ التأثير الاسماعيلي ـ الموسوعي ـ ممثل وسط آسية ٠

م ـ انسانية ابن سينا المكافحة (هرمان لاي) ٠

البيروني وابن سينا ـ عصر ابن سينا السياسي ـ عصره الديني ـ صراعه لبعض الاتجاهات الفكرية ـ أهميته للشرق الاسلامي اليوم (مع تركيز على الجزائر ولا سيما على مولود قاسم) ـ أفكار وتأملات في الديمقراطية والاتجاه العلمي ٠ أثره في عصر النهضة الأوربية ٠

الدكتور غانم هنا

* * *

المؤتمر السادس عشر لتاريخ العلوم والذكرى الألفية لابن سينا

عقد المؤتمر العالمي السادس عشر لتاريخ العلوم في مدينة بخارست عاصمة جمهورية رومانيا الاشتراكية من ٢٦ آب الى ٣ ايلول ١٩٨١ ٠ وخصصت في أثناء انعقادة ندوة للاحتفال بالذكرى الألفية لميلاد ابن سينا وقدمت فيها البحوث الآتية نوردها لبيان تعدد الجوانب في شخصية ابن سينا ٠

١ ـ **ابن سينا والحضارة الانسانية**	: الأكاديمي عاصموف رئيس أكاديمية طاجكستان (الاتحاد السوفياتي)
٢ ـ **الابداع الانساني والابداع النبوي في رأي ابن سينا**	: الأستاذ يون بانو (رومانيا)
٣ ـ **ابن سينا الطبيب**	: الأستاذ الدكتور جورج براتسكو (رومانيا)
٤ ـ **ابن سينا والأخلاق الطبية**	: للأستاذ حكيم سعيد (باكستان)
٥ ـ **مكانة ابن سينا في تقدم السيكوفيزيولوجية الانسانية**	: الأستاذ الدكتور الأكاديمي ياروشفسكي (الاتحاد السوفياتي)
٦ ـ **ابن سينا وعلم الصخور**	: السيد غاد فرودنتال (فرنسة)

٧ ــ العناية بطب الشيوخ في أعمال ابــن سينــا	: السيد فلاديمير يوليو غوزيو (رومانيا) السيد مرسيا دومترو (رومانيا) سمارندا فلاغو ايكونومو (اليونان)
٨ ــ مكانة ابن سينا في تقدم التشريح ابان القرون الوسطى	: الأستاذ الدكتور ميهاي يونسكو (رومانيا) وقد ترجمه الدكتور أكثم قدور ونشرناه في هذا العدد
٩ ــ أصل اسم ابن سينا	: الأستاذ الدكتور طه كيالي (معهد التراث بحلب ــ سورية)
١٠ــ كتب ابن سينا في مكتبات ترنسلفانيا القديمة	: الأستاذ الدكتور الأكاديمي أوجين بورا والدكتور موهان مارزا (رومانيا)
١١ــ تأثير ابن سينا في التفكير النفسي والبيولوجي الأوربي ابان القرنين السابع عشر والثامن عشر من خلال كتابيه الشفاء والنجاة ومن خلال رسالة حي بن يقظان لابن طفيل	: الدكتورة غ٠ ١٠ رسل (انكلترة)
١٢ــ مكانة ابن سينا في تاريخ التقدم الانساني لعلم الرياضيات الفيزيائية	: الأكاديمي الأوزبكي سراج الدينوف والدكتورة ماتيفسكايا (الاتحاد السوفياتي)
١٣ــ آثار ابن سينا في عهد النهضة الأوربية	: الدكتور ١٠ن شامين (الاتحاد السوفياتي)

وقد طلب الكلام في آخر جلسات الاحتفال بابن سينا الدكتور نشأة حمارنة ونوه بمخطوطة « الاستبصار في علاج أمراض الأبصار » التي في المكتبة الظاهرية بدمشق وقد وصفها الأستاذ صلاح الخيمي وكان قد غفل عنها مورخو كتب ابن سينا وذكرها حاجي خليفة في كتابه « كشف الظنون » هذا وقدعمد الدكتور حمارنة الى اقامة معرضين أحدهما في نطاق الاحتفال بذكرى ابن سيناوالآخر في نطاق محاضرات تاريخ الطب وذلك في بهو الجامعة التي جرى فيها المؤتمر٠ تضمن المعرض الأول صورا للمخطوطات العربية في طب العيون التي شرح أصحابهاكتابات ابن سينا أو لخصوها أو علقوا عليها٠ ومن جملتها مخطوطات لابن رشد وابن النفيس ونفيس بن عوض الكرماني والسمرقندي والاقسرائي ٠ واشتمل المعرض الثاني على المخطوطات العربية في طب العيون التي لما يتهيأ تحقيقها ونشرها وأهمها مخطوطات لابن زهر وابن النفيس والصوري والقمري والحريري ٠

د٠ عبدالكريم اليافي

اهتمامات عربية وعالمية

أنهى الدكتور سلمان قطاية تحقيق كتاب ابن النفيس : « شرح تشريح ابن سينا » وهو يعكف الآن على وضع فهارس وتعليقات مطولة على النص المحقق ٠

★ ★ ★

خصصت الاذاعة الفرنسية الثقافية « فرانس كلتور » عدة برامج عن ابن سينا للاحاطة بعبقريته من جوانبها كافة، اشترك فيها رهط من كبار الاختصاصيين في فرنسة نذكر منهم الأستاذ ارنا لديز ٠ وكان الأستاذ قد زار معهد التراث بحلب عدة مرات وأسهم بموضوع عن ابن سينا في الندوة العالمية الثالثة عام ١٩٧٩ م ٠

★ ★ ★

أنهى الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا أستاذ علم الأقراباذين بكلية الصيدلة بدمشق ورئيس لجنة تاريخ الطب والصيدلة التابعة للجمعية السورية لتاريخ العلوم فهرسة الكتب الطبية والصيدلانية العربية المحفوظة في المكتبة الوطنية بباريس ٠ وقد وجد عدة مخطوطات غير معروفة وهامة منها كتاب لابن سينا ٠

مقالات نشرت عن ابن سينا

١ ـ نشرت مجلة مجمع اللغة العربية الصادرة عن مجمع اللغة العربية بدمشق في عددها مجلد (٥٦) جزء (١) كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام التي ألقاها في مدرج جامعة دمشق وافتتح بها المهرجان الذي أقامه المجلس الأعلى للعلوم في أسبوع العلم الذي نوهنا به آنفا احتفاء بذكرى ميلاد ابن سينا الألفية ٠

★ ★ ★

٢ ـ أصدر معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب عددا خاصا في مجلة تاريخ العلوم العربية بمناسبة مرور ألف عام على ولادة ابن سينا والتراث الطبي والفلسفي الذي أسسه ـ المجلد الرابع ـ العدد الثاني ١٩٨٠ م ٠ ومن الأبحاث المنشورة فيه باللغة العربية :

ـ ابن سينا ومصادر « الهندسة » من كتاب الشفاء بقلم عبد الحميد صبرة ٠
ـ ابن سينا وأبو عبيد الجوزجاني : قضية معدل المسير عند بطلميوس ـ بقلم جورج صليبا ٠

ومن الأبحاث المنشورة باللغة الأجنبية :

ـ تقسيم ابن سينا للعلوم في « المدخل » من « الشفاء » ـ بقلم ميخائيل مرمورة ٠
ـ شرح مجهول المؤلف لكليات ابن سينا ـ بقلم فريد سامي حداد ٠

٣ ـ كتب الدكتور حسني ناعسة الأستاذ بكلية الآداب في جامعة تشرين مقالة تحت عنوان: « ابن سينا الحسين بن عبدالله أبو علي » في مجلة « جامعة تشرين » المجلد ٣ ـ العدد ٣ ـ المحرم ١٤٠١ هـ/تشرين الثاني ١٩٨٠ ـ ص ٣٣ ـ ٤٣ ٠

★ ★ ★

٤ ـ كتب الدكتور عبد الغني ماجد السروجي مقالة تحت عنوان: « جلسة علمية مع الرئيس ابن سينا » ، في « المجلة العربية » شعبان ١٤٠٠ هـ في العدد ٣ من السنة الرابعة ـ ص ٧٤ ـ ٧٧ ٠

★ ★ ★

٥ ـ كتب الدكتور محمود الحاج قاسم من الموصل بالعراق مقالة تحت عنوان: « الأم والطفل في أجوزة ابن سينا » ، في مجلة «العربي» الصادرة عن وزارة الاعلام بالكويت في شعبان ١٤٠١ هـ/يوليو (تموز) ١٩٨١م ـ العدد ٢٧٢ ـ ص ١٣٤ ـ ١٣٧ ٠

★ ★ ★

٦ ـ كتب السيد مرسلي محمد مقالة تحت عنوان: « ملاحظات حول دراسة المنطق عند العرب » ، وكانت نقطة التركيز فيها مدى أصالة ابن سينا في المنطق ، وتجاوزه شرح أرسطو الى موقف خاص به يتجلى في كتاب « الشفاء » ، و « الاشارات » ٠ وقد نشرتها مجلة « أقلام » الصادرة في المغرب في عددها الخاص رقم ٥٣ ـ السنة السابعة ـ ابريل ١٩٨١ م ٠

★ ★ ★

٧ ـ كتب الدكتور فيكتور الكك مقالة تحت عنوان: « الطب الحديث يعود الى أعشاب ابن سينا ـ كتاب « القانون في الطب » لا يزال منذ ألف سنة يخرج « الحكماء » في شبه القارة الهندية » ، ونشرتها مجلة « النهار العربي والدولي » الصادرة بباريس في ٢٧ تموز ـ ٢ آب ١٩٨١ م ـ العدد ٢٢١ من السنة الرابعة ـ ص ٣٦ ـ ٤٠ ٠

★ ★ ★

٨ ـ كتب الأستاذ حسن ملا عثمان مقالة تحت عنوان: « الأفكار النفسية عن ابن سينا » في مجلة كلية العلوم الاجتماعية الصادرة عن جامعة الامام محمد بن سعود بالرياض ـ مطلع ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م ـ العدد الخامس ـ ص ٦٥٩ ـ ٦٨٣ ٠

٩ ـ نشر الدكتور توفيق سلوم في مجلة الطريق (العدد الخامس) تشرين الأول ١٩٨١ بحثا عنوانه « في رحاب الفكر السينوي » هو عرض جيد لكتاب الباحث السوفياتي سعديف « ابن سينا » الصادر في موسكو عام ١٩٨٠ ، وقد ترجم الدكتور سلوم الكتاب وستصدر ترجمته عن دار الفارابي ٠

د٠ نسيب نشاوي

أنباء تراثية

كتاب « الظواهر المسرحية عند العرب »

(تاليف علي عقلة عرسان ـ نشر اتحاد الكتاب العرب ـ من القطع المتوسط في ٣٦٧ صفحة ـ دمشق ـ ١٩٨١ م) ٠

المسرح من الفنون الجميلة الكبرى ان جاز التفريق بين الفنون وتصنيفها فنونا صغرى وفنونا كبرى ٠ وكما أن بعض العلوم قد تولد من التقاء علوم مختلفة كذلك المسرح قد تولد من التقاء فنون متفاوتة واشتباكها ٠

ذلك أن المسرح يقتضي دارا أو مكانا ما ـ وهو أثر معماري ـ ومناظر وأستارا ـ وهو عمل يدخل في النحت والرسم ـ ونصا يلقى ـ وهو أمر أدبي ـ وناسا يؤدون الأدوار ـ وذلك فن الحركة ـ ،وغالبا مايكون للموسيقى شأن أساسي أو عارض في المسرح ، وكالموسيقى مكانة الرقص فيه ٠ كل هذه العناصر يؤلف بينها المخرج فيضم الى الفنون السالفة المتآلفة فن الاخراج ، وقد ظهر في فن الاخراج أعلام بارزون ، ولا بد في كل فن من نظارة أو جمهور يتوجه الفن اليهم ويؤدي وظيفته في نفوسهم كما يؤديها في نفوس الذين يقومون به ٠ هذه الوظيفة كما يقول مؤلف الكتاب السيد علي عقلة عرسان في مستهل الكتاب هي : « الامتاع ، ونقل حصيلة خبرة انسانية للناس ، والتأثير فيهم بقصد تحريضهم على تغيير واقع معترض عليه واستبدال واقع أفضل منه ، والقيام بعمل من شأنه أن يحسِّن مفهوم الحياة في نظر الانسان ويرقى بقيمه وأحاسيسه ومشاعره ٠٠٠ » ٠

لقد اكتسب الفن عامة والمسرح خاصة هذا الشأن على مرور الزمن ٠ ومنذ القديم أشار أرسطو الى وظيفة الفن بأنها تصفية الأهواء أو تطهيرها ، ومعنى ذلك أن النفس الانسانية قد تخامرها أهواء شتى ونزعات قوية متفاوتة تصفو وتتطهر وتسمو بممارسة الفن انشاء أو استهلاكا ٠

ولئن علق الفيلسوف الفرنسي روسو على رأي أرسطو بأن المسرح انما يصفي الاهواء التي ليست لها بذور أو جذور في نفوسنا ، ويقوي الأهواء التي لها جذور أو بذور في النفوس فان مكانة المسرح العالية في الوقت الحاضر تجاوزت عالم الفن الى ميدان علم الاجتماع على أيدي الباحثين الاجتماعيين الأمريكيين فيما يدعونه السوسيومتريا على شكلين هما السوسيو دراما ، والسيكو دراما ٠

ثم ان المسرح قد جمع بين عناصر فنية زمانية كالقاء النص الأدبي والحركة وأحيانا الموسيقى والرقص وعناصر أخرى مكانية كالمناظر والأستار، فسبق في ذلك العلم الحديث الذي يضم الزمان والمكان في عالم منكوفسكي وهو المكان الزماني الذي كان أينشتين قد بين معادلاته ٠

كل ذلك يحيط به وبغيره من شؤون المسرح وبتاريخه وتباشير نشوئه في اطار

الطقوس الدينية أو غيرها وباختلاف أساليبه عند الأقوام والشعوب مؤلف الكتاب فهو الكاتب الأديب والمخرج المتخصص الموهوب ولذلك كان قويا أي قوي على معالجة الموضوع المطروح ٠

ان الناظر في تاريخ الحضارة العربية قد يعجب أول الأمر كيف بلغت تلك الحضارة أعالي الآفاق في علومها وفنونها وانتشرت في فسيح الأرجاء دانيها وقاصيها ولم يظهر فيه فن المسرح على الشكل الذي نجده عند الأمم الحديثة ما دمنا في الغالب تجتذبنا المقارنة وتستميلنا المقايسة والموازنة ٠ ولكن عجبه يزول حين يقرأ كتاب الظواهر المسرحية عند العرب اذ يرجع المؤلف الى خزائن التراث العربي الفنية فينقب فيها عن بوادر المسرح ليجدها متعددة متفاوتة فيختار منها ما يختار ليكتب كتابه المبتكر ٠

هذا الكتاب دراسة وافية لتلك الظواهر المسرحية تقع في مقدمة موجزة تبين طريق الدراسة ومصاعبها وفي بابين كبيرين يضم الباب الأول ثمانية فصول ٠

يعرض الفصل الأول المقومات الرئيسة للمسرح ووظائفه وهي جميعا ما نوهنا به آنفا ليتلمس هذه العناصر عند العرب في جاهليتهم مستشهدا بأفعال لهم كان الشعر فيها أو القول يرافقه الغناء والحركة والرقص وذلك في مضمار عباداتهم الوثنية ٠ ومن المعلوم أن الطقوس الدينية عند جميع الأقوام كانت الظئر الرءوم للفن عامة وللمسرح خاصة، في جملة أظآر أخرى كالحرب والعمل والزينة واللعب ٠ ولما جاء الاسلام قضى على عبادة الأوثان ولكنه لم يقض على الظواهر المسرحية ٠

ويعالج الفصل الثاني ما يمكن دعوته بالاحتفال الجماهيري يكون الأداء فيه جماعيا ولكن بقيادة فرد من الأفراد ٠ وقد برز هذا النموذج في أشكال السحر وأفعال المندرين والملهين وفي رواية أيام العرب ٠ وينوه المؤلف هنا بأعلام مشهورين في كتب الأدب كأشعب وأبي العبر وعلويه ، ثم يشير الى نوع من الأدب المعروف بالمقامات ٠

ويبحث الفصل الثالث القصص أو التذكير أو الوعظ وهذه الألفاظ كلها مترادفة عند ابن الجوزي ٠

ويشرح الفصل الرابع حكاية قل شيوعها وهي حكاية أبي القاسم البغدادي المنسوبة الى أبي المطهر الأزدي وهي حوار طريف مع حركات تشبه التمثيل أو هي التمثيل نفسه يختلط فيها الغث بالسمين والجد بالهزل والقول بالفعل والكلمة بالاشارة ٠

ويتناول الفصل الخامس مقامات الهمذاني والحريري ويبين المواقف التي تحاكي التمثيل فيها ٠

ويلم الفصل السادس بقصة الاسراء والمعراج كما وردت في الآثار العربية ٠

ويشرح الفصل السابع قضية السماع وحكمه وآدابه في التاريخ الاسلامي ولا سيما عند الصوفية لينتقل الى حلقات الذكر ولا سيما في الطرق الشاذلية والقادرية والرفاعية ٠

ويتحدث الفصل الثامن عن احتفالات جماهيرية متنوعة في خلال الزمن كأحداث عاشوراء ونصوص التعزية وحفلات المولد النبوي وخميس المشايخ وأعياد النيروز في بعض البلدان ثم قصص الحكواتي ولا ينسى الكرك أو الكرج وهي على قدمها تماثيل خيل مسرجة من الخشب معلقة بأطراف أقبية يلبسها النسوان ويحاكين بها امتطاء الخيل كما جاء في كتاب الحضارة الاسلامية لآدم متز وكما يذكره المؤلف نفسه ٠

هذه الفصول الثمانية تشف عن غنى البحث وتنوعه وامتاعه ما تكاد تنتهي حتى تسلّمنا ما ليس أقل امتاعا وتشويقا وهو الباب الثاني •

وذلك أن المؤلف يعمد فيه الى بعض النصوص التي نوّه بها في الباب الأول وهي حكاية أبي القاسم البغدادي ومشهد من المقامة الحلوانية لبديع الزمان وآخر من المقامة الشعرية للحريري وقصة الاسراء والمعراج كما وردت منسوبة للامام ابن عباس وبلمسات فنية لطيفة جدا تشف عن مزايا المؤلف يحيلها أمامنا لوحات تمثيلية بارعة نقرؤها فنسترسل لها بلذة ومتاع • ولا غرو فان المؤلف قد عالج من قبل التأليف المسرحي والاخراج المسرحي ونجح فيهما •

وينهي المؤلف كتابه بخاتمة موجزة يعدنا فيها بالرجوع الى حضارات العرب القدامى في اليمن وبلاد الكنعانيين والفينيقيين وحضارة أوغاريت وماري وايبلا والتنقيب فيها عن الظواهر المسرحية التي هي أقدم عهدا مما سلفت الاشارة اليه وتقدمت الاشادة به •

وقد تحامى المؤلف التنويه ببعض الظواهر المسرحية التي كانت أكثر نضجا في التاريخ العربي كخيال الظل وكره كوز لأن مؤلفين آخرين قد سبقوا الى دراستها دراسة جيدة • على أن خيال الظل ما زال بحاجة الى دراسته بصفته مسرحا لا مجرد ظاهرة مسرحية كما يقول المؤلف •

يسأل المؤلف في نهاية الخاتمة لم لم تتطور الظواهر المسرحية عند العرب وهي التي سبق وصفها لتغدو مسرحا له مقوماته وأسسه وأصوله وتقنياته • والجواب هو موضوع كتاب مقبل قيد الاعداد يعدنا به المؤلف •

والكتاب بجملته يجمع المتعة والفائدة والتسلية والقراءة السهلة المشوقة ومهارة اختيار النصوص المناسبة من خزائن التراث الثرية الكثيرة التي قضى المؤلف وقتا ليس باليسير في تأملها ودراستها وجلائها وعرضها عرضا يمتع القلب ويقنع الفكر ويزيد بحوث المسرح غنى واتساعا •

د• عبد الكريم اليافي

اعتـــذار وتصحيـح

ورد في العدد المزدوج الخاص بابن سينا خطأ مطبعي في عنوان « ابن سينا يروي قصة صباه » •

والصحيح في تتمة هذا العنوان : « لابن أبي أصيبعة» دون لفظ الجوزجاني •

« المجلة »

احيـاء التـراث ودراسـته

اعـداد :
الدكتور نسيب نشاوي

☐ طالعتنا مجلة « دراسات تاريخية » التي تصدرها لجنة كتابة تاريخ العرب بجامعة دمشق برئاسة الدكتور شاكر الفحام بعددها الخاص رقم ٥ رمضـان ١٤٠١ هـ/تموز (يوليو) ١٩٨١ م بأبحـاث ودراسات جيـدة حول جوانب من التراث العربي بعضها ألقي في المؤتمر العالمي لتاريخ الحضارة العربية الاسلامية الذي عقد في رحاب كليـة الآداب بجامعة دمشق ما بين ١٦ ـ ٢٢ جمادى الآخرة ١٤٠١ هـ/٢٠ ـ ٢٦ نيسان ١٩٨١ م .

ومن المقالات التي نشرت في هذا العدد :

ـ الدكتور محمد كامل عياد مقالة «أثر صقلية في نقل الحضارة العربية الاسلامية الى الأوربيـين » .

ـ الدكتور عمرعبدالسلام التدمري مقالة « الرباط والمرابطـون في ساحل الشـام من الفتح الاسلامي حتى الحروب الصليبية » .

ـ الدكتور يوسـف بكار مقالـة « بيت المقدس كما صوره ناصر خسرو في رحلته » .

* * *

☐ ألقى الدكتور سلمان قطايـة نائب رئيس الجمعية الدولية لتاريخ الطب محاضرة في الجمعية بقاعـة الأساتـذة بكلية الطـب بباريس عن الرازي وأهميته طبيبا وأستاذا ، وعن كتاب « ما الفارق » الصـادر عن معهـد التراث العربي بجامعة حلب باللغة الفرنسية . وقد صدر النص الكامل للمحاضرة في مجلة « تاريخ العلوم الطبيـة » باللغة الفرنسيـة ـ عدد ٢ ـ مجلد ١٤ ـ ١٩٨١ م الصادرة بباريس .

☐ تقرر نهائيا بنـاء « معهد العـالم العربي » بمدينة باريس وذلك بعد أخذ ورد دام طويلا ، وسيكون المعهد الذي تسـهم في بنائه وتأسيسه الدول العربيـة الى جـانب فرنسة مركزا هاما جدا للدراسات العلمية من كل النواحي المتعلقة بالعرب .

* * *

☐ أصدر معهد همـدار في كراتشـي بالباكستان كتابا ذهبيا استعرض فيه مراحل تأسيسـه المتتاليـة المختلفـة ، ونشـر فيـه احصاءات جيدة عـن مختلف النتائـج التي توصل اليهـا في ميادين نشاطـه : الطبيـة والصيدلانية والتربوية والانسانية الى جانب المؤتمرات العلمية التي أقامها ، نذكر منهـا : المؤتمر الخاص بالبيروني ، ومؤتمـر علـم الوراثة والحياة ، ومؤتمـر تاريخ العلـوم الاسـلاميـة .

والمعلـوم أن القائم علـى المعهد هـو الدكتور الحكيم محمد سعيد .

* * *

☐ يصدر عما قريب كتاب ابن الجزار القيرواني « في المعدة وأمراضها ومداواتها » عن وزارة الثقافة ببغداد بتحقيق الدكتـور سلمان قطاية .

* * *

☐ صدرت ترجمة الى اللغة الفرنسية لكتاب محمد سيد نصـر : « تاريخ العلـوم الاسلامية» الذي صدر أولا باللغة الانكليزية .

* * *

☐ يقوم الأستاذ جيرار تروبو الأستاذ في معهد الدراسات العليا التابع للسوربون بباريس بتحقيق كتاب الرازي : « المنصوري » على أربع نسخ مع ترجمة الى اللغة الفرنسية، وترجمة الكتاب الى اللغة اللاتينية كما وردت في العصور الوسطى اللاتينية الأوربية، والمعروف أن مكتبة معهد التراث العلمي تحتوي على نسخة نفيسة نادرة لهذا الكتاب.

☐ أصدر الأستاذ جيرار تروبو تحقيقا لكتاب يوحنا بن ماسويه : « النوادر الطبية » ، حققه على نسختين خطيتين ، وأدرج ترجمة الكتاب القديمة الى اللغة الفرنسية مع ترجمة حديثة قام بها هو نفسه ، كما نشر ترجمتي الكتاب الى اللاتينية مع مقدمة مفصلة جيدة ومعاجم مختلفة ، وقد ساعدته في ذلك الآنسة جاكار • وكان الأستاذ تروبو قد أسهم في الندوة العالمية الثانية التي أقامها معهد التراث العلمي بمدينة حلب عام ١٩٧٩ م •

* * *

☐ أقيم معرض هام في مركز جورج بومبيدو الثقافي بباريس منذ بضعة شهور ، وكان موضوعه : « علم الخرائط الجغرافية » والجدير بالذكر أنه كان من بين المعروضات خرائط العالم العربي « الادريسي » •

☐ صدر كتاب « فرحة الأديب في الرد على ابن السيرافي في شرح أبيات سيبويه لأبي محمد الأعرابي الملقب بالأسود الغندجاني ــ كان موجودا سنة ٤٣٠ هـ ــ » حققه وقدم له الدكتور محمد علي سلطاني الأستاذ المساعد في كلية الآداب بجامعة دمشق ونشره بدمشق ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م •

يرتبط الكتاب ارتباطا وثيقا بـ « شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي » ــ الذي نشر بتحقيق الدكتور سلطاني بدمشق عام ١٩٧٩ م ــ فهو فرع متمم وامتداد أصيل له • وقد تناول الغندجاني بالنقد في « فرحة الأديب » ١٣٤ فقرة من أصل ٧٠٠ فقرة كان ابن السيرافي عرض لها في كتابه « شرح أبيات سيبويه » ، فبيَّن مواضع الخطأ من بيت مصحف وشعر منسوب الى غير قائله ومعنى محرف ولفظ معدول به عن مبانيه •

☐ صدرت ترجمة لكتاب « المرشد والفصول » للرازي وكان الأستاذ الدكتور ألبير زكي اسكندر قد قام بتحقيق الكتاب ونشره عام ١٩٥٢ م •

وترجم الكتاب الى الفرنسية العربي مبشر •

والكتابان صادران عن دار نشر السندباد بباريس •

* * *

الجـزائريـة ـ الموصليـة

هي جمعية موسيقية فنية اشتهرت بالجزء الثاني من اسمها (الموصلية) الذي يذكرنا بالاثنين من كبار الموسيقيين العرب عاشا في القرن الثاني الهجري ابراهيم الموصلي وابنه اسحاق . وهي تعنى بالجانب الموسيقي من التراث العربي . وقد زارت سورية في شهر أيار عام (١٩٨١) بمناسبة الأسبوع الثقافي الجزائري وعرضت نموذجات من فنها الطريف التليد . والقى السيد علي بابا عمر كلمة قدم بها فرقتها الموسيقية جاء فيها :

ان الجزائر ساعية في هذا الوقت بالذات لرسم سياسة ثقافية استكمالا لمسيرة التحرير من التبعية الأجنبية وتجسيدا للسيادة الوطنية بمفهومها الشامل والايجابي . فهي تولي الثقافة اهتماما خاصا باعتبارها عنوان الشخصية الوطنية والحصن القوي الذي تتدعم به المكاسب وتتقوى بحمايته مسيرة الثورة في زحفها على طريق بناء الغد المنشود .

ان الشعب الجزائري ليهتم بالغ الاهتمام باسترجاع جميع القيم الصحيحة ومنها القيم الفنية التي هي من مقومات شخصيته وباحياء تراثه الثقافي بجميع صفاته .

وهذا الفن الموسيقي هو أثر حي من آثار تلك الحضارة الزاهرة الباهرة التي نحن اليها جميعا ولا نفتأ نذكرها باعتزاز وافتخار .

ان هذا الفن الموسيقي الكلاسيكي الجزائري الذي غالبا ما يطلق عليه اسم الموسيقى الأندلسية ـ نسبة الى منشأه ـ هو في الواقع تراث تكون من تقاليد عريقة تنقلت من دمشق وبغداد الى قرطبة واشبيلية وغرناطة والى المغرب العربي بما فيه الجزائر ولا سيما العاصمة وتلمسان وقسنطينة حيث تم استيعابها وتقمصت شخصيتها التي عليه الآن فأصبحت موسيقى قومية جزائرية بلا منازع .

وعلى كل حال فهي الموسيقى الجزائرية الوحيدة التي تقوم على أسس علمية مدروسة .

كانت في الأصل مشتملة على أربعة وعشرين مقاما ، قام بترتيبها ووضع قوانينها رجل الفن الغنائي العربي الفذ ـ زرياب ـ الذي كان من دون شك أول من فكر في وضع ما هو معروف بالوصلة الموسيقية وسماه العرب « نوبة » .

والنوبة عندنا تطلق على جمع من الأغاني والقطع المعزوفة في مقام متحد اللحن والمرتبة حيث الأصوات البشرية وآلات الطرب تقوم بأداء حوار منسجم في سلسلة من الحركات المتعاقبة تدريجيا من الوزن البطيء الى المعتدل الى السريع .

وتبدأ النوبة عادة بمقدمة موسيقية تدعى « توشية » أو « تشمبر » أو « بشرف » حسب طبيعتها وميزانها .

وتشتمل النوبة على خمس حركات هي :

١ ــ المصدر ووزنه ٤/٤
٢ ــ البطايحي ووزنه ٤/٤ أيضا
٣ ــ الدرج ووزنه ٤/٤ لكن حركته أخف
٤ ــ الانصراف ووزنه ٨/٥
٥ ــ الخلاص ووزنه ٨/٦

على أن الموسيقى الكلاسيكية الجزائرية ليست مقصورة على النوبات المبينة على الهيكل الذي ذكرناه • بل هناك تراث اضافي هو من أصل أندلسي أيضا يشتمل على مجموعة بل مجموعات من الموشحات والأزجال تغنى مستقلة وخارجة عن النوبة •

والأغنية التي من هذا الصنف تسمى « انقلابا » ووزنها ثنائي نشيط خفيف •

ويمكن تقديمها بصفة منتظمة فتؤلف اذ ذاك نوبة كاملة تسمى « نوبة الانقلاب » تستهل بمقدمة موسيقية من نوع « البشرف » يعقبها عدد من القطع الغنائية من طبع واحد في مقام واحد أو من طبوع مختلفة •

تلك هي باختصار صفات الموسيقى الكلاسيكية الجزائرية التي وصلت الى بلادنا خلال وجود العرب بالأندلس واستكملت بعد نزوحهم •

على أن التراث الغنائي الأندلسي الذي توارثناه عن طريق السماع فقط لم يثبت بأكمله فقد ضاع منه الكثير • ومن الأربعة والعشرين مقاما التي رتبها زرياب ووضع لها قواعدها وهياكلها لم يبق الا خمسة عشر مقاما أو نوبة ومنها ثلاثة مقامات لم يثبت منها سوى قطع من نوع الانصراف •

ومن ثم فان هذا الذي احتفظنا به يكون تراثا فنيا نفيسا وعزيزا يحتاج الى عناية كبرى • واننا لنحاول بنوع من العطف الوجل واليقظة الحائرة أن نصون ما سمحت لنا غِيَرُ الدهر وصروف التاريخ ــ أعني عصور الانحطاط ومائة وثلاثين سنة من الاستعمار وجهل العامة وتهاون بعض الخاصة • قلت : أن نصون ما سمحت لنا هذه الأحوال المتقلبة بالاحتفاظ به من النصيب الوافر الذي تيسر لنا من هذا التراث •

علي بابا عمر

المؤتمـر العـالمي
لتاريـخ الحضـارة العربية الاسلاميـة

في دمشق

في مدرج جامعة دمشق الكبير ، افتتح ، في الساعة العاشرة من صباح الاثنين ١٦ جمادى الآخرة ١٤٠١ الموافق للعشرين من نيسان ١٩٨١ ، المؤتمر العالمي لتاريخ الحضارة العربية الاسلامية ، الذي أقيم بمناسبة الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجري.

وقد تعاقب الخطباء في حفل الافتتاح ، يحيّون دمشق ماضيا عريقا وحاضرا صامدا وطموحا ، ويعرّفون بالتاريخ والحضارة والعروبة والاسلام . وقد بيَّن **الدكتور أسعد عربي درقاوي وزير التعليم العالي** في القطر، في كلمته ، **ما للتاريخ من دور في حياة الأمم والدول ، فمن الحاضر يطل المرء على ماضيه، ومن الحاضر أيضا يتطلع الى المستقبل** ، وان هذه الآنات للزمن متداخلة ، يغني بعضها بعضا ويعين بعضها على فهم بعضها الآخر...

ويضيف : « ولئن كنا نتطلع الى المستقبل بدءا من الحاضر ، فان الحاضر لا يفهم فهما صحيحا الا بدءا من الماضي القريب على الأقل ، ذلك لأن الحياة الانسانية ليست معطى متكونا ، بل هي شيء لا ينفك يتكون بفعل التجاوز أو الحرية » .

وأوضح أن اللجنة التحضيرية للمؤتمر رأت أن يدور قسم من بحوثه على الحضارة العربية الاسلامية في حاضرها وماضيها واتجاهات تطورها في حركتها نحو المستقبل . كما اقترحت اللجنة أن يبرز العلماء ، في موضوعات القسم الثاني ، صبوات الحضارة العربية الاسلامية وما حققته في مجال النظر والعمل: في التشريع والنظم ، وفي التربية والعلوم والفنون ... ويتابع : « كان لهذه الحضارة، كما للحضارات الكبرى الأخرى ، طريقتها في فهم الانسان والعالم ، وكان لها عبقريتها الخاصة فيما قصدته من معان وقيم روحية وفكرية واجتماعية وجمالية... والواقع اننا نجد ، **في أساس هذه الحضارة ، العقل والعدل والمساواة والشورى والأخوة والتسامح .وخصائصها الانسانية هذه هي التي عملت ، منذ البدء ، على انتشارها عقب الفتوحات التي قام بها العرب ، منذ أن وحَّدهم الرسول الأعظم ، وقد جاءت هذه الفتوحات بحكم هذه الخصائص فتوحات تحريرية ؛ جاءت نداء استجابت له الشعوب طوعا ، حملته لغة** رائعة سادت هي الأخرى بفضل مزاياها، **لا بالقسر والاكراه** » .

وأعرب في ختام كلمته ، عن يقينه بعودة الحضارة العربية الاسلامية الى مسرح التاريخ ، ذلك « أن أبناء هذه الحضارة **اتصفوا بالقدرة على الاستيعاب والتمثل والابتكار ، كما اتصفوا بالقدرة على مقاومة موجات الغزو المتتابعة والتغلب عليها** ...» .

وذكَّر ممثل **الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الاسلامي بأن** « فكرة الاحتفال بحلول القرن الخامس عشر الهجري قد انبثقت عن مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية السادس والذي كان للجمهورية العربية السورية الدور الايجابي لاقرار مبدأ الاحتفالات بهذه المناسبة ، وقد أخذت على عاتقها انعقاد هذا المؤتمر في ربوعها » .

ويؤكد أن « **معالم الحضارة الاسلامية راسخة رسوخ الجبال ، ومنتشرة في الأقطار الاسلامية في كل مكان** ، في ايران وأفغانستان ومالي وتركيا وآسيا الوسطى وأوربا ، وغيرها من الأقطار » .

ويضيف : ان « مدينة دمشق ، التي نحتفل فيها اليوم بتاريخ الاسلام ، تضم بين جنباتها ذخائر من التاريخ الاسلامي المجيد ، **ويرقد في ثراها خيرة أصحاب رسول الله وتابعيهم ومن أبطال أمتنا الاسلامية أمثال صلاح الدين الأيوبي محرر القدس الشريف** . أما في مضمار الفنون الاسلامية ، فتتجلى العبقرية العربية الاسلامية في المدن والمساجد والقصور وغيرها ، وخير دليل على ذلك ما نرى أمام أعيننا من الجلال والعظمة للفن الاسلامي العربي **دمشق الفيحاء ، جامعها العظيم** الذي يعد من التحف الاسلامية النادرة ، كما لا ننسى ما ساهمت به دمشق في ترسيخ الدولة الاسلامية العظيمة التي انتشرت في جميع أنحاء المعمورة » .

وحيا **الدكتور محيي الدين صابر** ، **المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم** ، دمشق المجيدة ، التي أطلقت كواكب المناضلين واستقبلت مواكب المنتصرين ، « وفي هذه البقعة الشامخة في التاريخ ، التي حملت بفدائها وعطائها رايات العروبة والاسلام ، عبر القارات ، وفي كل اتجاه ، تُعزّها بالوحدانية ، وتكرمها بالحرية ، وتسوسها بالعدالة ، وتقودها بالمعرفة ؛ وفي هذه الدورة من دورات الزمن الكبرى ، **في مطلع قرن اسلامي ، نتلاقى أيها الأخوة** على موعد محسوب ، ونسب موصول ، وعهد مسؤول ، زمانا ومكانا وفكرة » .

وأثنى على وزارة التعليم العالي « في مبادرتها لتنظيم هذا المؤتمر العالمي حول تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ، وأصاب القائمون عليه ، في وضع التصور الشامل والمتكامل ، الذي يتناول الفكر الاسلامي مبادىء وممارسات على امتداد الوجود الاسلامي في الزمان والمكان ، والواقع الاجتماعي بما يكشف عن جوانب الابداع ، والتكيف في عمليات الحوار البصير ، مع المعطيات الاجتماعية والاجتهاد القدير في مواجهة التحديات الحيوية ، في نطاق المبادىء السمحة لأصول الاسلام » .

وعرف بالتاريخ فقال : انه « ليس هو الماضي الذي كان فانقطع ، والذي يتصور عادة على أنه أفضل من التاريخ الذي سيكون . التاريخ **ليس هو الماضي وحده ، ولكنه أيضا المستقبل** . التاريخ هو الزمن في طبيعته الدائمة ، والانسان في ظروفه المتغيرة . التاريخ هو الزمن والانسان اللذان كانا ، هما أيضا الزمن والانسان اللذان يكونان في صناعة الحياة . فالتاريخ اذن ليس هو الاحداث ، روايات الانتصارات والهزائم ، وحسب ، بل ــ ولعله في الأساس ــ **هو بناء الحياة الاجتماعية ، علاقة الطبيعة بالانسان ، وعلاقة الانسان بالانسان ، وعلاقة الانسان بالله** ؛ علاقات قدرات الانسان بالطبيعة استسلاما واستئناسا وتعاونا وتسخيرا ، وعلاقات تصورات الانسان بالانسان تكافلا وتقاتلا ، وتنافسا واستغلالا ، وعلاقات الانسان بالكون حيرة وضلالا وانكارا ووحدانية .

ان التاريخ هو تحدي الأجيال للأجيال ، قدرةورؤية وارادة وانجازا • وهو على أي حال، في أبسط صوره ، **رواية الماضي** ؛ وهو ، في أجمل صوره ، **صناعة المستقبل • ان عظمة التاريخ في أنه يمنحنا الحلم العظيم ، حلم تجاوزه عن طريق الابداع » •**

أقيمت الندوات ، التي ألقيت فيها البحوث والدراسات ، في مدرجات كلية الآداب بجامعة دمشق ، خلال الأسبوع الذي استغرقه المؤتمر • وقد شارك فيها **٩٤ من الباحثين** الذين مثلوا الأقطار العربية والدول الاسلامية والأجنبية ، فضلا عن القطر العربي السوري • وكانت تعقب كل بحث **مناقشة** باحدى لغات المؤتمر : **العربية والفرنسية والانكليزية •**

وتخللت المؤتمر **زيارات لمعالم دمشق وأوابدها ،** كالمتاحف والغوطة والجامع الأموي ومقام السيدة زينب وقبر صلاح الدين الأيوبي وكنيسة حنانيا ، وكذلك زيارة لمدينة القنيطرة المحررة •

وفي احدى قاعات كلية الآداب ، أقيم **معرض للكتب والمطبوعات ،** أسهمت فيه بعرض مطبوعاتها اثنتا عشرة وزارة ومؤسسة ثقافية سورية ، وأربع عشرة منظمة ومؤسسة وجامعة عربية واسلامية ، منها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومنظمة التحرير الفلسطينية وجامعات الرياض والامام محمد بن سعود والكويت واليرموك والخرطوم وتونس ومحمد الخامس وطهران ومركز جهاد الليبيين ، ومعاهد بحوث من اسبانيا وفرنسا والصين الشعبية ، وسفارات أندونيسيا واليابان وبريطانيا وألمانيا الاتحادية •

وفي ختام المؤتمر ، وجه المشاركون تحية تقدير وعرفان الى السيد رئيس الجمهورية على رعايته للمؤتمر ودعمه للعلم والعلماء • ومما جاء في توصياتهم :

- حث الباحثين على **ايلاء الجوانب الحضارية في تاريخنا** عناية خاصة ، واعتماد فكرة كتابة هذا التاريخ **من منظور الفهم الحضاري للتاريخ ،** وابراز **الجانب الانساني من** تاريخ العرب •
- دعم **المعاهد** التي تعنى بدراسة التراث العربي الاسلامي ونشره •
- الاستمرار في اقامة **الندوات والمؤتمرات الدورية** حول الحضارة العربية الاسلامية •
- الاطلاع على ما ينشر في العالم اليوم حول الحضارة العربية الاسلامية ، **وتصحيح ما يجانب الموضوعية منه •**
- انشاء **مجلة حولية أو فصلية** متخصصة في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية •
- **شجب الاعتداءات الاسرائيلية** على المقدسات الاسلامية في فلسطين •
- **نشر البحوث** التي ألقيت في المؤتمر ، في **كتاب •**

« أبو فراس السباعي »